رواية

بين ووهان وفنلندا
شمس باردة



رنا البسير
أحمد البسير

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بين ووهان وفنلندا شمس باردة

رنا اليسير
أحمد اليسير

كان قائد الطائرة يرتدي بدلة واقية مثلهم تماماً! كانت السيدة غائبة عن الوعي. مستلقية في الكرسي الخلفي للطائرة. لا تدري ماذا حصل لها؟ ولكنها بكل تأكيد كانت هي الحالة صفر على هذه الكرة الأرضية لوباء الكورونا!

نعم، فيروس (كوفيد – 19) لم يكن مجرد وباء عادي صنعته الأرض لتدافع عن رمقها الأخير.. بل كان إعلاناً لحرب جديدة. لعالم جديد. لحقبة جديدة ستسمى حقبة ما بعد الكورونا! وإن كانت بؤرة الكورونا الأولى هي ووهان فمن أين ظهرت هذه السيدة؟! هل هي هنا في فنلندا؟ أم في منطقة ما بعيدة في حنايا إحدى الدول القابعة على هذه الأرض!





ISBN: 978-614-01-3183-5





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



بين ووهان وفنلندا
شمس باردة

رنا اليسير
أحمد اليسير





t.me/yasmeenbook



الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2021 م - 1442 هـ

محفوظة لدى المكتبة الوطنية - الأردن برقم إيداع 2020/10/4214

ردمك 978-614-01-3183-5



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

الإهداء

إلى كل المتعبين بين تصديق وتكذيب
وسعي وهروب
وسماء وأرض
فلا هم أرضيون كما يجب
ولا سمائيون مثلهم.

الفصل الأول

2015/5/30

روما - إيطاليا

ارتشف روبرتو ما بقي من قهوة في فنجانه وهو ينظر إلى شاشة التلفاز المعلقة على الجدار حينما لمح رجل الأعمال الشهير بيل غيتس يقف على مسرح تيد توك يتحدث بشغف عن الحرب العالمية الثالثة القادمة قائلًا:

"عندما كنت صغيرًا أكثر ما أقلقنا هي الحروب النووية، أما اليوم فالخطر الأكبر الذي نواجهه لا يبدو مثل هذا (تظهر صورة لقنبلة نووية على شاشة المسرح) بل مثل هذا (تظهر صورة لفيروس الإنفلونزا) إذا كان هناك أي شيء سيقتل 10 ملايين شخص في العقود القليلة، من المؤكد أنه سيكون فيروسًا شديد العدوى بدلًا من الحرب، فالقاتل سيكون فيروسًا وليس صاروخًا".

أمسك روبرتو الريموت كنترول، رفع الصوت قليلًا ليتابع الاستماع إلى كلام بيل غيتس:

"يعود السبب في ذلك بجزء منه إلى أننا استثمرنا مبلغًا كبيرًا في مجال الكشف النووي واستثمرنا مبلغًا صغيرًا في نظام يساعد على منع الوباء.. نحن لسنا مستعدين للوباء القادم!".

أغلق روبرتو التلفاز منهيًا استماعه إلى حديث بيل غيتس. خرج سريعًا من منزله المطل على ساحة البانثيون. ركب سيارة الكاديلاك السوداء التي كانت مركونة عند ناصية الشارع وانطلق.

لندن - بريطانيا

وقف روبرتو أمام قصر قوطي ضخم، وجثا بصمت ثقيل فوق الأرض. جدرانه الحجرية القديمة القاتمة تحيط بها هالة من الخوف والرهبة لم يستطع روبرتو تفسيرها. نوافذه الضخمة عالية ومغطاة بستائر ثقيلة تعلن أن المكان غير مسموح الدخول إليه إلا بإذن قاطنيه!

دخل روبرتو القصر ليتفاجأ. المكان مليء بالناس الذين يستمتعون بأجواء الحفل المقام.

حفل؟! هل أخطأت في الموعد؟

كان روبرتو يتأمل اللوحات النادرة المعلقة على جدران المنزل المغطاة بورق أحمر قانٍ، محاولًا تناسي الفوضى التي تعج بالمكان عندما اقترب منه الخادم قائلًا: "سيد جوفاني تفضّل معي".

سار روبرتو مع الخادم في ممر طويل ليختفي صوت الحاضرين في الخارج تدريجيًا، اقتربا من باب عاجي منقوش باللون الذهبي. فتح الخادم الباب وانحنى قائلًا: "السيد ينتظرك".

خلف المكتب المحفور والمعتّق من الخشب الثقيل جلس خوليو وهو شاب في بداية العقد الثالث من العمر، اقترب منه روبرتو مصافحًا وهو يقول بنبرة مشككة: "ظننت أن هناك خطبًا ما".

"لماذا يا روبرتو؟".

"لا أدري ربما الفوضى التي أحاطت باللقاء جعلتني أعتقد أنني أخطأت في الموعد".

"يبدو أنك لم تعتد بعد على قوانين قصر السيد روكفشتاين".

"وكيف لي أن أعتاد على قوانين لم ألتقِ صاحبها يومًا".

صمت خوليو قليلًا ثم أردف قائلًا: "يرغب السيد رتزل بمعرفة آخر التطورات؟".

ناول روبرتو خوليو مغلفًا احتوى على مجموعة من الأوراق والتي تضمنت ملخصًا كُتب وفقًا لما أدلى به الدكتور لؤي المتخصص الأول في علم الأوبئة والفيروسات في العالم. احتوى الملخص على مجموعة من الإحصائيات التي شملت مرض متلازمة التنفس الشرق أوسطية المنتشر في بعض الدول العربية كالسعودية وقطر والبحرين، ومرض السارس الذي ضرب الصين قبل عدة سنوات. كانت المقارنة بين المرضين ضرورية خاصة أنهما مرضان يندرجان تحت عائلة فيروس الكورونا الذي لا يزال يخضع للدراسة والتطوير حتى اللحظة.

"ما تم التأكد منه حتى الآن وفقًا للمعلومات الواردة أن التطور الملحوظ على فيروس الكورونا الجديد يعطي مؤشرات جيدة، فالجيل الجديد من هذه الفيروسات سيكون أكثر فتكًا من السابق".

قال خوليو وهو يُقلّب الأوراق: "ومتى من المتوقع أن يحدث ذلك؟".

"بحسب الدراسات والأبحاث الواردة هنا... في عام 2019 على أقل تقدير".

في الزاوية البعيدة، ظهر ظل رجل يقترب من المكتب الخشبي بخطوات هادئة أثارت حفيظة روبرتو الجالس بصمت قبالة خوليو، وما أن علا الضوء وجه الرجل العجوز حتى اعتلت الصدمة روبرتو وهو يقول: "السيد رتزل روكفشتاين؟!".

ابتسم رتزل ببرودة وقال: "ما دمت رأيتني فلتتبع القواعد جيدًا من الآن فصاعدًا... واحذر من الوقوع في الخطأ يا روبرتو فأنا لا أظهر لأحد مرتين!".

الفصل الثاني

2019/6/20

أتلانتا - الولايات المتحدة الأمريكية

وقف لؤي أمام مقر مختبر الفيروسات (ذي المستوى الرابع) التابع لمركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها CDC ومرّر بطاقة الدخول الخاصة به فوق شاشة الحماية التابعة للمقر.

قال لؤي وهو يسلم هاتفه لموظفة الاستقبال مبتسمًا: "لقد وضعته على الصامت هذه المرة".

"شكرًا بروفسور". تناولت الموظفة الهاتف، ووضعته في إحدى الخزائن الخشبية الصغيرة القابعة خلفها.

كان لؤي يسير في الممر الطويل ليدخل بعدها إلى غرفة تغيير الملابس الخاصة بالمختبر. خلع لؤي بذلته الرسمية السوداء، وارتدى الأفرهول الخاص بالمختبر، ثم رتب بذلته التي كان يرتديها وعلّقها في الخزانة.

خرج لؤي من الباب الجانبي ليدخل غرفة بدلات الضغط الإيجابي الخاصة بالعاملين في مختبر الفيروسات ذي المستوى الرابع. تناول إحدى البذلات الصفراء المعلقة ووضعها على الأرض ووصل صمامها بأنبوب الضغط الخاص بالبذلة. فبدأ ضخ الهواء بداخلها. نظر لؤي بصمت إلى البذلة التي أمضى نصف حياته وهو يرتديها وهي تتضخم أمامه تدريجيًا

لتظهر تفاصيلها ببطء تمامًا كتفاصيل حياته التي ارتسمت بخطوط رفيعة على معالم وجهه ذي السمرة الخفيفة والذي لا يزال يحتفظ ببريق شبابه وجاذبيته بشعره الأسود الممزوج ببعض الشيب وعينيه السوداوين اللتين تمنحانه ذلك السحر الشرقي لأي رجل عربي مثله.

إنه عمر فيه من اللحظات ما احتوت على الضغط العالي الذي يشبه تمامًا الضغط الذي ينصب داخل البذلة حتى يكاد يفجرها أحيانًا، وأخرى خاوية باردة يقف أمام الآخرين فيها بصمت تحت لقب بروفسور لؤي من دون أي معالم أخرى سوى اللقب. نعم، كانت حياته أشبه ببذلته التي لا تتضح معالمها إلا بعد أن يملأها الهواء بالكامل!

وضع لؤي القفازات الطبية ولف اللاصق حولها ليتأكد أنها لن تتحرك من مكانها. انتعل الحذاء البلاستيكي ولفّ اللاصق حوله. وقف أمام المرآة. تأكد بأنه لبس كل شيء ولم ينسَ شيئًا رغم تكراره لهذه الخطوات على مدار أعوام، فهو يعلم جيدًا أنه ما إن يخطو بقدميه داخل غرفة المختبر حتى يصبح وجهًا لوجه أمام أكبر خوف قد يواجهه الإنسان، لا يُرى بالعين المجردة، خوف لا ترصده سوى عدسة الميكروسكوب، خوف قد يحمل في حناياه الموت السريع مع أي خطأ بسيط قد يرتكبه سهوًا، لذا كان عليه التأكد جيدًا مهما بات الأمر روتينًا في حياته بأنه لن يسقط ضحية تحت وطأة فيروس خامد في حنايا خلية. وما أن تأكد من ذلك، حتى علّق السماعة الخاصة بالمختبر فوق أذنه، ثم تناول بذلة الضغط الإيجابي وارتداها كاملة مع قناعها الشفاف الضخم الذي استقر فوق رأسه وأغلقها جيدًا.

أدار لؤي مقبض الباب الحديدي الضخم، ودخل المختبر، وما أن وصل إلى قاعة زراعة الخلايا والفيروسات حتى ربط بذلة الضغط الإيجابي

بأنبوب الأوكسجين المعلق في سقف الغرفة وبدأ ضخ الأوكسجين فيها.

"بروفسور لؤي.." اقتربت بريجيت من لؤي وهي ترتدي البذلة نفسها وتتكلم من خلال الجهاز الخاص بها "هل أحضر لك عينة الكوفيد سارس الأخيرة؟".

هزّ لؤي رأسه بنعم، ثم جلس قبالة كابينة السلامة وأدخل كفيه في القفازين الضخمين المعلقين عليها لاستقبال العينة بينما توجهت بريجيت نحو خزان تبريد غاز النيتروجين الضخم، ففتحته وأخرجت منه صندوقًا طويلًا يحتوي على مجموعة مختلفة من أنابيب زراعة الخلايا والفيروسات، تناولت أحدها، ثم أعادت الصندوق داخل الخزان وأغلقته بإحكام.

عادت بريجيت نحو كابينة السلامة، ووضعت العينة في الخزانة الصغيرة الملاصقة لها، تناول لؤي العينة وبدأ بفصلها تدريجيًا بعد أن أضاف الجل ونقلها إلى شريحة الميكروسكوب الزجاجية. استدار لؤي نحو الميكروسكوب وبدأ بفحص الشريحة.

"لقد وثقت كل التعديلات التي أضفناها أمس بروفسور. هل ترغب أن أمليها عليك؟".

قال لؤي بشرود وهو يتمعن بعمق في العينة القابعة بين يديه: "لا بأس يا بريجيت، لا داعي لذلك لقد انتهى الأمر".

"ماذا تعني بروفسور؟".

نظر لؤي إلى بريجيت من خلف القناع البلاستيكي الضخم الشفاف، وارتسمت على شفتيه ابتسامة انتصار كان ينتظرها منذ أعوام، ثم قال: "لقد بت جاهزًا للانتقال إلى ووهان. اتصلي بالمقر الآن وأخبريهم أننا انتهينا من تطوير فيروس كوفيد سارس وأصبح فيروس كورونا المستجد جاهزًا".

الفصل الثالث

2019/7/1

روما - إيطاليا

سرّح روبرتو شعره الكستنائي المبتل بسرعة تحت شمس روما التي كانت تنعكس فوق عينيه العسليتين لتمنحهما خضرة دافئة تحت ضوئها المتسلل من خلف النافذة، حمل ملابسه المرتبة فوق السرير بسرعة ووضعها في حقيبة ظهره. كان يتأكد من أنه لم ينسَ شيئًا من أغراضه عندما رنّ هاتفه الخلوي. أكمل تفقد حقيبته ثم علقها على كتفيه واتجه نحو باب الشقة، وخرج مسرعًا. أجاب على هاتفه قبل أن ينقطع الاتصال.

"روبرتو..." سمع من الطرف الآخر من الاتصال صوتًا أجش بدا أن صاحبه يبتسم بدفء وهو يتكلم ثم أردف قائلًا: "أين أنت يا بني؟ عليك أن تصل قبل المساء، ستفوتك المتعة إن تأخرت".

قال روبرتو وهو ينزل على الدرج مسرعًا: "لا تقلق يا أبي سأصل خلال ساعات".

"حسنًا، هذا يعني أنك ستحضر المأدبة".

"بالطبع! وهل سأفوت شيئًا كهذا؟".

علت ضحكة والده إنزو وهو يقول: "سنفوز هذه المرة. لقد تحديت عمك لوكا، وعليك أن تكون شاهدًا على خسارته... جيرافا ستفوز". قطع

الجملة صوت لوكا المتحمس الذي خطف الهاتف من إنزو: "هيا يا روبرتو عليك أن تحضر لتمسح دموع والدك عند الخسارة لتعيده إلى ميلانو وهو يجر أذيال خيبته بعد أن نفوز بالباليو غدًا".

ضحك روبرتو وهو يركب سيارة الأجرة وطلب من السائق أن يوصله إلى المطار "حسنًا يا عمي أنا في الطريق إليكم، وداعًا".

لا يزال روبرتو يبتسم وكلمات والده تجول في ذهنه، فبالرغم من انتقاله إلى روما للمكوث فيها بحكم عمله يبقى حنينه إلى سيينا وميلانو يشده دومًا، ففي ميلانو يقطن والده إنزو الذي بات في منتصف السبعينات، ولكنه يحمل روح إيطاليا كلها في صوته وعشقه للموسيقى والرقص والرياضة، أما سيينا ففيها ذكريات طفولته الشقية في حنايا شوارعها الضيقة وأزقتها المبلطة حينما ينتظر يومي (الثاني من يوليو) و(السادس عشر من أغسطس) في كل عام، حيث يقام (باليو دي سيينا) أو ما يطلق عليه السياح سباق الخيل التاريخي في إيطاليا، فيجتمع الإيطاليون والسياح معًا ليكونوا جزءًا من هذا الحدث الهام في كل عام ولتمتلئ ساحة (ديل كامبو) في وسط سيينا بما لا يقل عن 200 ألف متفرج يجتمعون على مدار أيام في المدينة التي تصبح لياليها لا تنام حتى تعلن الفائز بسباق لا يستمر أكثر من 90 ثانية! ورغم ذلك كله يبقى الباليو هو الباليو؛ ليلة من عمر الصيف تجمع العائلة في لحظات من الحب، والحماس، والمرح لتنسيه للحظات سكون روما والصمت الذي يغلف البانثيون أمام نافذة منزله البارد.

* * *

سيينا - إيطاليا

سار روبرتو مسرعًا في شوارع سيينا المبلطة والليل قد غمرها من كل زاوية ولكن أضواء المدينة وأصوات سكانها التي تعلو بالغناء والاحتفال كانت تحيي الساحات الميتة للأحياء السبعة عشر الموجودة في المدينة. كانت شوارع حي جيرافا وسطوحه القرميدية العتيقة وحتى نوافذه تغرق برايات وأعلام الحي الملونة باللونين الأحمر والأبيض، أما ساحة الحي الواسعة التي امتدت فيها مآدب طويلة جلست عليها عائلات الحي بمختلف قاطنيها من أطفال ونساء وكبار السن، جميعهم امتزجوا في بوتقة واحدة فقط ليمرحوا معًا قبل سباق الغد، معلنين ولاءهم لحيهم بتشجيع حصانه وفارسه، في تلك الأثناء وما أن اقترب روبرتو من الساحة حتى سمع صوت والده الأجش الحنون يردد والجميع من خلفه قائلون "جيرافا.. جيرافا.. الفوز لجيرافا".

"جيرافا... الفوز لجيرافا" ردد روبرتو بصوت عالٍ مع الحاضرين عندها استدار إنزو العجوز نحو ولده واحتضنه قائلًا: "ولدي... لقد وصلت" عانق روبرتو والده وهو يقول: "جيرافا يا والدي، الفوز غدًا لجيرافا".

ضحك إنزو قائلًا: "عند الانتهاء من العشاء سأذهب وإياك إلى حي كيوتشولا ونخبر عمك لوكا بذلك".

ما إن سمع أبناء العائلة صوت روبرتو حتى نهض الجميع ليسلموا عليه. جلس روبرتو إلى الطاولة استعدادًا للعشاء.

"روبرتو... لا يمكنك أن تفوّت الباليو أبدًا" قالت العمة صوفيا ذات الستين عامًا وهي تحتضنه من ظهره، عندها نهض روبرتو وعانقها بقوة وهو يقبل رأسها: "عمتي صوفيا... اشتقت إليك كثيرًا".

"روبرتو، روبرتو... ماذا يمكنني أن أقول؟ أنت من تركنا وغادر إلى روما".

"ليتني أستطيع المكوث بينكم يا عمتي، فلا حياة بلا عائلة".

"إذًا عليك البحث عن عمل ينقلك إلى ميلانو". قال إنزو العجوز وهو يتناول شريحة من اللحم المشوي.

"متى وصلت يا والدي؟".

حدق إنزو إلى ولده وسأله باستغراب: "هل تسألني هذا السؤال؟ أنا هنا منذ أسبوع يا ولد!".

ضحك الجميع وأكملوا عشاءهم بين أحاديث روبرتو وسعادة إنزو بقدوم ولده بعد غياب دام ستة شهور منذ لقائهما الأخير.

* * *

سار روبرتو وهو يتأبط ذراع والده عندما وصلا إلى حي كيوتشولا، وصوتهما يعلو بألحان إيطالية فلكلورية توثق سباق الخيول (الباليو). هذا السباق الذي ظهر قبل 140 عامًا حيث قررت الأحياء السبعة عشر في مدينة سيينا الدافئة أن توقف النزاعات بينها وتكتفي بسباق يعلن فيه فوز حي واحد من بين السبعة عشر، فوز يحتفي فيه الحي كأنه يوم تحرير، ويصبح البطل فيه الحصان لا راكبه، لأنه قد يفوز حتى وإن سقط راكبه!

كانت ساحة (ديل كامبو) تستعد لسباق الغد عندما مر روبرتو ووالده من جانبها فقد وصلت شاحنات التراب المخصصة للسباق وبدأت ترصه فوق الأرضية المبلطة للساحة بدقة حتى لا تتعثر الأحصنة أو فرسانها، ورغم ذلك لا بد لأحد الفرسان أن يسقط في الحلبة كل عام أو يتعثر أحد

الأحصنة مصابًا في منعطفات الساحة الحادة، فلا ينسى روبرتو ذلك السباق عندما سقطت جيرافا خاسرة لينهار والده باكيًا أمامه وهو يقول: "دائمًا يحدث لنا ذلك، دائمًا يصاب حصاننا أثناء السباق ونخسر" وارتمى إنزو في حضن ولده باكيًا كطفل صغير، توقف روبرتو قليلًا، ونظر إلى وجه والده للحظة.

"ما بك؟".

ابتسم روبرتو وقال بنبرة دافئة: "لا شيء، ولكن الفوز سيكون من نصيب جيرافا غدًا".

قال والضحكة تعلو صوته بمرح: "بالطبع سيكون الفوز لنا".

ما إن أنهى جملته حتى كان لوكا أمامهما يقول بنبرة متشددة: "بل لكيوتشولا يا إنزو".

ضحك روبرتو وهو ينظر إلى عمه لوكا الذي كان أيضًا في منتصف السبعينات، ولكنه أكثر وزنًا من والده بقليل، رأسه الأصلع يجعله يبدو أكبر من إنزو الذي لا زال يحتفظ بشعره الكثيف الأبيض ما يجعله وسيمًا كولده: "عم لوكا...".

قال لوكا وهو يعانق روبرتو: "أيها الشقي متى وصلت! ألن نحتفل بزفافك هذا الصيف؟".

أجابت مارتينا: "بلى يا والدي".

"مارتينا ابنتي لقد وصلت أنت الأخرى".

"وهل أستطيع ألا أكون هنا!".

اقتربت مارتينا من روبرتو الذي اتجه نحوها وعانقها بشدة: "اشتقت إليك، لماذا لم تحضري إلى روما الأسبوع الفائت؟ ألم تخبريني أنك قادمة؟".

"لم أستطع، لقد وضعوا لي مجموعة جديدة من الرحلات لغياب إحدى المضيفات في شركة الطيران".

قال لوكا: "أتعلم يا روبرتو؟ سنواجه مشكلة يوم زفافكما".

سألته مارتينا: "أي مشكلة يا أبي؟".

"في أي حي ستقيمان حفلكما؟".

أجاب إنزو: "في ميلانو".

قالت مارتينا وهي تتأبط ذراع والدها بدلال: "حُلّت المشكلة إذن".

ضحك الجميع وتوجهوا نحو منزل لوكا وفي تلك الأثناء استوقفت شابة روبرتو ومارتينا وهي ترتدي ثيابًا ريفية وتضع منديلًا ملونًا غطى شعرها وقالت بنبرة فرنسية: "هل لي ببعض الطعام؟".

قالت مارتينا بحيوية: "نعم بالطبع... إنه يوم الباليو يا عزيزتي".

دخلت إلى المنزل وخرجت بعد لحظات وناولتها بعض الطعام. أصاب الخوف قلب مارتينا حينما وجدت أن الفتاة الشابة عمياء لا تستطيع رؤية الطريق فقالت لروبرتو: "أعتقد أن عليك إيصالها...".

ابتسمت الفتاة قائلة: "لا تقلقي أنا بخير..." ثم اقتربت من مارتينا ببطء وهي تضع كفها على كتف مارتينا وروبرتو بجانبها أصابه القلق من تصرفاتها فقالت: "لا تخف يا سيدي لن أؤذيها، لا يمكن لي أن أؤذي قلبك السائر على الأرض".

تفاجأ روبرتو من كلامها وقال: "ماذا تريدين أيتها الفتاة؟ ألم تحصلي على الطعام؟".

اقتربت الفتاة أكثر من مارتينا وقالت بنبرة خافتة والليل يبث القشعريرة في جسد مارتينا المتعجب مما يحصل "فليهدأ جسدك الغض بين يدي لا ترتعشي...".

احتضن روبرتو مارتينا وقال بتوتر: "أنت أيتها الفتاة..". قاطعته مارتينا قائلة: "دعها...".

صمتت الفتاة لبرهة وكفها لا تزال على كتف مارتينا ثم قالت: "هناك رحلة ستحمل على متنها كل الأحلام وفي قلبها سترحلين بين راحة تمنيتها وخوف لم تعرفيه مطلقًا.. حنين، شوق، حب، وفجأة... لا شيء... ثم تمضين".

"ماذا تعنين؟ هل ستكون هناك رحلة ناجحة لي؟".

ابتسمت الفتاة وهي تزيل كفها عن كتف مارتينا التي كانت كل عروقها تنبض بشدة وقالت وهي تضع كفها على قلبها النابض: "هنا ربما..." ثم رفعت الفتاة العمياء عينيها الممسوحتين تمامًا إلى السماء وقالت: "أما هناك...." صمتت الفتاة العرافة وغادرت فجأة كما ظهرت فجأة بلا جواب. وقفت مارتينا وهي لا تعرف ما الشعور الذي تملكها في هذه اللحظات، ولكنها أمسكت بذراع روبرتو بلا تفكير. في تلك الأثناء رن هاتف روبرتو: "نعم روبرتو جوفاني".

"سيد جوفاني.. لقد تم تحديد شهر إطلاق الفيروس، سيكون في ديسمبر قبل نهاية العام وخلال أسابيع سنزودك بتاريخ اليوم".

"ولكن لم يكن المخطط قائمًا على إطلاقه هذا العام! ماذا حصل؟".

"طرأت أمور... فقط انتظر الموعد الذي سنوافيك به".

اقتربت مارتينا منه بشعرها البني المنسدل بفوضى فوق كتفها السمراء وعظامها البارزة من تحت القميص القطني العسلي وبنطالها الأسود،

والقلق لا زال يغلفها وقالت وهي تخطف الهاتف الخلوي من بين يديه: "لن يكون هناك اتصالات الليلة، إنه الباليو يا عزيزي".

حدق إليها روبرتو بصمت وبريق عينيه الذي كان يعلو وجهه عند دخول مدينة سيينا قد خبا والجملة التي سمعها لا تزال ترن في رأسه كقرع طبول *"لقد تم تحديد شهر إطلاق الفيروس، سيكون في ديسمبر قبل نهاية العام"*. جرّت مارتينا روبرتو إلى المنزل ليجتمعا مع العائلة وهو لا يزال شاردًا.



الفصل الرابع

ووهان - الصين

سارت نادين بجانب وانغ لي في زقاق هوبو القديم الذي تعبق فيه رائحة الطعام الصادرة من الأكشاك المترامية على الأطراف، والتي تموج فيها الألوان المختلفة بسبب تنوع الأطعمة الموجودة أمام واجهات المحال المفتوحة. بينما كان الشارع الذي بدأ ينبض بالحياة مع قرقعة أقدام السائرين في حناياه بسرعة يعج بالزبائن المختلفين من سياح أو سكان المنطقة الأصليين. اصطف الجميع في طوابير بانتظار الحصول على وجباتهم السريعة ليتناولوها ويكملوا نهارهم الطويل. كانت الروائح تمتزج من حولها تمامًا كامتزاج الصين بين ماضٍ أسطوري يخلده التاريخ، وتكنولوجيا حاضرة تبسط نفوذها فوق سطح الدولة كأخطبوط لتجدها في كل التفاصيل حتى في التسول!

اقترب وانغ لي من أحد المتسولين الذي يجلس على طرف الشارع محاولًا الحصول على بعض المساعدة لعله يجد قوت يومه: سأله وانغ لي: "هل أدفع لك عن طريق تطبيق الوي شات؟" وهو يحاول تقديم المساعدة للمتسول.

أجابه المتسول وهو يشير إلى كود كيو آر QR. معلق أمامه: "كما ترغب يا سيدي...". اقترب وانغ لي من الكود ومسحه وأضاف للرجل 10 يوانات (العملة الصينية). انحنى الرجل شاكرًا وانغ لي.

جالت نادين في المكان مبتسمة ثم ظهر آدم حاملًا كيسًا ورقيًا بين يديه "لقد أحضرت لكما الفطور".

قال وانغ لي: "حسنًا سنتناوله مع والدي في المنزل".

قالت نادين وهي تقلب الكيس الذي يحتوي على أربعة صحون كرتونية تفوح منها رائحة معجون السمسم والصويا والخضار: "ما هذا؟".

"إنها آر قان ميان".

"ولكنني لا آكل النودلز الحار".

"ولا أنا ولكن لا يمكنك تفويت الآر قان ميان هنا في هوبو يا نادين". أجابها آدم وهو يسير إلى جانبها بهدوء.

قال وانغ لي وهو يسير بخطوات سريعة: "إذا أردنا تناول هذا الطعام وهو لا يزال ساخنًا عليكما الإسراع قليلًا".

كان آدم يسير بخطواته الثقيلة بجانب نادين وقال لوانغ لي: "تستطيع تناوله هنا، لا أعتقد أن العجوز تشن لم يتناول وجبة فطوره بعد". نظر إلى ساعته وأردف قائلًا: "إنها التاسعة الآن".

سار الجميع باتجاه الحي القديم القابع خلف شارع هوبو متوجهين إلى منزل العجوز وانغ تشن.

* * *

كان وانغ تشن يقف في وسط زقاق حيه القديم حاملًا عصا خشبية يعلّق عليها ملابسه المغسولة فوق الحبال المدودة بين المنازل، فتلك العادة كانت شائعة بين سكان الحي. اقترب وانغ لي من والده وحمل العصا عنه قائلًا: "أبي! ماذا تفعل؟ أعطني هذه".

وقف وانغ تشن العجوز الذي كانت خطوط الزمن ترتسم على محيّا وجهه المبتسم وأخذ العصا من ولده. "ومن سمح لك بأخذ العصا ونشر الغسيل عني يا ولد؟ هل تراني عجوزًا؟". علق وانغ تشن قميصه على حبل الغسيل ثم اقتربت نادين منه وقالت: "كيف حالك يا عم تشن؟".

قال تشن بنبرة مرحة "نادين! لقد حضرت إلى ووهان أخيرًا".

اقتربت نادين من تشن وعانقته برقة وقالت: "أخيرًا استطعت الحصول على إجازة لزيارة ووهان وها أنا..." عندها قاطعهم وانغ لي وهو يدخل باب المنزل "ما رأيكما أن نكمل الحديث في الداخل يا أبي فالطعام هذا لا يزال ساخنًا".

نظر تشن إلى وانغ لي بصمت وقال بنبرة جادة "فطور؟ هل هناك من لا يزال يفطر الساعة 9:30 صباحًا! سيقترب موعد وجبة الغداء وأنت تقول فطور". نظر آدم إلى وانغ لي وهو يبتسم متهكمًا، وضع تشن عصاه على طرف باب المنزل الخشبي العتيق ودخل ليتبعه الباقون وقال: "لا فائدة منكم أيها الجيل الجديد".

كان الحي القديم المجاور لشارع هوبو والذي يسكنه وانغ تشن، لا يزال حيًّا رغم المئة عام أو أكثر المارة فوق تفاصيل شارعه المبلط، وجدران منازله العتيقة، ووجوه سكانه التي رسم الزمن بضعًا من رتوشه فوق بشرتهم الجافة وشعرهم الأبيض، وتجاعيد أيديهم التي أنهكتها السنون، فوانغ تشن لم يستطع ترك عالمه القابع هنا فوق العتبات القديمة، والمحال الصغيرة، والقصص التي يحيكها جيرانه بين الحين والآخر والتي يحب تصديقها حتى وإن كانت كذبًا! لم يستطع وانغ تشن أن يرحل تاركًا خلفه صوت الأغاني التي يدندنها صديقه حينما تبحر أوراق شجر الكرز

الوردية الناعمة مع هبات النسيم في نيسان معلنة قدوم الربيع وهما يجلسان على قارعة الطريق هنا. لم يستطع ترك كل ذلك الدفء الذي يحمله حيه الذي رُبّي فيه طفلًا، ليسكن معلقًا بين السماء والأرض في شقة ابنه وانغ لي الموجودة في برج من أبراج ووهان العالية والكثيرة، والتي لا تستطيع تمييزها لتشابهها، فكلها واحدة لا تستطيع تمييزها سوى من رقمها! تمامًا ككل شيء في الصين فالوجوه تشبه بعضها، والمباني تشبه بعضها، والمطاعم تشبه بعضها، حتى الأرواح باتت تشبه بعضها، خاوية لا تعرف من الحياة سوى شاشة الهاتف الخلوي وتطبيقاته.

"وجبة الفطور التي تتناولونها الساعة التاسعة والنصف تسمى هنا في ووهان (قوه تزا) أتعلمون لِمَ سميت بهذا الاسم؟" قال وانغ تشن وهو يرشف الماء الساخن أمامه.

قالت نادين "قوه تزا.. الكلمة مأخوذة من معنى الإيقاع أو السرعة".

ابتسم تشن وهو يضع كؤوسًا من الماء الساخن أمامهم وقال: "هذا صحيح يا عزيزتي، سميت بذلك لأنها تعني السرعة، فالناس هنا في ووهان لم يكونوا يستطيعون اللحاق بأعمالهم لذا كانوا يتناولون فطورهم وهم متوجهون إلى أعمالهم على قارعة الطريق، وأنتم تتناولونها الآن الساعة 9:30".

نهض آدم ليلقي ببقايا طعامه في سلة المهملات القابعة بجانب باب المطبخ الصغير وتناول سيجارة من جيبه وأشعلها، عندما قالت نادين: "أتعلم يا عم تشن، لقد استغرق الأمر مني طويلًا حتى تعوّدت على شرب الماء الساخن بدلًا من البارد هنا في بكين ولكن الآن وبعد مكوثي عامين وأكثر لم أعد أستطيع شرب الماء البارد".

قال تشن ببرود وهو يقترب من آدم وقد سحب السيجارة المشتعلة من فمه وأطفأها تحت ماء الصنبور وألقاها في سلة المهملات "الماء الساخن هو الأفضل للصحة يا آدم، الصحة! هل فهمت يا بني؟ لذا التدخين غير مسموح به في منزل وانغ تشن".

قال آدم وهو يبتسم لتشن "نسيت الأمر يا عمي، عذرًا".

"حينما يتوقف صدرك عن استقبال الهواء النقي بسبب هذا الشيء اللعين الذي تتناوله ستعلم أن ما أقوله لا يُنسى".

قال آدم بهدوء "بكل تأكيد" ثم وجه كلامه لنادين قائلًا: "إلى متى أنت هنا يا نادين؟".

"عليّ العودة إلى بكين بعد غدٍ صباحًا".

"إذن، لنذهب اليوم إلى البركة الشرقية وغدًا نأخذك إلى برج الطائر الكركي الأصفر"، قال وانغ لي وهو ينهي وجبته.

* * *

سارت نادين ببطء فوق الممر الأخضر الطويل الواقع فوق نهر اليانغتسي والذي يفصل منطقة ووهان إلى ثلاث مدن وهي هانكو، وتشانغ، وهانيانغ. كان وصولها إلى الصين وصولًا ممزوجًا بالألم حينما غادرت أتلانتا وهي تودع كل سنوات عمرها هناك في لحظة. فالمكان هنا كان صفحة منسية في عمر الزمن لا يشعر بأثيرها إلا المارّون فوق البركة الشرقية برائحتها الرطبة، لذا تأبطت نادين ذراع العم تشن لتستمتع بفحوى الزمن من خلال أحاديثه العابرة. توقفت نادين فجأة حينما ارتطمت بأحد المارة وهي شاردة فرفعت رأسها قائلة: "عذرًا.. لم..." انقطع صوت نادين الصامتة بشحوب بصوت

وانغ لي الذي وقف بجانبها وهو يقول بنبرة متفاجئة "لؤي؟ ماذا تفعل هنا؟".

أجاب لؤي الذي كان يحدق إلى نادين الواقفة أمامه بشعرها الأحمر القاني المبعثر بعبث: "لقد توقعت أن أجدك هنا، على ما يبدو لم يخبروك بقدومي بعد".

"بل أخبروني بذلك" صمت وانغ لي قليلًا ثم أكمل بنبرة حذرة: "ولذا أعتقد أن هناك الكثير من التفاصيل علينا التحدث بها".

كانت نادين تنظر إلى وانغ لي بتوجّس بعد أن سمعت جملته الأخيرة تلك التي قالها للؤي! فما هو الذي سيجمع وانغ لي رئيس مختبر فيروسات ووهان ذات المستوى الرابع بلؤي رئيس مختبر فيروسات أتلانتا والذي تعرف جيدًا أن ظهوره حيث يوجد لا يعني سوى القلق من كل شيء. فهل ما هربت من أتلانتا بسببه لحقها إلى هنا الآن؟

كانت نادين تستمع لحديثهما بصمت شارد حتى أنها لم تلحظ مغادرة لؤي عندما قال لها وانغ لي: "نادين، هل أنت بخير؟".

"لماذا لم تخبرني بأن لؤي قادم إلى الصين؟".

"لقد علمت بالأمر البارحة ولم أجد الفرصة المناسبة لإخبارك".

"وما هي التفاصيل التي عليكما التحدث بها؟".

قاطع العم تشن حديثهما قائلًا: "إن بقيتما تسيران على هذا النحو، فلن نلحق الغروب أمام البركة".

سارت نادين حاملة كل ثقل نهر اليانغتسي الضخم فوق أنفاسها الضيقة رغم هدوء الأجواء. بينما كان هناك سؤال واحد لا يزال يقرع في رأس وانغ لي منذ أن لمح لؤي: "هل من الممكن أن تكون وثائق البنتاغون هي السبب في وجود لؤي هنا؟".

الفصل الخامس

سيينا - إيطاليا

حلّق الحمام الغافي في ساحة (ديل كامبو) فجأة في السماء معلنًا شروق يوم الباليو الذي سيبدأ بعد بضع ساعات، أما الشوارع الساهرة أمس حتى ساعات الليل الأخيرة فقد ضجت باكرًا بأقدام المارين وساكني المنطقة الذين بدأوا يستعدون لاستقبال اليوم المشهود، فخرج سكان مدينة سيينا من أحيائها السبعة عشر متوجهين إلى أماكن التجمع التي فتحت خصيصًا لاستقبال الشباب والفتيات الذين سيشاركون في المسيرة التي تسبق السباق، حيث بدأ الجميع بارتداء ملابس القرون الوسطى. فهذا بلباس فارس وذلك بلباس جندي قديم وأخرى بلباس أميرة أقرب للأميرة النائمة عبر قرون، تنوعت الألوان والرايات المعلقة في أنحاء سيينا حتى باتت جدرانها الطينية القديمة أقرب منها لحقل زهور من جدران بالية تكاد تسقط بشقوق زمن لا زالت تحفر في طينها حتى الآن. لتبقى المنافسة قائمة في أحياء سيينا من الآن وحتى نهاية السباق يسودها الحب رغم الحماس.

في تلك الأثناء كان إنزو يمشي مسرعًا ليلحق كل تفاصيل اليوم من بدايته: "هيا يا روبرتو، سنتأخر على الكنيسة يا بني".

وصل إنزو وابنه روبرتو إلى كنيسة سانتا ماريا القابعة في جيرافا وكان الجميع يدخلون بواباتها المفتوحة على مصاريعها فوق السجادة الحمراء التي افترشت أرض ممرها الطويل، والذي جلس الحاضرون على جانبيه

بتوتر وحماس وهدوء لاستقبال الحصان المشارك في الحدث حتى يتم مباركته داخل الكنيسة. جلس إنزو وروبرتو بجانب العمة صوفيا. "ظننت أنكما لن تأتيا، لقد تأخرتما كثيرًا".

قال إنزو لصوفيا وهو يعاتب روبرتو "لقد غلب النوم روبرتو حتى كدت أغادر من دونه".

ضحكت صوفيا بصوت خافت ثم استدارت نحو روبرتو وهي تغمز له بعينها: "ألم تكن مارتينا في الحي؟".

ضحك إنزو وقال: "نعم، فلو بقيت بانتظاره لفاتنا الباليو نفسه!".

كان روبرتو يجلس بين إنزو وصوفيا وهما يتبادلان الحديث أمامه حتى شعر بأنه كطفل في الصفوف الأولى من مدرسته. وما أن دخل الحصان إلى الكنيسة حتى قال: "لقد وصل الحصان، دعكما من نومي الآن ولنسمع البابا وهو يباركه".

دخل الحصان إلى مذبح الكنيسة ثم صمت الجميع ليبدأ الكاهن بترديد "بمباركة الرب، فلتخرج للسباق من هنا لتعود منتصرًا".

علا صوت الحاضرين بكلمة "آمين" ثم خرج الجميع في مسيرة كبيرة خلف الحصان وقائده وأصواتهم تعلو بهتافات حماسية، وترديدات تبث الطاقة في نفس القائد سعيًا للفوز، لا من أجله بل من أجل كل أولئك المتجمهرين المحبين الذين لا يريدون سوى فوز حيهم بالسباق. وفي تلك الأثناء اقترب رجل عجوز يرتدي وشاح حي كيوتشولا من إنزو والد روبرتو وقال بلكنة إنجليزية أمريكية "سيدي.. أين ساحة ديل كامبو التي سيقام فيها السباق؟" حدق إليه إنزو وهو يحاول فهم ما يقول فأجابه بالإيطالية: "هل تتكلم الإيطالية؟".

"لا..".

فقال إنزو متسائلًا "ديل كامبو؟".

"نعم، ديل كامبو".

عندها اقترب روبرتو من الرجل وقال بلكنة إنجليزية واضحة: "هل تبحث عن ساحة السباق يا سيدي؟".

"نعم" هز الرجل رأسه.

"يمكن لك أن تسير معنا فنحن باتجاهنا إليها".

"حسنًا.. شكرًا لك" سار الرجل العجوز السائح بجانبهم وإنزو غير راضٍ عن وجود من يرتدي وشاح الكيوتشولا بينهم.

وصل الجميع إلى ساحة (ديل كامبو) التي باتت جاهزة تمامًا للسباق وكأنها ليست مجرد ساحة مبلطة، بل مضمار سباق ضخم من قبل العصور القديمة التي غفت في أحضان إيطاليا العتيقة، صعد روبرتو وإنزو وصوفيا إلى التراس المطل على المضمار حيث كان هناك باقي أفراد العائلة.

اقترب لوكا من إنزو وقال: "مجرد دقائق قليلة وسنعلن فوزنا".

قال إنزو بنبرة تحدٍّ "لنرَ يا عزيزي ما سيحدث" صمت إنزو قليلًا ثم قال: "ما رأيك أن نتراهن يا لوكا".

"نعم، هذا رائع".

كانت العائلة كلها تراقب الرهان الذي سيتم بين إنزو العجوز ولوكا.

"حسنًا... مممم" وقف إنزو صامتًا قليلًا وقال: "إذا فزنا ستغادر معي إلى ميلانو وتمكث هناك شهرًا".

"جيد، وإذا خسرت؟" قال لوكا وهو يفكر ثم أكمل: "تدفع لي 1000 يورو".

انفجر الجميع ضحكا وقال روبرتو "لوكا العجوز غلبك يا والدي" في تلك الأثناء اقتربت مارتينا التي طبعت الشمس لونها على وجنتيها البرونزيتين من روبرتو وقالت وهي تضع يدها فوق قبعة القش التي تعتمرها ونظارتها الشمسية تخفي عينيها العسليتين خلفهما "بل عمي إنزو من غلب يا روبرتو فهو يعرف جيدًا أن الذهاب إلى ميلانو والخروج من سيينا هو أكبر خسارة لوالدي".

ثم اقتربت مارتينا من روبرتو الذي لف ذراعه على خصرها وقال: "وما رأيك أن تخسري أنت أيضًا وتحضري معي إلى روما يا مارتينا؟".

ضحكت مارتينا بدلال وهي تقترب من روبرتو قائلة: "ولماذا لا تخسر أنت؟".

"لأنني دائمًا الخاسر الأكبر في أحضانك يا حبيبتي".

"يا لجمال روما حينما تلقي سحرها عليك وأنت في سيينا".

أخرجت مارتينا هاتفها النقال واتصلت: "ماريا... أخبري أندريه أنني في إجازة لمدة أسبوع" صمتت للحظات وهي تستمع للطرف الثاني من المكالمة ثم أكملت قائلة: "لا يهمني، رتبوا جدولي مع مضيفة أخرى... لا ليس لديّ عذر طبي فأنا بخير!".

أطفأت الهاتف واقتربت من روبرتو لتعانقه قائلة: "اعتبرني خاسرة وأنت الفائز هذه الليلة".

اقتربت صوفيا وهي ترى مارتينا تضع وشاح الكيوتشولا فوق كتفيها "ما جمعه الحب يفرقه الباليو يا عزيزيّ، ألن تشجعا حيًّا واحدًا؟".

نطق كل من روبرتو ومارتينا بنفس اللحظة "لا".

ضحكت صوفيا وقالت: "هكذا هي إيطاليا، يجمعها الحب ويفرقها الذوق ويبقى الجميع تحت مظلة واحدة مهما اختلفوا، مظلة العائلة".

صمتت صوفيا فجأة عندما بدأت الأحصنة تصطف أمام الساحة يعتليها راكبوها، يفصل بينها وبين لحظة السباق صافرة البدء وشريط قماشي خفيف سيسقط أرضا لحظة الانطلاق، عندها تركت صوفيا روبرتو ومارتينا وهي تقول "هيا هيا دعوا الحب الآن جانبًا... سيبدأ الباليو".

عمّ الصمت ساحة (ديل كامبو) بكل روادها الستين ألفًا على الأرض والآخرين المعلقين فوق التراسات المحيطة بالساحة، وما أن انطلقت صافرة البداية حتى صرخ كل الحاضرين صرخة واحدة معلنة أن الحدث الأغرب والأكثر جنوناُ في إيطاليا قد بدأ، انطلقت الأحصنة بقوة. لوكا يصرخ مشجعًا حصانه. إنزو ينادي على حصان حي جيرافا كمن يعتقد بأن الحصان سيفهم لغته. الوقت يمر بطيئًا رغم أنه لا يتجاوز التسعين ثانية. الجميع يشجع حتى روبرتو أخذ يصرخ على الحصان ليسرع أكثر، أما مارتينا فكانت على الطرف الآخر تصرخ "الفوز لكيوتشولا كونترادا".

تنازع حصان كيوتشولا الصدارة مع جيرافا بينما بقيت الأحصنة الأخرى في الخطوط الخلفية.

انتهت اللفة الأولى وكيوتشولا لا يزال في المقدمة.

جيرافا تفصله بضع خطوات عن كيوتشولا المتصدر.

الحصانان اقتربا من بعضهما. جيرافا يسابق كيوتشولا.

جيرافا يسبق كيوتشولا، تبقت بضع ثوان. سينتهي السباق. الصراع لا زال بين الحصانين يشتد ببضع خطوات. هتاف العائلة يعلو وأصواتهم تختفي من شدة الصراخ. مرت التسعون ثانية. سقط كيوتشولا خاسرًا في

المركز الثاني، وفاز جيرافا بالمركز الأول بعد صراع متقارب جدًّا بين الحصانين. أعلن فوز جيرافا وصرخ إنزو قائلًا: "لقد قلت لكم الفوز لجيرافا، نعم الفوز لجيرافا".

ركض إنزو يعانق الجميع وهو يقفز ويرقص ويضحك ليرسم بخطواته الراقصة لوحة سعادة لا يعرفها سوى الإيطاليين في يوم الباليو "لقد فزنا، نعم فزنا".

كان التراس يعم بالفوضى والرقص والغناء عندما وقف روبرتو فجأة بين أجساد المحتفلين من عائلته التي تتخبط به يمنة ويسرة، فلقد خطف منه ذلك الشاب الضخم الذي يرتدي الأسود في زاوية التراس البعيدة كل ضجة الاحتفال التي لا زالت تعج من حوله بوقوفه البارد والهادئ، فروبرتو كان يشعر بنظراته الحارقة من خلف النظارات السوداء التي كان يضعها فوق عينيه، لتخفي معالم وجهه عن الجميع إلا روبرتو الذي كان يعرفها جيدًا.

دياسايد! ماذا تفعل هنا في قلب الباليو؟

اعتلى السؤال رأس روبرتو بصمت والخوف يكاد يسرق نبضات قلبه، فوجود دياسايد في أي مكان كاسمه تمامًا لا يعني سوى الموت، فلِمَ هو هنا؟ وعلى هذا التراس بالتحديد؟

من ستقتل هذه المرة يا دياسايد؟

حاول الوصول إلى دياسايد قبل أن يضيّعه علّه يفهم سبب وجوده هنا. ورغم صغر المساحة في التراس إلا أن فوضى الاحتفال وذراع صوفيا التي أمسكت به وهو يسرع خطواته باتجاه دياسايد حالت دون الوصول إليه، قالت وهي تمنع روبرتو من المغادرة: "إلى أين أنت ذاهب يا روبرتو، لنرقص، لقد فزنا".

تخلص روبرتو بسرعة من ذراعها دون أن ينطق بكلمة واحدة محاولًا ألا يفقد أثر دياسايد الذي اختفى فجأة من المكان، وما أن وصل روبرتو إلى الزاوية التي كان يقف فيها، حتى وجد السائح الأمريكي العجوز الذي سأله عن ساحة الديل كامبو سابقًا يسقط بين يديه، قائلًا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة "لقد كان عليهم فعل ذلك يا روبرتو، فالأسرار باتت مكشوفة، وأنت عليك التخلص من وانغ لي الآن".

الفصل السادس

ووهان - الصين

كان وانغ لي يسير بشرود بجانب نادين وآدم عندما قالت له نادين "كيف حال والدك اليوم؟".

"لا يزال متعبًا بعض الشيء، وأنت تعرفين يا نادين أن والدي لا يقتنع إلا بعلاج الأعشاب. حاولت كثيرًا إقناعه بتناول الأدوية ولكن بلا فائدة".

قال آدم بنبرة باردة وهو ينفث دخان سيجارته: "لأعشابكم تأثيرها الطبي في كل أنحاء العالم، لذا أعتقد أنه من الأفضل أن تترك للعم تشن حرية علاج نفسه".

"وهذا ما فعلت".

فجأة قالت نادين وهي تضع كفها فوق شفتيها باندهاش" ما هذا؟".

"هذا سوق هوانان يا عزيزتي نادين"، قال آدم بنبرة كمن يعرف بضيف.

ضحك وانغ لي من رد فعل نادين وقال: "لا أدري ما الذي أتى بنا إلى هنا ولكن يبدو أنه مقدر لكِ أن تري هذا السوق الذي يعتبر مخالفًا للقوانين هنا في ووهان".

"ولماذا إذًا هو مفتوح؟" تساءلت نادين.

"لأن الناس لا يعتقدون بأن ما يفعلونه خاطئًا"، أجاب وانغ لي وهو يجرها للدخول معه. "هيا تعالي، لا يمكن لكِ أن تفوتي الدخول إلى هنا ما دمت في ووهان".

"لا.. لا يمكن لي دخول المكان".

"هيا يا نادين، إنه مجرد سوق لإعدام الحيوانات لا البشر". قال آدم وهو يسحق عقب سيجارته بكعب حذائه على باب السوق.

قالت نادين بعصبية "تقولها وكأن الحيوانات ليست مخلوقات حية، تشعر مثلنا تمامًا نحن البشر ولكن لا تستطيع النطق".

"حسنًا يا عزيزتي، إن كنت ستفكرين بهذه الطريقة فأعتقد أن هذا المكان ممنوع لمن هم دون 18 سنة"، قال آدم ببرود وهو يبتسم.

دخلت نادين المكان وهي تخفي مشاعر الاشمئزاز تحت صفحة وجهها البارد، فالسوق الفوضوي المغطى بشوادر بلاستيكية ممزقة فوق رؤوسهم تخترقه الشمس من جهة والظلال من جهة أخرى. كانت تعتلي رفوفه الخشبية البالية المتناثرة كافة أنواع الحيوانات الميتة، من أفاعٍ، وكوالا، وفئران، وكلاب، وخفافيش، وغيرها. كانت بعض الحيوانات لا تزال حية تنتظر إعدامها كما قال آدم، وبعضها معلقة للبيع وأخرى غرست في أسياخ وباتت جاهزة لتناولها بعد أن شويت على النار. وضعت نادين كفها على فمها حينما بدأت تشعر بالغثيان بينما كان وانغ لي يقترب منها ويقول: "الناس الذين يزورون الصين يقولون دومًا إن الصينيين يأكلون كل ما يمشي على الأرض عدا السيارات، وكل ما يطير في الهواء عدا الطائرات، وكل ما يسبح في البحر عدا السفن، وهذا صحيح".

"ولكن هذا مقزز"، قالت نادين بصوت مكتوم.

"إنها ثقافة متوارثة يا نادين لا يمكن لها ان تندثر لمجرد شعور بعض الناس بالاشمئزاز منها"، قال وانغ لي وهو يجول في السوق بشكل عادي.

"إن هذا المكان بؤرة من الأمراض المتنقلة، ألا تشعر بذلك؟" قالت نادين.

"وحتى إن شعرت سيبقى الناس يتناولون هذه الحيوانات، فشعبنا حينما سقط صريع المجاعة في القرون الماضية قرر أن كل ما يمشي على هذا الكوكب يحق لنا أكله، فإما نأكلهم ولا نجوع، وإما يأكلوننا ونحن جياع، فقرر شعبنا أن البقاء للأقوى".

"وانغ لي أريد أن أخرج من هنا أرجوك، لا أستطيع البقاء أكثر"، قالت نادين وهي تجر ذراع آدم. "أخرجني من هنا يا آدم بسرعة".

سار آدم بنادين بسرعة خارج السوق وما أن وصلت الشارع حتى وقفت لتأخذ نفسًا عميقًا وما كادت أن تفعل ذلك حتى اصطدم بها شاب يحمل في يده صحنًا من الشوربة التي تحتوي على الخفاش، فحدقت إليه نادين مذعورة بينما اعتذر هو بدوره وسار باتجاه طرف المكان وجلس لتناول الصحن الذي بين يديه بلذة.

"يُقال إن شوربة الخفافيش لها طعم مميز"، قال وانغ لي من خلف نادين وهي لا تزال تمعن النظر باندهاش تام في الشاب. بينما أشار وانغ لي لنادين وآدم أن يسيرا بالاتجاه المعاكس للخروج من هنا. سار الجميع في الشارع المعاكس لسوق هوانان، ووانغ لي لا يزال يقول: "لقد حاولت أكثر من مرة تجربتها ولكن ضميري الطبي كان يمنعني من ذلك، لمعرفتي كم تحمل الخفافيش من أمراض قد تنقلها للإنسان في ثوانٍ معدودة".

"جيد أن ضميرك الطبي لا يزال يقظًا"، قالت نادين.

"عليك أن تحذر يا صديقي إذا تناولتها، فلا تدري قد ينتشر مرض ما عندها، وتصبح أنت مصدر العدوى والوباء في العالم كله" قال آدم ممازحًا.

"لا لن أفعلها أبدًا بكل تأكيد"، ضحك وانغ لي ونادين لا تزال تحاول التنفس بهدوء لاستنشاق أكبر قدر ممكن من الأوكسجين، بعد أن أصبحت في مكان بعيد تمامًا عن السوق.

"دومًا يقولون إن للنساء منطقًا آخر، وأعتقد أنهم محقون بذلك"، قال وانغ لي متهكمًا.

شربت نادين جرعة من كوب الماء الساخن الذي قدمه لها أحد المطاعم الصغيرة الموجودة على قارعة الطريق وقالت: "لماذا؟ ألأنني لم أتقبل دخولي هذا السوق؟".

"عندما دخل آدم المكان أول مرة لم يكن له أي رد فعل".

"وهل كان لآدم أي رد فعل يومًا أكثر من نفث دخان سيجارته؟!"، تهكمت نادين وهي تنظر إلى الدخان المحلق في الهواء من فم آدم الذي قال: "وأعتقد أن هذه الحلقات الدخانية رد فعلٍ كافٍ لكثير من الأمور".

كانت شوارع ووهان بدأت بالازدحام في ساعة الذروة حتى شعرت نادين بأنها فعلًا من أكثر المدن اكتظاظًا بالسكان هنا في الصين، ولكن لم يكن هناك ما يفوق بكين بذلك فالناس في محطات المترو والباصات هناك كانوا أشبه بمجموعة من الموتى السائرين على الأرض، فحركتهم البطيئة وخطواتهم الثقيلة بشكل متتالٍ ومرتب حتى يصلوا إلى الوجهة الأخرى تجعلهم أقرب إلى الموتى منهم إلى الأحياء، وشاشات هواتفهم التي تعلقت بها أعينهم طيلة الطريق المحفوظ في ذاكرتهم تجعل حياتهم أقرب إلى إحدى الألعاب الإلكترونية التي كان أغلب الصينيين مدمنين عليها أكثر من الواقع.

"أتعلمين أن هناك لغة خاصة للنساء لدينا في الصين"، قال وانغ لي.

"سمعت عنها، أعتقد أنها تسمى لغة الناشو".

"تقصدين النوشو، نعم إنها هي".

"يُقال إنها لغة سرية تُكتب بشكل عمودي، اخترعتها النساء لتنقل الرسائل فيما بينهن دون أن يلتقطهن الرجال في السابق، وكن يكتبنها فوق المراوح الورقية أغلب الوقت"، قالت نادين.

"نعم هذا صحيح ولا تزال هناك أقلية في المناطق الريفية تتقن قراءة لغة النوشو"، قال وانغ لي.

كانت لغة النوشو نورًا خافتًا أضفى على حياة نساء الصين رونقًا سمح لهن بالتعبير عن أنفسهن وعن أحلامهن وأسرارهن وعن كل ما راودهن. لم تكن هذه اللغة مجرد حروف صوتية مخالفة للغة الصينية فحسب بل كانت رمزًا لنضال المرأة ضد الهيمنة الذكورية في المجتمع، وكما قال تان دون سفير اليونسكو للنوايا الحسنة:

"لقد ساعدت هذه الكتابة نساء جيانغيونغ على تجفيف دموعهن ولكنها كانت أشبه بذلك الجسر القديم الذي أُقيم منذ 800 عام عند مدخل قرية شانغانغتانغ الذي انهار نصفه. وهكذا هي النوشو أيضًا، لغة مهددة بالاندثار".

لغة النوشو التي واجهت الموت منحت النساء الحياة فلم يعد يستهويهن الانتحار كالسابق، ولم تسجل أي حالات انتحار بينهن منذ ظهورها، نعم المرأة بالنوشو عشقت الحياة كما لم تعشقها من قبل ولم تعد حروفها مجرد أنشودة سرية، بل نوتة موسيقية طائرة في مهب الريح. لذا كان يجب على هذه اللغة أن تبقى حية وبناء عليه في سنة 2015، اعترفت المنظمة الدولية للمعايير بـ 397 علامة لكتابة النوشو، وفي مارس 2017 اعتُرف بها كلغة يمكن نقلها على أسس علمية.

"لقد وصلنا"، وقف آدم والقطار السريع أمامه، نظر في الساعة وقال: "سيقلع القطار خلال 10 دقائق، ها هي التذكرة" تناولت نادين التذكرة

وقالت وهي تبتسم "بلغا سلامي للعم تشن كنت أرغب برؤيته ولكن وقتي ضيق جدًّا ولا أستطيع البقاء أكثر" صمتت نادين قليلًا ثم قالت بنبرة معاتبة "وماذا أستطيع أن أقول يا وانغ لي أكثر من كلمة شكرًا لك على تضييع الساعات البسيطة لي في ووهان داخل سوق هونان".

ضحك وانغ لي وقال: "هوانان".

"أيًّا ما كان، قل لوالدك أنك السبب في أنني لم ألتقِه هذه المرة".

"لا تقلقي أنا سأخبره"، قال آدم.

ودعت نادين الجميع وركبت القطار وهي تلوح لهم من بعيد استعدادًا للعودة إلى بكين.

* * *

كان وانغ لي يجلس على الكرسي الخيزران القابع بجانب سرير والده الذي بات المرض يسيطر عليه أكثر، فأنفاسه المتقطعة ووجهه المتعرق وحرارته العالية أنهكت جسده العجوز حتى بات العم تشن لا يستطيع حتى نشر غسيله في الخارج. رن هاتف وانغ لي فجأة فنهض متناولًا هاتفه ورد خارج غرفة نوم والده، والليل بضوئه الخافت ينعكس على زجاج المنزل العتيق "آدم... كيف حالك؟".

"بخير، أخبرني كيف أصبح العم تشن؟".

"لا يزال متعبًا، سأنقله إلى المستشفى".

"ألهذا الحد وصل به الحال؟".

"نعم، فمنذ آخر مرة رأيتك بها ونحن مع نادين وحالته في تدهور مستمر".

"هل أحضر إليك الآن؟ لربما احتجت لمساعدتي".

"لا، لا داعي لذلك، لقد كلمت الإسعاف وهم في طريقهم إلى المنزل الآن".

"هل أنت متأكد من ذلك؟".

"نعم".

"حسنًا، كما تشاء فلتطمئني عندما تنقله إلى المستشفى".

"بكل تأكيد".

أغلق وانغ لي هاتفه وهو يعلم جيدًا، أن موت والده بات محتومًا فالفيروس الذي وجده في دمه، لا يشبه أي فيروس من سلالة فيروسات الإنفلونزا التي مرت عليه سابقًا، وأنه بات عليه السعي لما هو قادم. عندها تناول وانغ لي هاتفه وانتظر الرد على الطرف الآخر وقال: "لؤي، هل أنت من سرّب الفيروس من المختبرات؟".

أجابه لؤي بنبرة متفاجئة: "هل جننت؟ بالطبع لا!".

كان وانغ لي يحدق إلى الفراغ الممتد أمامه من خلف النافذة التي بدأت تظهر عليها انعكاسات أضواء سيارة الإسعاف التي وصلت الحي بصوتها الصاخب وقال: "علينا أن نلتقي يا لؤي، أراك لاحقًا".

أغلق وانغ لي هاتفه بينما بدأ ممرضو الإسعاف بدخول منزل والده لنقله إلى المستشفى وهو ينظر إلى جسد والده المرتمي بضعف فوق النقالة الخشبية دون حراك. جلس في المقعد الخلفي للسيارة والأفكار تتوالى في رأسه كمطبات الطريق التي كانت تسير فوقها السيارة فالتهديدات ومحاولات القتل المتعددة التي استطاع أن ينجو منها جعلته يدرك أنه بات محتومًا أن يشارك ما يخفيه مع أحد آخر.

الفصل السابع

بكين - الصين

كانت نادين تجلس في غرفة الاستراحة الخاصة بالأطباء في المستشفى العام في بكين لتشرب فنجان قهوتها الخالي من السكر بعد يوم عمل طويل وشاق، بينما دخلت إحدى الطبيبات المقيمات معها في نفس المستشفى وهي تتناقش مع زميلتها قائلة بلا اهتمام "نعم لقد وصلتني الرسالة على الوي شات، ولكن لا أعتقد أنها صحيحة فالرسالة غير واضحة وكل ما فيها مجرد اتباع إجراءات سلامة لا داعي لها".

"ولكن ما فهمته أن معظم الكادر الطبي وصلته نفس الرسالة".

اقتربت الطبيبة من نادين وقالت لها "هل وصلتك رسالة التحذير الخاصة بالفيروس يا نادين؟".

كانت نادين تحاول الاتصال بآدم ولكن كان هاتفه مغلق عندما أغلقت هاتفها وقالت: "ماذا؟".

قالت الطبيبة تشانغ سو "الرسالة التحذيرية المجهولة التي تتحدث عن فيروس جديد".

"لا، لم تصلني، هل هو فيروس يصيب السوفت وير الخاص بالهاتف الخلوي؟".

ضحكت تشانغ سو وقالت وهي تشير إلى صديقتها أنها كانت محقة: "بالطبع لا عزيزتي.. إنه"، قاطع صوت المايكرفون كلامها

حينما سمعت أن عليها الذهاب للطوارئ الآن، غادرت تشانغ سو قبل أن تكمل كلامها لنادين التي ما أن عادت لترتشف فنجان قهوتها حتى رن هاتفها الخلوي بوصول رسالة، فتحت نادين الهاتف ووجدت رسالة نصية تقول:

"أرجو من جميع الكوادر الطبية ارتداء الكمامات والقفازات وكل احتياطات السلامة اللازمة عند انتشار الفيروسات، فهناك فيروس شديد العدوى شبيه بالسارس وسيكون سريع الانتشار إن لم يتم اتباع التدابير اللازمة".

حدقت نادين بالرسالة مذعورة حينما قرأت اسم وانغ لي عليها ثم اقتربت منها الطبيبة وقالت: "ها قد وصلتك!".

نهضت نادين بعد أن وضعت هاتفها في جيبها وقالت: "عفوًا! لا يحق لكِ التجسس على هاتفي".

اعتذرت الطبيبة وقالت: "أنا آسفة، لم أكن أقصد ولكن هناك أمرًا ما.. لا يمكن لهذه الرسالة أن تصلنا جميعًا بالصدفة هكذا".

"نعم ربما" قالت نادين وهي تغادر الغرفة، ثم أخرجت هاتفها من جيبها محاولة الاتصال بوانغ لي الذي كان هاتفه مغلقًا، عندها اتصلت بآدم ولكن كان هاتفه هو أيضًا مغلقًا.

هل يُعقل هذا؟ أين أنتما؟ ما الذي يحدث؟

اقترب أحد الممرضين من نادين قائلًا: "دكتورة نادين المريض في الغرفة 415 بانتظارك".

هزت نادين رأسها بشرود وهي تضع هاتفها في جيبها "نعم، سآتي في الحال".

سارت نادين في الممر الطويل وذهنها لا يزال معلقًا في ووهان حيث آدم ووانغ لي وهاتفاهما المغلقان لا يستطيعان إيصالها إليهما لتفهم ما يحدث.

كانت نادين تجلس في غرفة الجلوس الصغيرة المضاءة بأضواء صفراء خافتة والتي تحتوي على تلك الأريكة الوثيرة ذات التصميم الحديث بلونها البني المحترق وطاولتها الزجاجية، وضع فوقها جهازها اللاب توب وكأس من الماء الذي على ما يبدو كان ساخنًا وبرد من كثرة مكوثه فوق الطاولة. حاولت نادين الاتصال بهاتف وانغ لي المغلق منذ الصباح وحتى هذه اللحظة وما أن تأكدت من أنها لن تستطيع الوصول له حتى رنت على آدم ثانية علّه فتح هاتفه هو الآخر. وما أن ضغطت على اسم آدم حتى بدأ الهاتف بالرنين، عدّلت نادين جلستها وكأن آدم يجلس أمامها وقالت بنبرة قلقة "أين أنت يا آدم؟".

"وهل وعدتك بزيارة إلى بكين في هذا اليوم ونسيت الأمر؟".

"هل أنت جاد؟".

"إذن أنا في ووهان".

"أقصد لماذا هاتفك مغلق طيلة هذه المدة؟".

تثاءب آدم على الهاتف وقال ببرود "لقد كنت نائمًا".

قالت نادين بعصبية: "منذ الصباح وحتى الآن؟".

نظر آدم إلى ساعته وقال بنبرة متذمرة "الساعة السادسة مساءً! هل حقًا تتصلين بي حتى تتساءلي لماذا أنا نائم حتى هذا الوقت؟ ما بك؟".

"أين وانغ لي؟".

"لا أعرف، لِمَ؟".

"أحاول الاتصال به منذ الصباح ولكن هاتفه مغلق".

"بالتأكيد نائم، فهو يقضي معظم الوقت مع العم تشن في المستشفى".

قالت نادين بنبرة شاردة متمتمة "لا بد أن هناك أمرًا ما".

"ما بك يا نادين؟"، قال آدم بنبرة قلقة.

"سأرسل لك رسالة نصية أرسلها وانغ لي للكادر الطبي في المستشفى هنا في بكين ولي أنا أيضًا، اقرأها وحاول فهم محتواها من وانغ لي وأخبرني لماذا أرسلها" رفعت نادين الهاتف عن أذنها وكان آدم لا يزال على الهاتف ينتظر حينما أرسلت له الرسالة ثم أعادت الهاتف على أذنها وقالت: "هل وصلتك؟".

كان آدم لا يزال صامتًا على الطرف الثاني من المكالمة ثم قال بعد لحظات "عليّ الذهاب الآن، أكلمك لاحقًا".

أغلق آدم الهاتف سريعًا دون أن يعطي نادين فرصة الرد، ثم دخل إلى خزانته ليغير ثياب نومه. رن هاتفه بوصول رسالة من أحد أصدقاءه على الوي شات وما أن فتح الرسالة حتى وجد رابطًا على موقع الويبو بعنوان (طبيب يحذر من الوباء القادم) فتح آدم الرابط وبدأ بالمشاهدة حينما ظهر شاب يرتدي كمامة ويتحدث من خلفها بصوت محتقن:

"أنا الطبيب وانغ لي، عالم فيروسات وطبيب متخصص في مجال الأوبئة وهذه رسالة مني لكم، أرجو منكم الحذر جميعًا فهناك فيروس شديد العدوى شبيه بالسارس سينتشر بسرعة كبيرة بينكم إن لم تتخذوا إجراءاتكم اللازمة، أوجه رسالتي هذه للناس عامة وللكوادر الطبية خاصة. أرجو منكم اتخاذ الحيطة والحذر بكل الوسائل الممكنة لمنع انتشاره".

توقف الفيديو فجأة وآدم لا يزال تحت وطأة الصدمة مما رأى، تناول هاتفه ولكن نادين كانت ترن فأجاب قائلًا قبل أن تتكلم: "نعم، لقد رأيت الفيديو".

"لقد قلت لك هناك خطب ما، عليك أن تجد وانغ لي".

"حسنًا، سأكلمك حينما أفهم تفاصيل الأمر وسأجعل وانغ لي يكلمك، وداعًا الآن".

أقفل آدم الهاتف مسرعًا ثم خرج من منزله متوجها نحو مستشفى ووهان المركزي حيث كان العم تشن، وصل آدم إلى قسم الاستقبالات واقترب من موظفة الاستقبال قائلًا: "مساء الخير، سيدتي".

قالت الموظفة بابتسامة آلية: "تفضل سيدي، هل لك ملف هنا أم أنها المرة الأولى؟".

قال آدم وهو يبادلها الابتسام: "لا، في الواقع أنا جئت لأطمئن على مريض هنا".

قالت الموظفة وهي تنقل نظرها لشاشة الكومبيوتر القابعة أمامها "عفوًا سيدي الزيارات ممنوعة في هذا الوقت يمكن لك أن تأتي غداً".

"أنا لا أريد أن أزوره أريد فقط الاطمئنان على وضعه الصحي".

"ما اسم المريض؟".

قال آدم: "وانغ تشـ" قاطعهما صوت شجار يعلو في الممر الطويل المجاور للاستقبال وصوت شاب يصرخ بشكل هيستيري: "أعلم أنه مات، ولكن يجب أن لا يقترب منه أحد".

عادت الموظفة توجه سؤالها لآدم بعد لحظات من الصمت قائلة: "عفوًا، ما اسم المريض يا سيدي؟".

عندها عاد الصوت القادم من الممر يصرخ قائلًا: "قلت لكم لا تقتربوا يجب ألا يتواصل معه أحد إنه يحمل فيروس شديد العدوى عليكم ألا تقتربوا، ابتعدوا جميعًا ابتعدوا من هنا" ما إن سمع آدم الجملة حتى كان قد وصل إلى نهاية الممر مسرعًا فوجد وانغ لي يقف أمام غرفة يغلق بابها بإحكام بيديه ويظهر من خلف زجاجها العم تشن مسجّى فوق سريرها الأبيض بلا حراك. أحاط كادر من الأطباء والممرضين والعاملين في المستشفى بوانغ لي محاولين إبعاده عن باب الغرفة وهو لا يزال يمسك بالمقبض بقوة. دخل آدم من بين الجموع وما أن اقترب حتى صاح وانغ لي في آدم قائلًا: "إياك أن تقترب يا آدم، ابتعد من هنا".

وقف آدم فجأة وقال لوانغ لي: "وانغ لي... دعني فقط".

قاطعه وانغ لي وهو يصرخ: "إياك أن تقترب يا آدم، لقد فقدت العم تشن الآن ولا أريد فقدانك أنت أيضًا".

سقط وانغ لي على الأرض ويده لا تزال معلقة بالباب وقال وهو يبكي محترقًا: "لقد مات والدي يا آدم، لقد قتله الفيروس، وعليكم الابتعاد الآن، وإلا سينتقل إليكم وتموتون جميعًا".

وقف آدم مذهولًا من هول ما يرى غير قادر على التصرف، ووانغ لي ساقط أرضًا منهارًا ورأسه لا يرى من بين الدموع سوى الخطوط الفاصلة بين بلاطات الممر البيضاء وهو يردد كمن يحدّث نفسه: "مات العم تشن يا آدم ولن يعود ليعلق غسيله في ممر الحي العتيق، لقد رحل، قتله الفيروس وسيقتل غيره آلافًا إن لم تبتعدوا عن هذا الباب".

سقطت دموع وانغ لي على البلاط المرصوص أمامه وأكمل قائلًا بنبرة متهالكة: "ابتعدوا الآن، فلتبتعدوا الآن" وما أن أكمل جملته حتى كان

أحد رجال الشرطة خلفه، يطرحه أرضاً ويكبله ثم يجرّه أمامه. حاول آدم أن يصل إلى وانغ لي من بين رجال الشرطة عندها سمع الشرطي يقول: "دكتور وانغ لي أنت متهم بجريمة التحريض والإخلال بأمن الدولة".

كان وانغ لي يحدق إلى زجاج النافذة الذي يرتمي خلفه وانغ تشن ميتًا، ثم نظر نحو آدم نظرة لم يستطع آدم تفسيرها رغم كل سنوات العمر التي جمعته بصديقه لي وقال بنبرة مشروخة: "لقد مات العم تشن يا آدم".

صمت وانغ لي للحظات وهو منهار تمامًا وأكمل قائلًا بصوت بُحّت تفاصيله: "أخبرهم أن يحرقوه، وألا يحتفظوا حتى بالرماد" وما أن أكمل جملته الأخيرة حتى كان صوته يختفي خلف صفارات سيارة الشرطة التي أغلق بابها على وانغ لي المكبل بالسلاسل والدموع وآدم يقف أمام باب المستشفى وعجلات السيارة تطحن كل ما قد يجول في ذهنه عدا ابتسامة العم تشن وهي تقول: "التدخين ممنوع في منزل العم تشن يا آدم". أخرج آدم سيجارة ليشعلها ولكن ارتعاشة يده جعلت السيجارة تسقط من يده ليبقى محدقًا إلى الطريق الذي غاب فيه صديقه وانغ لي دون أن يدري إن كان له درب عودة!

الفصل الثامن

لندن - بريطانيا

2020/12/31

جلس رتزل في كرسيه المخملي الأحمر الوثير باسترخاء خلف مكتبه الخشبي المعتق بلون الذهب، رغم كثرة الأعمال الموضوعة أمامه، كان يقلب بالأوراق المختلفة التي بين يديه حينما وصله بريد إلكتروني رن جرسه بوضوح على شاشة اللاب توب. فتح رتزل البريد الإلكتروني وبدأ بقراءة فحواه:

"*أفادت تقارير مرسلة من السلطات الصحية في الصين إلى منظمة الصحة العالمية بوجود تجمّع مرضيّ لإصابات رئوية فيروسية مجهولة السبب في مدينة ووهان الواقعة ضمن مقاطعة خوبي، وعليه سيتم الإعلام لاحقًا بباقي التطورات*".

نظر رتزل في الشاشة القابعة أمامه بعينين خاويتين لا تحملان أي ملامح سوى حروف السطور المكتوبة في البريد الإلكتروني والتي لاتزال معكوسة على زجاج نظارته الشفاف بصمت.

نادى على خوليو قائلًا: "أبلغ جميع أعضاء المنظمة أن هناك اجتماعًا طارئًا".

الفصل التاسع

ووهان - الصين

كان آدم في غرفة الجلوس ينظر إلى شاشة التلفاز التي لم يكن عليها سوى بعض البرامج وشريط إخباري يسير ببطء معلنًا عن آخر الأخبار، تناول سيجارة من العلبة الموضوعة أمامه، أشعلها وبدأ بنفث دخانها في الهواء بصمت. لقد مضى أربعة أيام على ليلة رأس السنة، حينما أطفأ كل سكان العالم شموع عام 2019 معلنين حلول عام 2020 برقمه المميز وأصفاره التي تحمل في حناياها قيمة للصفر تجعله يفوق بقية القيم. ثمل الناس بجنون الألعاب النارية والصرخات والتعداد التنازلي لدخول السنة، بينما كان يقف في تلك الليلة على نافذة منزله يودع رماد العم تشن الذي لم يعرف أين تم نثره مع بداية هذا العام ويتساءل عن مكان وانغ لي الذي ما زال غائبًا منذ تلك الليلة. بحث آدم في مراكز شرطة متعددة في الأيام الماضية ولكن بلا فائدة.

ما الذي حدث لك يا وانغ لي؟

رنّت السماعة الوايرلس القابعة فوق أذنه لتوقظه من حالة الشرود القابع فيها منذ مدة ليجيب: "ألو، نعم".

"آدم.." وما أن سمع آدم الصوت المنبعث من الطرف الثاني للمكالمة حتى قال بصوت مشدوه: "وانغ لي! أين أنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان يا رجل، أين كنت؟".

كان صوت وانغ لي المنهك ينقل الكلمات بثقل لآدم حينما قال: "لقد غادرت السجن بالأمس".

"وأين أنت الآن؟".

"في المستشفى، لقد أصابتني العدوى من والدي، وأنا هنا في الحجر الصحي".

"هل أنت في مستشفى ووهان المركزي؟".

قال وانغ لي وهو يسعل سعلة خفيفة: "لا تحاول الوصول إليّ يا آدم فأنا أحتاجك حيث أنت ولا أحتاجك هنا".

انقطع الاتصال. وتوجه آدم نحو هاتفه الملقى على الطاولة الموجودة أمام الأريكة وأخذ يقلب فيه سريعًا محاولًا الاتصال بوانغ لي ولكن كان هاتفه مغلقًا.

رمى آدم الهاتف على الأريكة بغضب. كانت عيناه الغائرتان ذواتا اللون الرمادي قد انهكهما التعب فثقل الليالي الماضية عربدت بتفاصيلها فوق جسده النحيل ببطء وشعره البني يقبع للخلف فوق كتفيه وقد لملمه بربطة مطاطية صغيرة بعبث. تناول هاتفه الملقى بجانبه وحاول الاتصال بوانغ لي ثانية ولكن ما زال الهاتف مغلقًا.

ما الذي تحاول أن تخبرني إياه يا لي؟

وضع الوسادة المرمية بجانب الطاولة تحت رأسه ومد ساقيه الطويلتين النحيلتين فوق الأريكة القصيرة. نفث دخان سيجارته ثم أعاد الاتصال بهاتف وانغ لي المغلق وبقيت محاولاته اليائسة للوصول إلى وانغ لي قائمة حتى بدأ خيط الشمس بالتسلل من نافذته العارية ليعلن بداية يوم جديد. سقط الهاتف من يده أرضًا بعد أن غطّ في نوم عميق.

* * *

استيقظ آدم وهو يشعر بصداع شديد يكاد يمزق رأسه، جر جسده بثقل نحو المطبخ. تناول مسكنا. أمسك هاتفه فوجد رسالة عليها رابط ويبو بعنوان "*الطبيب الذي حذر من فيروس جديد شديد العدوى، أصبح مصابًا به*" وما أن فتحه حتى وجد وانغ لي مستلقيًا على سرير المستشفى والأجهزة الطبية من حوله وجهاز الأوكسجين فوق وجهه وهو يقول: "أنا الدكتور وانغ لي، لقد أصبت بالفيروس الذي حذرتكم منه مسبقًا، فيروس كورونا الجديد، تمنوا لي الشفاء".

الفصل العاشر

ووهان - الصين

كان آدم يخرج من أحد مستشفيات ووهان التي جال معظمها بحثًا عن وانغ لي عندما استوقفته مسيرة تسير في الشارع المقابل وهي تحمل بين أيدي مشاركيها صور لوانغ لي ولوحات كرتونية كتب عليها:

"*الدكتور وانغ لي.. ضحية الحقيقة*".

"*الدكتور وانغ لي.. بطل الإنسانية*".

"*وانغ لي... صوت الحق المكتوم*".

بينما وقف الآخرون من شباب وفتيات وكبار في السن ينادون "العدالة للدكتور وانغ لي".

وقف آدم مصوبًا نظره إلى المشهد المار أمامه ليعلم أن صديقه وانغ لي أصبح بطلًا شعبيًا في غضون أيام، كأي بطل مغمور تعلن عنه السوشال ميديا وبمجرد ثوانٍ يصبح الأكثر شهرة في الصين ولربما في العالم، فما أن أصبح اسمه "ترند" بين الناس وهاشتاغه #دكتور_وانغ_لي يجوب كل المنصات والتعليقات حتى أعلن الجميع أنه البطل القادم من الشرق والذي عليه ألّا يموت! كان الناس لا يزالون يسيرون في الشوارع وهم يرددون "دكتور وانغ لي ضحية الحقيقة" عندما رن هاتف آدم ليجد نادين تقول: "لقد عرفت مكان وانغ لي يا آدم".

كان آدم يحاول سماعها وسط أصوات الحشود التي تجمعت حوله "ماذا تقولين؟ لا أسمعك".

قطع آدم الشارع الذي كانت المسيرة تسير فيه وتوجه نحو الشارع الآخر ليتكلم مع نادين بهدوء.

"لقد عرفت مكانه".

أجابها آدم وهو يسحق سيجارته في المنفضة المعلقة على العمود أمامه: "أين هو؟ أخبريني".

"إنه في مستشفى ووهان المركزي، في قسم الحجر الوبائي".

صمت آدم للحظات وقال: "إذًا ما كان وانغ لي يقوله صحيحًا".

قالت نادين بنبرة قلق: "نعم يا آدم.. هناك وباء يلوح في الأفق ووانغ لي يحاول تحذيرنا منه".

تمتم آدم كمن يحدث نفسه ونادين لا تزال على الهاتف: "لا أعتقد هذا".

"ماذا تعني؟".

"لا شيء.. سأذهب لأراه الآن". أغلق آدم الهاتف بسرعة وأصوات الهتافات من حوله تردد "وانغ لي... ضحية الحقيقة".

* * *

بكين - الصين

نهضت نادين من مكانها وتوجهت نحو المطبخ وسكبت بعض الماء الساخن في الكوب الذي حملته معها نحو الطاولة التي يقبع فوقها اللاب توب. فتحت الشاشة التي أمامها وحاولت تقليب بعض المواقع

والصفحات محاولة شغل ذهنها عما يقلقه، وبعد مرور بعض الوقت فتحت نادين الويبو لتتصفحه لتجد أمامها فجأة صورة وقد كتب تحتها هاشتاق:

تعهد_كتمان_الحقيقة

#تعهد_الدكتور_وانغ_لي

نظرت نادين إلى الصورة التي غزت مواقع الإنترنت والسوشال ميديا منذ ساعات ولا تزال الترند الأول في المواقع كلها، كان تعهدًا موقعًا من وانغ لي بعدم الإخلال بأمن الدولة ونشر الشائعات. قرأت نادين التعهد ودققت في التوقيع الموجود أسفله لتتأكد أنه فعلًا تعهد وقع عليه وانغ لي على ما يبدو ليلة القبض عليه ولهذا تم الإفراج عنه! نهضت نادين مسرعة وتناولت هاتفها المرمي على الطاولة لتتصل بآدم وما أن تناولته حتى كانت شاشة التلفاز التي أمامها تعلن بصوتها المنخفض خبراً جعل نادين تسقط هاتفها أرضًا وتتناول جهاز الريموت كنترول الخاص بالتلفاز لترفع صوته وتسمع المذيعة تقول "وفاة الدكتور وانغ لي بعد صراعه مع فيروس الكورونا الجديد".

سقطت نادين فوق الأريكة والخبر لا يزال يترنح أمامها، وهو يمر صامتًا فوق الشريط الإخباري.

الفصل الحادي عشر

ووهان - الصين

كان مستشفى ووهان المركزي يضج بالمرضى والأطباء والعاملين حينما وقفت إحدى الممرضات بجانب صديقاتها من خلف مكتب الاستقبال وقالت: "لماذا فعلوا هذا؟".

أجابت صديقتها وهي تقلب في الأوراق مناولة الملف للشاب الواقف أمامها: "لا أعرف ماذا يقصدون من فعلتهم هذه! فالدكتور وانغ لي لا يزال حيًّا في غرفته!".

قالت وهي تتمتم: "أعتقد أن الدكتور وانغ لي حقًّا ضحية للحقيقة" غادرت الممرضة المكان وتوجهت إلى الغرفة الخاصة بمرضى قسم الأوبئة وبدأت بارتداء ملابس الوقاية الخاصة بهم ووضعت القفازات والكمامات ثم سارت باتجاه قسم الحجر الوبائي، دخلت عند وانغ لي وقالت: "دكتور وانغ لي، كيف تشعر اليوم؟".

قال وانغ لي بصوت مختنق من خلف جهاز التنفس وبصوت لا يكاد يُسمع: "أنا أحتضر".

كانت الممرضة واحدة من الذين ساروا في إحدى تظاهرات الدكتور وانغ لي يومًا، وكانت أيضًا ممن قاموا بنشر الفيديو الخاص به وكل رسائله عبر مواقعها الخاصة، لم تكن تصدق أن هذا الطبيب البطل سيموت بسبب تعهد وقعه تحت الإجبار، اقتربت من وانغ لي الذي أشار لها بيده قائلًا:

"هل تحملين هاتفًا خلويًّا؟".

"نعم".

"هذا جيد، هل تسمحين لي باستعماله".

ابتسمت الممرضة وشعرت بأنها تقوم بدور بطولي في لحظات الدكتور وانغ لي الأخيرة وقالت: "طبعًا يا دكتور، تفضل" تناول وانغ لي الهاتف وبدأ باستعماله، في تلك الأثناء دخل آدم إلى المستشفى مسرعًا ووقف أمام موظفة الاستقبال قائلًا: "أنا صديق الدكتور وانغ لي وأريد مقابلته لو سمحتِ".

رمقت موظفة الاستقبال آدم وقالت: "سيدي ألم تسمع الأخبار؟ السيد وانغ لي توفي منذ قليل".

اقترب آدم من موظفة الاستقبال ثم قال بنبرة أشبه بفحيح أفعى "أنا صديق وانغ لي، وأعلم جيدًا أنه لم يمت بعد". ثم أخرج الهاتف من جيبه وهو يضعه أمامها لتجد فيه رسالة نصية مكتوب فيها "أنا وانغ لي يا آدم لا تصدق ما سمعت، إنني لا أزال حيًّا، ولكن عليّ أن أراك الآن".

قالت الموظفة بقلق: "سيدي، الزيارة لقسم الحجر الوبائي ممنوعة".

فقال آدم ببرود: "وأنا عليّ الدخول".

اقتربت الموظفة من آدم وقالت: "حسنًا، سأساعدك في ذلك، إكرامًا للدكتور وانغ لي وما يقوم به من تضحية عظيمة من أجل البشرية".

كان آدم يسير بخطى سريعة وقلقة بعد أن ارتدى البذلة الواقية لقسم الحجر الوبائي. شعر بأن حلقه يزداد جفافًا كلما اقترب من غرفة وانغ لي. ماذا يحصل هنا وفي هذا المكان بالتحديد؟ لماذا طلب وانغ لي منه الحضور بعد أن كان يرفض رؤيته؟ انقطع صوت التساؤلات في عقل آدم

حينما وجد صديقه يقف خلف الزجاج جارًا نفسه وكافة أجهزته معه ولا يزال يضع جهاز الأوكسجين فوق وجهه الذي بدا قاتمًا ومختنقًا حاملًا هاتفًا خلويًّا بين يديه اللتين غُرزت بهما الحقن وأنابيبها في كل مكان. يشير له بأن يكلمه من خلال الهاتف.

"وانغ لي، ألن تجعلني أدخل؟"، قال آدم بنبرة متسائلة.

أجاب وانغ لي بصوت متقطع، أنفاسه المتلاهثة تجعله لا ينطق الكلام بشكل صحيح: "لا".

"ما الذي يحدث؟"، كان آدم يحدق إلى صديقه بنظرة ممزقة وهو يراه يحتضر أمامه.

"ليس كل ما نريد قوله نستطيع قوله، لذا اسمع رسالتي الأخيرة لك".

عندها فتح آدم برنامج تسجيل المكالمات الموجود على هاتفه لأنه عرف تمامًا ما كان يقصده وانغ لي بكلامه، هز وانغ لي رأسه بنعم وهو يبتسم لصديقه ابتسامته التي اعتاد أن يراها كل صباح وهما في طريقهما إلى العمل وقال: "لكما صديقاي أوجه رسالتي الأخيرة" وما أن بدأ يتكلم حتى اجتاحه سعال شديد جعله ينحني نحو الأرض ما جعل آدم يقترب من الزجاج أكثر محاولًا نشل صديقه مما يعانيه، لكن اقتربت منه الممرضة قائلة: "سيدي فلتحذر من الاقتراب، المكان خطير جدًّا" نهض وانغ لي وعاد ينظر نحو آدم من خلف الزجاج وأكمل:

"لقد أحببتكما كثيرًا ولربما لم أستطع أخباركما بذلك سوى الآن، لكن فلتعلما أن كل ما كان يجمعنا مجرد ساعة، ساعة لا أكثر يا صديقي، ساعة ضحكنا فيها على باب هوانان يومًا، وبكينا فيها عند البركة الشرقية يومًا آخر، وكما حلّق طائر الكركي حاملًا الخلود معه من البرج الأصفر

ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إلي...".

وما أن أنهى جملته حتى بدأ يسعل بشدة وأنفاسه المتقطعة تعلو من خلف سماعة الهاتف بينما كان آدم ينازع ذلك الحاجز الزجاجي الذي يفصلهما وهو ينادي عبر هاتفه "وانغ لي.. تماسك يا صديقي".

عاد وانغ لي يقف، ووجهه أكثر اختناقًا وعيناه بدأتا تزوغان وهو يقول لآدم من خلف الزجاج: "وداعًا يا صديق العمر".

حدق آدم إلى وانغ لي الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة أمامه. حاول أن يفتح الباب الفاصل بينهما فوقفت الممرضة لتمنعه وقالت وهي تبكي "سيدي سامحني، ولكن لا أستطيع أن أسمح لك بذلك".

قال آدم غاضبًا وهو يرى جسد وانغ لي يتهاوى من خلف الزجاج: "ابتعدي...".

"لا أستطيع".

"ادخلي وأنقذيه، ماذا تفعلين هنا؟" صرخ آدم في الممرضة.

"الدكتور وانغ لي طلب مني ألا أدخل فهو يعلم أنه يحتضر".

أمسك آدم بالهاتف ووانغ لي يسقط أرضًا وأخذ ينادي عليه من سماعة الهاتف" وانغ لي.. انهض يا صديقي، أنت لن تموت الآن".

كانت أنفاس وانغ لي المتلاهثة والمتقطعة آخر ما علا سماعة الهاتف حينما توقف صوته عن الرد. وقف آدم عاجزًا وهو لا يزال ينادي من سماعة الهاتف "انهض وكلمني يا صديقي... فأنا لا أزال هنا" سقط الهاتف من يد آدم حينما توقفت أنفاس وانغ لي فجأة عن الشهيق والزفير المتقطع حتى خبت في حنايا جدران الغرفة ليسقط آدم باكيًا بصوت مكتوم يكاد يشرخ أنفاسه المختنقة خوفًا من أن يعلم أي موظف آخر بوجوده.

الفصل الثاني عشر

روما - إيطاليا

كانت عجلة مطار دافنشي التي لا تتوقف تعلن للعالم كله أن إيطاليا مهما مر بها الزمن ستبقى الوجهة السياحية الأولى في العالم، فكل من يتمنى السفر لا بد له أن يحلم بأن يخطو بأقدامه فوق أرض حضارة دافنشي ومايكل أنجلو، لا بد له أن يحلم بأن يعتلي جندول مدينة البندقية المتأرجح قبل أن تغرق المدينة راحلة عن خارطة العالم. ولا بد له أن يحلم بأن يرى الكولوسيوم رغم رائحة الموت التي يحملها فوق تاريخ ساحته القديمة. كان لا بد لكل عاشق للسفر أن يحلم بالمرور في مطار دافنشي ليعانق رائحة روما ولذة طعامها وعفوية أهلها الذين اعتادوا على الترحيب بكل من هو غريب عن المنطقة، لا بد وأن يكون هذا المطار دائمًا، رغم فوضاه وضجة ممراته الممتلئة بالحقائب المجرورة خلف أصحابها، مكانًا يحمل في قلبه الناس بكل جنسياتهم ولغاتهم وأشكالهم المختلفة. في تلك الأثناء كان روبرتو يسير في ممرات المطار والموظفون يسلمون عليه من بعيد ليدنو منه أندريه مدير خطوط أوبن آير الإيطالية التي تعمل فيها مارتينا قائلًا: "سيد جوفاني... نحن نحب أن نراك دائمًا بالمطار ولكن نتمنى أن لا يكون لعملك علاقة بحضورك".

ضحك روبرتو وهو يمد يده مصافحًا نحو أندريه قائلًا: "لا تقلق يا سيدي، أنا هنا لاستقبال شخص لا أكثر".

ابتسم أندريه وقال: "إن كان الأمر كذلك فتفضل إلى مكتبي لتستريح فيه وأنا سأوصي أحد الموظفين باستقبال ضيفك".

قال روبرتو بنبرة هامسة: "ستغضب إن استقبلها أحد غيري".

ضحك أندريه وقال: "إن كان الأمر كذلك بالطبع لا يصلح أن يستقبلها أحد غيرك... الحب قبل العمل".

ضحك روبرتو وهو يسير مغادرًا "بالطبع يا صديقي".

توجه روبرتو إلى أحد المطاعم التي كانت تملأ مطار دافنشي وجلس على أريكته الخشبية ذات الوسادة الجلدية العالية قليلًا حينما اقتربت منه النادلة قائلة: "هل من خدمة يا سيدي؟".

"فنجان اسبرسو خالٍ من السكر لو سمحتِ".

"نعم في الحال".

حاول روبرتو تعديل جلسته والوسادة من تحته حينما وضعت النادلة القهوة أمامه بابتسامة وغادرت، تناول فنجان القهوة وأخذ يرشفه ببطء وهو يحمل هاتفه الخلوي يقلب فيه وينظر في شاشته ليرى انعكاس ما يقبع خلفه، فالأريكة الملاصقة لأريكته لا تزال خالية وبعد لحظات اقترب دياسايد بحركته الثقيلة وخطواته البطيئة وثيابه السوداء الحالكة. تأكد روبرتو من جلوس دياسايد خلفه ثم تناول فنجان قهوته ليكمل ما بقي منها وقال بنبرة آلية "الملف تحت الوسادة وعليك تنفيذ المهمة خلال أيام".

وضع روبرتو الفنجان فوق الطاولة بعد أن أشار للنادلة بأن تحضر الفاتورة، دفع روبرتو الفاتورة وغادر بينما بقي دياسايد يجلس مكانه حينما أقبلت نحو النادلة قائلة: "سيدي، هل من خدمة؟".

نظر إليها دياسايد من خلف نظارته الشمسية السوداء وأشار لها بأن تحضر له قارورة مياه غازية، مد دياسايد كفه تحت الوسادة الجلدية التي يجلس عليها ليخرج مغلفًا ورقيًّا أبيض اللون فتحه فوجد فيه جواز سفر دبلوماسيًّا وتذكرة سفر إلى الصين ستقلع بعد ثلاث ساعات متوجهة إلى ووهان وبعض الأوراق الأخرى التي احتوت على تفاصيل مهمة تخص لؤي. أعاد دياسايد الجواز إلى المغلف بينما بقيت التذكرة في الخارج حينما أقبلت النادلة حاملة قارورة المياه مبتسمة وقالت: "الصين! أتمنى لك رحلة سعيدة يا سيدي يقال بأنها دولة جميلة تحمل من الثقافة الكثير" استدار نحوها دياسايد بآلية باردة جعلت النادلة تشعر بخوف لم تستطع تفسيره، وضع التذكرة في الملف. أخذ القارورة من يدها، ناولها 20 يورو في يدها وهو ينهض من مكانه ثم غادر. أما لؤي القابع في ووهان فلم يكن يعلم بأن العد التنازلي لعمره قد بدأ منذ هذه اللحظة فاستلام دياسايد لهذا الملف من روبرتو يعني إعلانًا رسميًّا لإنهاء حياته!

الفصل الثالث عشر

ووهان - الصين

ارتمى آدم فوق أريكته الجلدية الصغيرة وشعره المبعثر على وجهه يجعل نومه المتقطع غير مريح بين الحين والآخر. كانت أشعة الشمس التي تسللت من خلف الستارة الخشبية الثقيلة قد جعلت عيني آدم تخرجان من ظلمة الحلم الخاوي الذي كان فيه. جلس على طرف الأريكة محاولًا منع خيط الشمس الرفيع من إزعاجه فرفع كفه فوق وجهه ثم سار نحو الستارة الخشبية وحاول إغلاقها بشكل تام ليمنع الشمس من دخول غرفة جلوسه ولكن بلا فائدة.

توجه نحو الطاولة ليبحث عن علبة سجائره بين الفوضى الموجودة من علب طعام وأكياس وعلب مشروبات غازية بعضها فارغ. تناول آدم العلبة بعد أن وجدها في كرتونة نودلز كان قد اشتراها من شارع هوبو قبل يومين فهز رأسه وهو يحاول نفض ما علق فيها من طعام. استدار حوله باحثًا عن هاتفه الخلوي. رفع الوسادة وحتى فرش الأريكة ولكنه لم يجد هاتفه. نزل تحت الأريكة عله يكون ساقطًا منه ولكن دون جدوى. وفجأة مد يده في جيبه فوجده فيها. وما أن فتح الهاتف المغلق منذ يومين حتى بدأت الرسائل ترد له بشكل متوالٍ فشعر بأن رنينها يكاد يحطم جمجمته.

قام بوضع هاتفه على الوضع الصامت وترك الرسائل تكمل وصولها وهو يحاول الاتصال بأحد الأرقام المخزنة لديه. وضع السماعة فوق أذنه

قبل أن يجيب الطرف الثاني من المكالمة ولكن كانت السماعة لم تعمل بعد فأغلق المكالمة وأخذ يحاول تشغيل السماعة في أذنه وحين تأكد من عملها عاود الاتصال بنفس الرقم ثانية وما أن أجابه الشخص على الطرف الثاني من المكالمة حتى قال آدم "أريد أن أكلم مدير المحل من فضلك".

"هل هناك من خدمة أستطيع تقديمها لك يا سيدي؟".

"نعم، حولني على مدير المحل".

"ولكن يا سيدي إذا كان هناك أي شكوى فأنا من قسم خدمات الزبائن ويمكن لي أن أساعدك".

"قلت أريد مدير المحل".

"حسنًا، لا بأس". انتظر آدم قليلًا على الهاتف ثم قال للمدير: "هل تعلم أكثر ما يثير اشمئزازي؟".

صمت المدير مصغيًا عندما أكمل آدم وهو يقول، ودخان سيجارته يخرج من شفتيه: "الكذب".

"عفوًا سيدي، ولكن"، قاطعه آدم قائلًا: "لقد اشتريت منكم ستارة خشبية منذ يومين، وأكدتم لي بأنها لا تسمح للشمس بالدخول من خلالها وها أنا أستيقظ بسبب الشمس، فماذا تسمي هذا؟".

صمت المدير ليجيب آدم: "يُسمى كذبًا".

قال المدير متلعثمًا: "سيدي الستائر الخشبية لا بد أن تسمح لضوء طفيف من الشمس بالدخول".

"أريد أن أعيدها".

"ولكن سياسة المحل لا تسمح بإرجاعها إلا إذا...".

قاطعه آدم قائلًا: "سأرجعها ولا أريد نقودها".

أغلق الهاتف دون أن ينتظر الرد من المدير، كان الهاتف لا يزال في يده حينما وجد أن هناك سبعًا وثلاثين مكالمة فائتة من نادين وخمس عشرة رسالة نصية، لم يعر ما رآه اهتمامًا واتجه نحو المطبخ حين رن الهاتف بين يديه صامتًا ووجد رقمًا غريبًا لا يعرفه فضرب على سماعته الوايرلس وقال: "نعم".

"مستشفى ووهان المركزي، هل هذا رقم السيد آدم؟".

توقف آدم عن الحركة فجأة وكأنه تلقى ضربة على رأسه أيقظت كل ذلك الشريط التالف من ليلة وفاة وانغ لي فكان الطرف الثاني على الهاتف يقول: "سيدي، هل أنت السيد آدم؟".

فقال آدم بصوت بارد: "نعم... هذا أنا".

"يجب علينا أن نسلم ممتلكات الدكتور وانغ لي لأحدهم، فهل يمكنك استلامها؟".

قال آدم: "نعم بالتأكيد".

وقف آدم في قلب الشقة التي تعج بالفوضى ودخل إلى غرفته ليرتدي ثيابه ويخرج مسرعًا نحو المستشفى، وصل آدم المستشفى ووقف عند موظفة الاستقبال التي قالت له "سيد آدم أهلًا بك، دقيقة واحدة فقط".

وصلت الممرضة التي كانت مشرفة على وانغ لي وبرفقتها أحد موظفي المستشفى الإداريين، أوصل لها شعر آدم الطويل المعقوف إلى الخلف بفوضى وقميصه القطني الأبيض وجينزه الممزق حالة الإنهاك التي يعيشها آدم منذ وفاة الدكتور وانغ لي. فعيناه اللتان يحيط بهما السواد ووجهه الشاحب كافيان بأن يجعلاها تعلم بأنه الشخص الوحيد المؤتمن على استلام مقتنيات الدكتور وانغ لي الخاصة. اقتربت الممرضة

والموظف من آدم حينما قال وهو يمد يده مصافحًا "سيد آدم مرحبًا بك".

مد يده آدم بلا رد عندها قال الموظف لآدم: "هل تربطك صلة بالدكتور وانغ لي".

"صديقي".

"في الواقع حاولنا التواصل مع أحد من أقاربه ولكن..".

قاطعه آدم قائلًا: "لا أقارب لوانغ لي سوى والده الذي توفي قبله بأسبوعين".

لم يطل الموظف بالأسئلة وناول آدم كيسًا شفافًا يحتوي على مقتنيات وانغ لي الشخصية. قلب آدم الكيس بشكل سريع ثم فتحه قليلًا ولكن قبل أن يفتحه قال: "هل أستطيع أن أخرج ما فيه أم أنها ملوثة؟".

"لا يا سيدي، لقد تم تعقيم كل مقتنياته".

فتح آدم الكيس وأخرج محتوياته ليجد ساعة صديقه الرولكس، ومحفظته، ونظارته الطبية، ومجموعة مفاتيحه ولكنه لم يجد أهم ما يبحث عنه في كل تلك المقتنيات.

"أين هاتفه الخلوي؟".

"تم إتلافه يا سيدي".

"ومن سمح لكم بإتلافه".

"يا سيدي أنا.." اقتربت الممرضة من آدم وقالت: "سيد آدم لقد تم إتلاف الهاتف يوم دخول السيد وانغ لي المستشفى وبعلمه".

حدق آدم إليها مذهولًا فهزّت رأسها بنعم وقالت: "هذا ما حدث يا سيدي لا شأن لأحد منا بهذا الأمر، لقد تم إتلافه بموافقة السيد وانغ لي وهذه ورقة الموافقة على إتلافه موقعة منه".

ناولت الممرضة الورقة لآدم فصمت بحنق بعد قراءتها. لملم أغراض صديقه ثم غادر دون أن يوقع حتى على ورقة استلامه للمقتنيات. عندها قال الموظف للممرضة: "حسنًا، سنوقع نحن أنه تم تسليمه المقتنيات".

كان آدم يسير بخطى تائهة في شوارع ووهان يحمل كيس صديقه الشفاف بكل ما فيه من ذكريات وتفاصيل لا تزال ترن في ذاكرته، ساعة الرولكس التي اشتراها من بكين حينما نال أول ترقية له وهو يقول له بصوت ضاحك "سأشتريها...".

قال آدم وهو ينظر إلى الساعة القابعة أمامهما في واجهة المحل "تدفع خمسين ألف يوان في ساعة؟ مجرد اسوارة معدنية تلفها على يدك لتعرف الوقت بخمسين ألف يوان؟! هل جننت؟ اشترِ إحدى النسخ التي تغرق أسواق بكين فلن تكلفك بضع يوانات".

كان وانغ لي يتفحص الساعة ويقول: "أنت لا تعرف ما معنى أن ترتدي المنتج الأصلي للشركة، دومًا هناك اختلاف في التفاصيل يا صديقي، اختلاف يشبه تمامًا الاختلاف بين الفيروس والبكتيريا، لا يمكن أن تراه بالعين المجردة ولكن تستطيع إدراكه بالحس".

وقف آدم بعد أن أنهكه السير هائمًا في الشوارع بلا هدف، يرمق الساعة المرتمية بكل ثقلها في كيس شفاف لا يكلف ربما يوانًا واحدًا وقد غادرها صاحبها تاركًا تفاصيلها كلها بلا وداع. اتكأ آدم على حافة جسر نهر اليانغتسي الذي يربط مدينة هانيانغ بتشانغ، ينظر إلى النهر العظيم الذي يحمل في حناياه حكايا سردت وأخرى لم تسرد بعد عن أرواح مرت من هنا حملت في قلبها التاريخ والحب والإيمان وبكل تلك الحكايا

والأساطير انطرح النهر أسفل البرج بكل طواعية متيحًا لكل المارين من فوقه العبور تاركين خلفهم آثار ما يحلمون. كان آدم قد غاب في مدينة ووهان بكل تفاصيلها وصورة صديقه وانغ لي تمر فوق كل معالمها الساكنة. وقف طويلًا حتى لم يعرف كم مر من الوقت ولكن على ما يبدو أنه مر وقت طويل فالشمس قد بدأت تغرق في صفحة نهر اليانغتسي.

دخل آدم إلى العمارة التي كان يسكن فيها وانغ لي. توجه إلى المصعد وضغط على زر الطابق 20 وما أن وصل هناك حتى وقف أمام باب شقة صديقه المغلق عندها أخرج علاقة المفاتيح التي احتوت على أربعة مفاتيح مختلفة. فتح باب الشقة بأحد المفاتيح الأربعة وما أن فتحها حتى وقف جاثمًا غير قادر على الحراك أو النطق. فشقة صديقه وانغ لي قد تم حرقها بالكامل.

الفصل الرابع عشر

ووهان - الصين

"لقد أحببتكما كثيرًا ولربما لم أستطع إخباركما بذلك سوى الآن، لكن فلتعلما أن كل ما كان يجمعنا مجرد ساعة، ساعة لا أكثر يا صديقي، ساعة ضحكنا فيها على باب هوانان يومًا، وبكينا فيها عند البركة الشرقية يومًا آخر، وكما حلق طائر الكركي حاملًا الخلود معه من البرج الأصفر ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إليّ..." .

كان آدم يجلس القرفصاء فوق أرضية شقة وانغ لي المحترقة يستمع لرسالته الأخيرة بصمت، أعادها مرارًا وتكرارًا محاولًا فهم ما يقوله وانغ لي وما الهدف من رسالته تلك؟ أوقف الهاتف للحظات. أمعن النظر في الشقة التي غلفها السواد مضيعًا كل ملامحها. نهض من مكانه وتوجه نحو خزانة وانغ لي المحترقة. أخذ يقلب في رفوفها وأدراجها التي ما أن حاول فتحها حتى سقط محتواها رمادًا متهاويًا أمامه. توقف آدم عن البحث اليائس الذي هو فيه ثم شغل الرسالة مرة أخرى لأنه شعر بأن هناك ما قد فاته ثم أعادها مرة أخرى. تمتم آدم وهو يستمع للرسالة قائلًا: "ما الذي تريدني أن أعرفه يا وانغ لي؟" وضع آدم يده على صدغه وقال: "ليتك تخبرني يا صديقي".

نفذت رائحة الشقة المحترقة إلى كل جوارح آدم، وما أن شعر بالليل يغلف سماء المدينة حتى توجه إلى الباب ليغادر. حاول إخراج المفاتيح من

جيبه ولكن كان كيس مقتنيات وانغ لي يعيق وصوله إليها فأخرجه من جيبه وما أن لمح ساعة الرولكس الصبمارينر Rolex Submariner ذات اللون الأزرق حتى توقف فجأة وشغل هاتفه ثانية على رسالة وانغ لي الأخيرة وهي تقول:

"إن كل ما كان يجمعنا مجرد ساعة، ساعة لا أكثر يا صديقي".

أوقف آدم الرسالة وأعاد الجملة مرة أخرى. سمعها بإنصات ثم أعادها ثانية وثالثة. أوقف الرسالة وقال: "إنها الساعة... ساعة الرولكس الفاخرة، أليس ذلك ما كنت تقصده يا صديقي؟".

كانت عقارب الساعة التي بجانبه تتحرك بكل دقة، رفعها آدم إليه. نظر في تفاصيلها ليجد التاريخ الموجود في الساعة غير صحيح. قام بتحريكه ولكن التاريخ لم يتغير، حاول آدم ثانية ولكن بقي التاريخ عالقًا حيث هو. قرب آدم الساعة نحوه أكثر وأخذ يدقق في التاريخ محاولًا فهم سبب عدم تغيره وما أن رأى عدسة التاريخ في الساعة حتى أدرك فورًا أنها زائفة وليست ساعة رولكس الأصلية التي اشتراها صديقه في بكين. تذكر وانغ لي وهو يقول له بعد أن اشترى الساعة يومها: "إن العدسة المكبرة للتاريخ هي واحدة من التفاصيل الصغيرة التي تميز الرولكس الأصلية ففي الرولكس النسخة لا يوجد عدسة مكبرة".

نهض إلى المطبخ فجأة ثم وضع الساعة على الطاولة الرخامية وضربها بمفك لتتحطم فورًا وما أن كسرها حتى رفع غطاءها ووجد تحته ورقة صغيرة مطوية كتب عليها "ذكرى العم تشن المرفوضة 25-13".

أمسك آدم قصاصة الورقة ليعلم جيدًا أن صديقه وانغ لي كان يحمل ما هو أكبر من موضوع فيروس الكورونا وعدواه، وأنه أصبح طرفًا فيه منذ هذه اللحظة.

الفصل الخامس عشر

ووهان - الصين

كان لؤي يجلس في حانة النزل الذي يقيم فيه منذ أن حضر إلى ووهان، فحبه للأماكن العتيقة لا يزال قائمًا رغم كل التبدلات التي مر بها في حياته، لذا فضّل الإقامة في النزل العتيق هذا والموجود في أحد أزقّة ووهان القديمة حتى يبقى دومًا يستمتع برائحة الخشب المعتقة التي تفوح من جدران النزل وحانته الملأى بالحاضرين. فهذا العتق الذي ينساب فوق الكراسي الخشبية ووسائدها المزينة بالأقمشة المختلفة ونقوش التنانين القديمة التي لا بد وأنها تحمل على عاتقها إحدى الأساطير المتوارثة تجعل للمكان سحرًا خاصًا بلونه الأحمر الطاغي والذي يغلف كل الصين بمختلف معالمها. فالصينيون يعتبرون اللون الأحمر لون تفاؤل وسعادة يجلب الحظ، بينما اللون الأبيض هو لون الموت حينما يبسط يده فوق المكان، لذا كانت دومًا حانات الصين ومطاعمها تعج باللون الأحمر لتمتزج الأرواح الغائبة في حنايا كؤوسها مع بريقه علها تجد السعادة في كأس حتى وإن كانت مجرد لحظة كاذبة.

جلس لؤي بهدوء شاردًا في كل الموجودين وكأنهم صفحة ممزقة من حياة عابثة، وفجأة وجد دياسايد بجانبه على الكرسي الطويل أمام البار بصمت يشبه صمت عقل لؤي الذي كان فقط يستمع للموسيقى الصينية التقليدية المنسابة في أرجاء المكان فابتسم لؤي قائلًا وهو لا يزال يغمض

عينيه مع كل نغمة موسيقية تنبعث في الحانة: "دياسايد.. لقد كنت بانتظارك".

حدق إليه دياسايد بعينين باردتين فيهما بريق أشبه ببريق ألماسة حرة لم تصقل بعد لشدة قسوتها، ومعطفه الأسود الطويل رغم ثقله لا يستطيع إخفاء جسده الضخم تحته. كان دياسايد تمامًا كلون ثيابه مجرد شبح عابر لا يعرفه الموجودون ولا حتى المارون يشعرون بوجوده! وكما أتقن الموت في حياته ليصبح أشهر قاتل مأجور في عصره أتقن الهدوء الذي كان يصاحب خطواته الثقيلة ليصبح دياسايد قاتل الآلهة! يحمل اسمه هذا دون أن يعلم مصدره ولا حتى من أي أسطورة استوحي، فقاتل الآلهة دومًا كان حاضرًا في كل الأساطير القديمة كما كان هو دائمًا، مجرد قاتلٍ جاهزٍ لتنفيذ المهمة بصمت.

قام بتمرير كأس النبيذ الأحمر التي أمامه نحو لؤي دون أن ينطق بكلمة واحدة عندها أمسك لؤي الكأس بين يديه ورفعها قليلًا كمن يحاول شربها ثم أعادها إلى الطاولة ورأسه تتمايل مع الموسيقى. مرت فترة من الزمن والاثنان يجلسان بجانب بعضهما بصمت وترقب وكأس النبيذ تتوسطهما، ثم قطع لؤي ذلك الترقب فجأة حينما تناول هاتفه وقال بعد أن أجاب الطرف الثاني على المكالمة "روبرتو... ها أنا ودياسايد وكأس النبيذ معًا في حانة واحدة تجمعنا موسيقى المكان فقط".

فقال روبرتو وهو يقلب بعض الأوراق التي بين يديه بعبث: "وما شأني أنا بذلك يا لؤي، عليك إنهاء الأمر ليس أكثر".

ابتسم لؤي وهو يحرك إصبعه بشكل دائري فوق فوهة الكأس وقال: "أتعلم يا روبرتو ماذا كان نيتشة يقول عن الموسيقى؟ *لولا الموسيقى*

لكانت الحياة غلطة" ثم أغمض عينيه ثانية وهو يستمع للموسيقى وأكمل: "فالموسيقى هي من قادت نيتشة إلى الفلسفة وسلبته إياها لينتهي به الموت مجنونًا، وروما عاصمة الموسيقى فاستمع إليها يا صديقي حتى لا تكون حياتك مجرد غلطة".

وضع روبرتو الأوراق التي معه على الطاولة وقال: "لؤي، أنا لا يهمني نيتشة ولا تهمني فلسفته، فلماذا تتصل؟".

قال لؤي وهو ينظر إلى الكأس التي أمامه: "اتصلت لأسألك لماذا دياسايد أمامي يا روبرتو؟".

"لقد صدر الأمر بذلك وليس لديّ تفسيرات أخرى".

"ولكن أنتم تعلمون جيدًا أنني لم أسرب الفيروس من المختبر".

"وما دليلك على ذلك؟".

"لا شيء سوى كلمتي".

ضحك روبرتو قليلًا ثم قال بنبرة جادة: "وهل تعتقد أننا بتنا في زمن أصبحت الكلمة فيه دليلًا، يا عزيزي في زمن السلطة الذي نحياه حتى الصور والرسائل الإلكترونية والرسائل الصوتية والفيديوهات لا تندرج تحت الأدلة القاطعة في القضايا، فتأتي أنت لتقول لي إن كلمتك هي الدليل؟!".

ضحك لؤي ضحكة خفيفة حين قال: "إذن دعني أعلّمك بعض الحكمة وسط فوضى سلطتك يا صديقي". صمت قليلًا ثم أكمل: "في زمنك هذا العلم غلب السلطة حتى استطاع محو كينونة الكون فبات كل ما يندرج تحت التفسير العلمي حقيقة، وما لا تفسير له يندرج تحت الخرافة، وبما أن السلطة لا تفسير علميًّا لها فهي... خرافة".

فقال روبرتو وهو يضع عودًا من الخشب بين أسنانه ويلوكه: "ولكن الحقيقة الوحيدة الآن هي أن دياسايد أمامك وبات أمر قتلك نافذًا".

حدق لؤي إلى دياسايد وقال: "أنت محق، هذه حقيقة ولكنها ملموسة وليست علمية. لذا تذكرني بخرافة قالها زرادشت في كتاب نيتشة يومًا بأنه رأى راعيًا يحتضر وقد تدلّت أفعى سوداء حالكة من حلقه وانشبكت فيه حتى أصبحت جزءًا منه، حاول زرادشت سحب الأفعى من حلقه ولكن لم يستطع، عندها قال للراعي أن يعض على الأفعى بأسنانه حتى يقطع رأسها، وفعل فماتت الأفعى وبقي الراعي حيًّا. لذا فلتعلم يا روبرتو أن لا أحد يقتل عالمًا ولا حتى الأفعى لأنه دومًا يمتلك المصل المضاد لسمها".

اعتلى وجه روبرتو نظرة مصدومة وقال بنبرة مرتعدة: "هل تمتلك لقاح الفيروس يا لؤي؟".

ابتسم لؤي وقال: "سأترك لك الإجابة عن هذا السؤال".

وما أن أنهى لؤي جملته حتى كانت تصل لروبرتو رسالة نصية على هاتفه الخلوي الثاني المرمي أمامه على المكتب فتناوله وقرأها:

"*أوقف تنفيذ عملية اغتيال لؤي...*".

رتزل

قرأ روبرتو الرسالة النصية التي أمامه ليقول للؤي الذي لا يزال يضع الهاتف على أذنه مغمضًا عينيه ليستمتع بالموسيقى: "لربما علمك هو الحقيقة الوحيدة الآن ولكن فلتعلم أن السلطة هي من تصوغ الحقائق".

ابتسم لؤي قائلًا وهو لا يزال يحمل كأس النبيذ التي وضعها له دياسايد: "لو عدت إلى التاريخ يا روبرتو وأزلت عنك غطرسة السلطة

لعرفت أنه بالعلم نهضت اليابان وبالسلطة سقط الاتحاد السوفييتي، لذا فالمعادلة لا يمكن لها أن تتوازن أبدًا".

أغلق لؤي الهاتف وهو لا يزال يحمل كأس النبيذ بين يديه حينما نهض تاركًا دياسايد خلفه سائرًا باتجاه طاولة من طاولات الحانة وهو يمسح الكأس من كل جانب ثم أمسكها بمنديل ورقي بعد أن تأكد أنها باتت خالية تمامًا من أي بصمة من بصماته وقدمها إلى إحدى الفتيات الثملات في الحانة لتأخذها مبتسمة وشاكرة ومترنحة دون أن تدرك أنها ستكون آخر لحظة تنحني فيها احترامًا لأحدهم. سار لؤي بخطوات باردة متجهًا إلى باب الحانة ودياسايد لا يزال يحدق إلى الفتاة التي تشرب كأس النبيذ من بعيد وما أن سقطت أرضًا حتى عجت الحانة بالفوضى ليعلن بعد لحظات أحد الموجودين أنها ميتة ويغادر دياسايد الحانة بهدوء كما دخلها.

الفصل السادس عشر

ووهان - الصين

مرت الأيام وآدم يلقي قصاصة الورق الصغيرة التي وجدها في ساعة الرولكس أمامه محاولًا فهم ما الذي يريد أن يخبره به وانغ لي "ذكرى العم تشن المرفوضة!" ما هي تلك الذكرى التي رفضها العم تشن؟ وماذا يعني الرقمان 13-25؟ من أحرق شقته وما الهدف من حرقها؟ كل تلك الأسئلة وذهنه المشتت لا يزال يحاول بكل طاقته استرجاع كل ما جمعه من ذكريات مع وانغ لي والعم تشن المقبولة منها والمرفوضة ولكن بلا جدوى.

ما هي تلك الذكرى؟! الأمر المرفوض الوحيد عند العم تشن كان هذه السيجارة!

شعر آدم بالضيق من شدة التفكير فخرج من المنزل بلا وجهة محددة. كان آدم يقف داخل المصعد فقدماه جرتاه بلا وعي إلى البرج الذي يقطنه وانغ لي. دخل سكان المبنى المصعد وبدأ كل واحد منهم بالضغط على الزر الخاص بطابق شقته كان آدم ينظر إلى الأزرار التي أمامه في المصعد والمرقمة من الرقم 1 إلى الرقم 45.

توقف المصعد أكثر من مرة وخرج منه الجميع عدا آدم الذي كان لا يزال شاردًا بلوحة الأرقام حينما لاح طيف العم تشن أمامه والذي كان معه هو ووانغ لي هنا قبل خمس سنوات عندما وقفوا ثلاثتهم في الطابق 25

ليقول العم تشن حينها: "لقد أخطأنا الطابق يا وانغ لي فأنت تقيم في الطابق العشرين كما أذكر".

ابتسم وانغ لي وقال: "تعالَ يا أبي" فتح وانغ لي واحدة من الشقق الفارغة الموجودة في الطابق حينها وقال لوالده: "لقد اشتريت لك هذه الشقة يا أبي لتكون قريبًا مني.. ألم تسأم الحي؟".

سار العم تشن في حنايا الشقة الجديدة والتي كانت رائحة الدهان لا تزال تعبق فيها وقال مبتسمًا "ألا تعلم أن أكثر ما قد يثير الخوف في قلب المرء عند بلوغه الكبر هو الوحدة يا بني؟".

فقال وانغ لي وهو ينظر إلى والده: "ولكن... يا أبي لن تشعر بالوحدة وأنا موجود".

ابتسم العجوز تشن وقال: "شكرًا لك يا بني..." تجول تشن في الشقة قليلًا ثم أكمل قائلًا: "سأشعر بالغربة هنا يا ولدي، وأصعب ما قد يشعر به المرء بعد أن غزا العمر تفاصيله هو الغربة في قلب الوطن؛ لذا دعني أحيا أيامي المتبقية في الحي القديم حيث أصدقائي القدامى وأحاديثهم التي قضم العمر نصفها، ورائحة الشاي النفاذة من محل الحلاقة الذي يقع قبالة منزلي فأخرج لشربه وأنا أحيا تفاصيل الأرض في وجوه المارين والجالسين وحتى الباعة المتجولين، دعني يا بني أمضي بقية عمري مع نفسي بدلًا من أن افقدها قبل أوانها فالعمر لا يتكرر مرتين".

"ولكن يا أبي... لقد...".

اقترب العم تشن من وانغ لي وعانقه قائلًا: "أنا لن أغادر الحي القديم فأعد المفتاح إلى صاحبه".

كان آدم لا يزال في قلب المصعد حينما اقترب ببطء من لوحة أزرار الطوابق وضغط على الطابق رقم 25 خرج من المصعد. سار باتجاه الشقة التي رفضها العم تشين، الشقة رقم 13!

نعم، تلك هي ذكرى العم تشن المرفوضة! إنها الشقة... شقة العم تشن!

وقف آدم أمام باب الشقة. وضع المفتاح في القفل وأداره، فُتح الباب وعلم حينها بأن الشقة التي رفضها العم تشن قبل خمس سنوات لا تزال موجودة!

الفصل السابع عشر

ووهان - الصين

دخل آدم الشقة القديمة ووقف عند مدخلها وهو يمسك قصاصة الورق التي بين يديه مبتسمًا بألم. أغلق الباب خلفه ووضع علاقة المفاتيح فيه حتى لا يحاول أحد فتح الباب ثم سار في الشقة التي كانت خالية تمامًا من كل شيء سوى بقايا كأس ماء بدأ يجف بسبب غياب صاحبه وفراش خاص للنوم ملقى على الأرض في قلب الشقة. أمامه طاولة مكتب صغيرة فوقها جهاز لاب توب 17 إنش مغلق وحقيبته السوداء مرمية بعبث.

قرب الكرسي الذي كان بجوار النافذة العارية من كل شيء عدا ضوء الشمس وجلس عليه ثم فتح جهاز اللاب توب المغلق أمامه. حاول الدخول إلى اللاب توب ولكن كانت كلمة السر عائقًا بينه وبين معرفة ما يحمله هذا اللاب توب من معلومات ربما يحاول وانغ لي إيصالها إليه. كان رأس آدم مثقلًا بالأحداث والغموض الذي بات يحيط به منذ رحيل وانغ لي لدرجة لم يرغب فيها بالتفكير فلم يقم بوضع كلمة سر حتى ليجرب فتح الجهاز، ولكنه قرر أن يغلقه ويضعه في الحقيبة الخاصة به ويأخذه معه إلى المنزل، وما أن أزاح الحقيبة حتى وجد تحتها هاتفًا خلويًا من طراز نوكيا 1100 مطفأً. ضغط على زر التشغيل ولكن على ما يبدو أن بطارية الهاتف فارغة، نهض آدم ليبحث عن جهاز شحن يساعده على تشغيل الهاتف. كانت الشقة خاوية لدرجة أنه لو كان هناك شاحن لظهر بلا

عناء، ولكنه لم يجد أي جهاز شحن حوله، فتح حقيبة اللاب توب ليبحث في جيوبها وما أن مد يده حتى وجد الشاحن هناك، وضع الهاتف على الشاحن ثم أخذ يسير في حنايا الشقة الفارغة.

ترى لِمَ كان يحتفظ بالشقة؟ ولِمَ لم يخبرني بذلك؟

قطع صوت الهاتف السكون الذي يغلف المكان من حول آدم حينما رن فجأة. وقف واجمًا ثم اقترب من الهاتف بسرعة وهو يجيب على متصل بلا اسم: "نعم...".

"آدم! لقد توقعت ذلك"، قال لؤي بحنكة.

قال آدم ببرود شابه بعض الاندهاش الذي لم يلحظه لؤي: "وأنا لم أكن أتوقع أن تكون أنت المتصل الوحيد على هذا الهاتف".

"بل أنا هو، فأخبرني هل ترك وانغ لي كرت الذاكرة معك؟".

فكر قليلًا قبل أن يجيب بنبرة واثقة: "نعم".

"حسنًا هذا جيد، إذن سأحدد لك موعد لقائنا ومكانه لاحقًا، وداعًا الآن".

أغلق لؤي الهاتف وآدم غير مدرك لماذا أجاب بنعم وهو لا يعرف عما يتحدث لؤي؟! وأين هو كرت الذاكرة الذي يبحث عنه وكيف سيعطيه إياه إن لم يجده؟ سقط رماد السيجارة القابعة بين أصابع آدم على الأرض لينتبه أنها انتهت دون أن يدخنها فأطفأها في المنفضة الموجودة وغادر.

الفصل الثامن عشر

بكين - الصين

ظهر على شاشة التلفاز الشريط الإخباري اليومي والذي أصبح لا ينقل سوى أخبار المرضى وأعداد المصابين بفيروس الكورونا المستجد. فها هو الفيروس بدأ يتفشى في ووهان تدريجيًا كما حذر وانغ لي سابقًا وأصبح عدد المصابين حتى الآن 571 حالة و17 منهم قد لقوا حتفهم جراء المرض.

تنهدت نادين بصمت حينما تذكرت العم تشن ووانغ لي فهي لا تكاد تصدق حتى هذه اللحظة أنها لم تعد تستطيع رؤيتهما والتحدث إليهما ثانية. قررت أن تشغل فكرها قليلًا بعيدًا عن الأحداث الشائكة التي حولها فنهضت نحو اللاب توب الخاص بها علّها تجد ما يساعدها على ذلك، لكنها وجدت نفسها تبحث تلقائيًّا عن كل ما يتعلق بوانغ لي من فيديوهات ورسائل غزت الإنترنت وباتت هي الترند الأول في الصين. شردت نادين بصديقها وانغ لي الذي كان يتنفس عبر جهاز الأوكسجين في الفيديو الشهير له فأغلقته دون أن تكمل الثواني الأولى منه حينما شعرت بألم كالغرس يغوص في قلبها. كم هو مؤلم أن ترى صديقها مجرد شريط فيديو على الشاشة؛ صورة بلا روح! حاولت نادين أن توقف الأفكار التي بدأت تبحر في رأسها وفجأة وصلها بريد إلكتروني بعنوان "إلى الدكتورة نادين.. يفتح للضرورة".

تناولت فنجان الشاي الذي كان على الطاولة بجانبها وارتشفت منه قليلًا وهي تفتح البريد الإلكتروني وما أن قرأته حتى سقط فنجان الشاي من يدها وهي تنظر بفزع إلى الشاشة التي أمامها. كان البريد يحمل صورة التعهد الذي وقعه وانغ لي عند قسم الشرطة مرسلة من وانغ لي نفسه وكتب فيه:

"إن وصلك هذا البريد الإلكتروني فذلك يعني أنني ميت الآن يا نادين، لذا لا تنسي بأن هناك ذكريات جمعتنا في ضحكات وخوف على باب هوانان ولتعلمي أنه إن سقط الرجل لا بد للغة أن ترثيه، ولا لغة سترثي الرجل يومًا كالنساء... أحبك يا صديقتي وداعًا".

وانغ لي

انهمرت دموعها حارقة فوق وجنتيها وهي تقول: "لماذا رحلت وتركتني وحيدة يا وانغ لي؟".

الفصل التاسع عشر

ووهان - الصين

2020/1/23

سار آدم فوق جسر نهر اليانغتسي وهو يرتدي الكمامة والقفازات التي باتت مشهدًا اعتياديًا في الصين أكثر من اللازم منذ ظهور فيروس كورونا المستجد. وقف هائمًا في النهر الذي كانت العبّارات تمر من خلاله والقوارب معلنة نهاية اليوم لعل غدًا يحمل في قلبه خيرًا جديدًا، أما آدم فكانت سيجارته تحترق بين أصابعه عندما اقترب منه لؤي واتكأ على طرف الجسر الحجري قائلًا: "هل جلبت كرت الذاكرة؟".

قال آدم وهو ينفث دخان سيجارته دون أن ينظر إلى لؤي: "وهل تمتلك أنت الأجوبة على أسئلتي؟".

"وحتى إن كنت أمتلكها لا أعتقد أن الوقت سيسمح لنا بمناقشتها الآن".

فأجابه آدم كمن يحدث نفسه: "لطالما كنت أتساءل دومًا ماذا كان وانغ لي بالنسبة لك؟".

"وانغ لي رحل وأفضل ما يمكنك فعله الآن أن تعطيني كرت الذاكرة الذي تركه معك".

استدار آدم نحوه وقال: "أنا لا أعرف عن أي كرت تتحدث يا لؤي، فشقة وانغ لي لم يكن بها سوى الرماد، وحتى إن كنت أمتلكه لماذا أعطيك إياه؟".

رمق لؤي آدم بعين قاسية قائلًا: "لأنك لا تمتلك خيارًا آخر".

فقال آدم ببرود: "بل على ما يبدو أنا وحدي من يملك الخيارات هنا".

"هل تعرف الزمن يا آدم؟ ذلك المارد الذي إذا جعلته يمضي خلالك مبحرًا كتلك العبّارة هناك ستضيع معه تفاصيلك، وربما حياتك لتجد نفسك لوهلة تقف أمام عتبته لا تحمل شيئًا سوى الندم على أنك لم تعره اهتمامًا في لحظة غافلة كهذه!".

رمى آدم عقب سيجارته أرضًا وأطفأه بحذائه قائلًا: "في هذه اللحظات لا أعرف غيره، فلولاه لكان وانغ لي هو من يقابلك الآن ولست أنا".

أخرج لؤي مسدسًا من جيبه ووضعه على خاصرة آدم الذي كان يرتدي سترة جلدية لم تلغِ ذلك الشعور بوخز فوهة المسدس وقال بنبرة تهديد: "عندما يقبل الموت نحوك ستدرك حينها أنك لا تملك سوى خيار واحد" صمت قليلًا وضغط على زناد المسدس مكملًا: "السعي للحياة". عندها تأكد آدم بأن لؤي ليس لديه ما يخسره إذا لم يحصل على هذا الكرت الذي لا يعرف مكانه!

"أنا لا أعرف مكان الكرت".

"أين الهاتف الخلوي الذي كلمتني منه؟".

أخرج آدم الهاتف من جيبه وناوله للؤي الذي أمسكه وقلبه ليفتح غطاءه الخلفي ويزيل بطاريته نازعًا عنها كرت ذاكرة لا يتجاوز السنتيمتر الواحد ثم أغلق الهاتف ثانية وناوله لآدم قائلًا: "احتفظ به، ستحتاجه لاحقًا".

أزال المسدس عن خاصرة آدم الذي كان لا يزال تحت تأثير الصدمة مما حدث بينما استدار لؤي بالاتجاه المعاكس له ليسير مغادرًا. عندها رن هاتف آدم بوصول رسالة نصية وما أن فتحها حتى علم أن مدينة ووهان دخلت في حالة الطوارئ بسبب الفيروس، وسيتم العمل بالحظر الشامل بعد 8 ساعات من الآن لذا عليه أن يصل بيته قبل ذلك.

الفصل العشرون

بكين - الصين

حاولت نادين أن تتمالك نفسها بعد أن قرأت البريد الإلكتروني الذي وصلها من وانغ لي فنهضت إلى النافذة محاولة أن تتنفس بعمق علّها تزيح ذلك الثقل الذي اعتلى صدرها للحظات. كان شعرها الأحمر الصاخب يتناثر مع الهواء ببعثرة تشبه تمامًا تلك البعثرة التي هاجت في داخلها حينما مرت كل الذكريات أمامها دفعة واحدة؛ ضحكة العم وانغ تشن وابتسامة وانغ لي وهما خارجان من سوق هوانان والشاب الذي يحمل شوربة الخفاش أمامها وفجأة تمتمت قائلة: "سوق هوانان!".

أقفلت النافذة مسرعة ولملمت شعرها الغجري المبعثر الذي أضفى على وجهها الأبيض لمحة شرقية تميزت بها رغم التعب الذي يعتلي صفحة وجهها الباهتة، جلست أمام الشاشة وتناولت قلما وورقة وكتبت:

"لذا لا تنسي بأن هناك ذكريات جمعتنا في ضحكات وخوف على باب هوانان ولتعلمي أنه إن سقط الرجل لا بد للغة أن ترثيه، ولا لغة سترثي الرجل يومًا كالنساء...".

ربطت شعرها الهائج بالقلم الذي بين يديها وأخذت تذرع الأرض ذهابا وإيابًا وهي تفكر بتوتر.

على باب هوانان، ولا لغة سترثي الرجل يومًا كالنساء.

كانت خطوات نادين المشوّشة وقبضة يدها التي تضربها بكفها بين الحين والآخر تدل على أنها لن تهدأ حتى تفهم معنى الرسالة. تمتمت قائلة: "النساء... إنها النساء هذا ما تحاول أن توصلني إليه يا وانغ لي. ولكن على باب هوانان، ماذا كان هناك يتعلق بالنساء؟".

وضعت نادين كفها على صدغها وأخذت تفركه بقوة "النساء في سوق هوانان! ماذا كان في سوق هوانان يدل على النساء؟" توقفت نادين للحظات وأخذت تعد على أصابعها ما تذكره "كان هناك بائعات من النساء في السوق، وكان هناك زبائن كثر من النساء، شوربة الخفافيش لم تكن تحملها امرأة بل شاب" توقفت نادين للحظات عن التفكير وقالت: "البائعات.. هل توقفنا عند إحداهن في السوق؟ هل نقلت إحدى البائعات الفيروس إلى وانغ لي في السوق؟! وما علاقة الرثاء بذلك؟".

هزت نادين رأسها بقوة وأخذت تقول كمن يخاطب أحدًا: "لا، لا.. وانغ لي لا يعرف أي شيء عمن نقل الفيروس من سوق هوانان إلى ووهان ولكن هو يحاول أن يقول لي شيئًا. تذكري يا نادين ماذا كان هناك يوم ذهابنا إلى سوق هوانان؟".

ظهرت على وجهها علامات الاشمئزاز ثانية حينما تذكرت السوق.

"ألم تجد ما هو أفضل من سوق هوانان يا وانغ لي؟".

أغمضت نادين عينيها بقوة كمن يحاول استراق كل ما رسخ في عقله الباطن والذاكرة من معلومات ولكن بلا جدوى. حملت هاتفها وأخذت تقلب في ألبوم الصور باحثة عن صورها مع وانغ لي وآدم يوم زيارتهم لسوق هوانان. في معظم الصور كان وجهها تعلوه علامات الاشمئزاز والخوف، وفجأة وجدت صورة لها وهي تسير في الشارع المعاكس للسوق

فقالت وهي تضع الجهاز على الطاولة بقوة: "نعم، لقد تذكرت، هذا ما تحاول أن تخبرني به".

بدأ الحديث الذي دار بينها وبين وانغ لي ينساب في حنايا ذاكرتها بنفس الصيغة التي تكلما بها ذلك اليوم حين قال:

"أتعلمين أن هناك لغة خاصة للنساء لدينا في الصين".

"سمعت عنها، أعتقد أنها تسمى لغة الناشو".

"تقصدين النوشو، نعم إنها هي".

"يُقال إنها لغة سرية تكتب بشكل عمودي، اخترعتها النساء، لتنقل الرسائل في ما بينهن دون أن يلتقطهن الرجال في السابق، وكن يكتبنها فوق المراوح الورقية أغلب الوقت" قالت نادين.

توجهت نحو شاشة اللاب توب مسرعة وقالت وهي تضغط على أزرار الشاشة بقوة في بحث سريع: "لغة النوشو، ذلك ما تقصده يا وانغ لي!".

الفصل الحادي والعشرون

روما - إيطاليا

كانت شاشة التلفاز في منزل روبرتو مفتوحة ولكن بلا صوت وفيروس كورونا المنتشر في الصين قد انتقل إلى كوريا الجنوبية واليابان وغيرها من دول آسيا ليتصدر الأخبار بعد أن أطلق عليه (فيروس كوفيد 19) وبدأت منظمة الصحة العالمية تحاول التحذير منه كمرض سريع الانتشار وربما يتحول إلى وباء إن لم يتم اتخاذ الإجراءات الاحترازية لمواجهته. أغلق روبرتو الشاشة بلا اكتراث.

سوف يتحول إلى وباء.

اقتربت مارتينا وهي تحمل كوبين من القهوة فناولته واحدًا وحملت الآخر لترتشف منه القليل وتوجهت نحو الشرفة وهي تقول "هل تعتقد أن هذا الفيروس فعلًا سيتحول إلى وباء عالمي؟" وقف روبرتو في الشرفة الحجرية المطلة على ساحة البانثيون بجانبها وقال: "لقد تم تصنيعه ليصبح وباء".

رشفت مارتينا القهوة بهدوء وهي تتكئ على حافة الشرفة وموسيقى العازفين المتجولين تصدح في حنايا الساحة الممتلئة بالسياح وقالت: "ربما سيساعد ذلك على التخفيف من ثقل البشر فوق هذا الكوكب!".

ضحك روبرتو قائلًا: "مجنونة أنت يا مارتينا".

"لقد قامت الشركة بتعديل جدول رحلاتي، لذا ستصبح زياراتي إلى روما أكثر".

اقترب منها روبرتو وهو يطوق خصرها النحيل بذراعه وقال: "يبدو أنني أنا من سيحتاج لإجازة إذًا".

اختلست مارتينا النظر إليه وشعرها المبتل فوق كتفيها جعلها تبدو كفرس هائجة في البراري: "لم أستطع يا روبرتو".

وقف روبرتو واجمًا أمامها: "ماذا تعنين؟".

قالت وهي تستدير نحو الساحة ثانية وترتشف فنجان قهوتها: "لم أستطع أن أفي بوعدي لك".

أدارها روبرتو نحوها بقوة وقال بنبرة متوترة: "ماذا تقصدين بكلامك هذا؟".

كان صوت العازف على الكمان في الساحة تحت أخذ يشدو بموسيقى فيلم العراب الشهير الذي كشف حقيقة المافيا الإيطالية للمرة الأولى في فيلم هوليوودي من الدرجة الأولى معلنًا أن الإمبراطورية الرومانية التي بنيت على الفن والفلسفة عبر التاريخ لا تزال دماء فرسانها التي أهدرت فوق ساحة الكولسيوم في نزالات الموت تسري في عروق شعبها الثرثار ذي الضحكة المبهجة، لتخلق مزيجًا من التناقضات البشرية الحقيقية التي لا تعرف خيرًا كاملًا وشرًا كاملًا. فما نحن إلا منظومة متداخلة من الاثنين معًا ونحن من نقرر من سيطغى على الآخر! هزها روبرتو بعصبية وقال: "ماذا فعلت؟ أجيبي؟".

"لقد قتلته... قتلت أندريه مدير شركة الطيران التي أعمل فيها".

الفصل الثاني والعشرون

بكين - الصين

كانت نادين تقف بجانب الآلة الطابعة تنتظر طباعة صورة التعهد الذي أرسله إليها وانغ لي في بريده الإلكتروني الأخير. تناولت الورقة وجلست على حافة الأريكة وأخذت تمعن النظر فيها لتفهم لماذا أرسل وانغ لي هذا التعهد؟ وما علاقته بلغة النوشو التي كان يريدها أن تسعى لحلها؟ قرأت نادين الورقة بدقة فلم تجد فيها ما هو جديد ؛التاريخ، رقم التعهد وفقًا لتصنيفه، صيغة التعهد بعدم المساس بأمن الدولة عن طريق ترويج الشائعات، بصمات وانغ لي وتوقيعه.

"لا شيء جديد في هذا التعهد" قالت نادين وهي تضع التعهد أمامها على الطاولة ثم أحضرت اللاب توب وقامت بالاسترخاء على الأريكة ووضعته فوق ساقيها. كانت تشعر بأن فقرات عنقها باتت قطعة واحدة من شدة التعب والتفكير، لماذا تحاول فك كل هذه الأسرار التي يرغب وانغ لي بإخبارها بها؟ ما الفائدة من كل ما تفعل إن كان صاحب الشأن ميتًا الآن! فتحت نادين الشاشة وبدأت بالبحث عن تعهد وانغ لي الذي انتشر في الإنترنت سابقًا وما أن كتبت على محرك البحث كلمة (تعهد الدكتور وانغ لي) حتى ظهرت لها صور مختلفة بقياسات متعددة.

فتحت إحدى الصور ودققت فيها، لم تستطع المقارنة بوضوح فقامت بإرسال أمر للطابعة بطباعتها. جلست على الطاولة ووضعت

التعهدين أمامها. مضت بضع دقائق ونادين لا زالت تحاول البحث عما يريده وانغ لي وفجأة وجدت نادين أن هناك اختلافًا بين الورقتين. فقد كان التعهد الذي أرسله لها عبر البريد الإلكتروني يحتوي على خانة إضافية بعنوان (صندوق بريد) خالٍ تمامًا من أي رمز أو رقم! فهل يقصد صندوق بريدها أم أن هناك صندوقًا آخر يريدها أن تعلم بوجوده؟ وهل لهذا الصندوق علاقة بلغة النوشو أم أنه مفتاح يقودها إلى طريق آخر؟

خللت أصابعها في شعرها الأحمر المجعّد وهي تقول بعصبية: "آه يا وانغ لي لِمَ كل هذا؟ وما شأني أنا؟" رمت نادين التعهدين على الطاولة وذهبت لتشرب كوب ماء ساخن بعد أن شعرت بالجفاف في حلقها واتكأت على طرف المغسلة وهي تقول: "لا لن أكمل في هذا فأنا لست إلا موظفة مقيمة هنا لا أكثر، ولا أريد أن أكون أكثر".

رن هاتفها فأجابت قائلة: "آدم! أين كنت طيلة تلك المدة لقد قمت بـ...".

قاطعها آدم بهدوء وقال: "نادين، عليك القدوم إلى ووهان فزوجك السابق لؤي على ما يبدو يحمل سرًا أكبر مما يحاول وانغ لي أن يوصله لنا. فأنا متأكد تمامًا بأن وانغ لي ترك لك رسائل كتلك التي تركها لي".

فغرت نادين فاهها غير قادرة على النطق وأكمل آدم قائلًا: "لقد أعلنوا الحظر الكامل هنا، ولكن ابحثي عن طريقة للوصول إلى ووهان في غضون أيام فأنا أحتاجك هنا لا في بكين".

أجابت نادين بنبرة شاردة: "نعم، سأفعل" أغلقت الهاتف منهكة دون أن تعطي لآدم أي مجال للكلام! كانت غير قادرة على تصديق ذلك، فلؤي

وكل ما حمله زواجها السابق منه لا يزال يطل عليها بأشباحه الماضية حتى هنا في الصين!

لقد علمت ذلك... نعم هناك عند البركة الشرقية كنت أعلم أنك لم تحضر من أتلانتا عبثًا يا لؤي!

تأكدت نادين بعد مكالمة آدم بأن شعورها في ذلك اليوم لم يكن مجرد شعور عابر فالحديث الذي دار بين وانغ لي ولؤي حينها لا يزال يقرع في أذنها كأنه اللحظة عندما قال وانغ لي للؤي:

هناك تفاصيل علينا التحدث بها!

فما هي تلك التفاصيل؟ وما الذي كان على وانغ لي مناقشته مع لؤي ولم يكن يرغب أن يتحدث به أمامها؟ رغم أنه يعلم بأن لؤي ليس مجرد زوجها السابق، فما رحيلها من أتلانتا إلا محاولة للهروب منه!

الفصل الثالث والعشرون

روما - إيطاليا

كانت الشرفة الحجرية التي يقف عليها كل من روبرتو ومارتينا لا تزال تصدح فيها موسيقى العازف المتجول في ساحة البانثيون حينما اقترب روبرتو من مارتينا بغضب يستشيط في عينيه وهو يمسك ذراعها قائلًا: "ثانية يا مارتينا! هل جننت؟".

تناولت مارتينا سيجارة وأشعلتها ببرود وقالت: "لم يعجبني أسلوبه معي، فلقد شعرت بنوع من التحرش".

نظر إليها روبرتو مصعوقًا: "لم يعجبك أسلوبه بالكلام فأرديته قتيلًا! أي حلول مجنونة تلك التي اتخذتها؟".

استدارت مارتينا نحوه وقالت: "وما برأيك الحل يا عزيزي؟".

هزّ روبرتو كتفي مارتينا: "ألف حل، ولكن بالتأكيد ليس القتل!".

اقتربت مارتينا من روبرتو وقالت بصوت جليدي "ماذا تعني يا روبرتو؟ هل تحرشه بي أمر عادي بالنسبة لك؟".

"بالطبع لا، ولكن لن أقتله بسبب ذلك".

قالت بغضب وبصوت لاذع: "لن تقتله بسبب ذلك!" دخلت إلى المنزل وهي تطفئ سيجارتها في المنفضة الموجودة فوق الطاولة وقالت دون أن تنظر نحو روبرتو "لن تقتله إذا تحرش بحبيبتك! وماذا ستفعل إذن، تقدم له وسام الشرف!".

"أتصرف بطريقتي، ولكن ليس قتلًا" صمت روبرتو قليلًا ثم أكمل: "تقتلينه لأنه حاول التحرش بك! أخبريني الآن أين هو لننظف مكان الجريمة بسرعة".

رمقته مارتينا والغضب ينهشها من الداخل فقالت له وهي تقترب منه: "مكان الجريمة! هذا ما يهمك؟".

تناول روبرتو هاتفه الخلوي محاولًا الاتصال عندها أمسكت مارتينا الهاتف وألقته أرضًا بقوة من شدة الغضب وقالت: "هل تعتقد أن قتلي له غلطة لأنه تحرش بي؟ هل هذه هي رجولتك يا زوجي المستقبلي؟".

نزل روبرتو ليتناول الهاتف المرمي على الأرض وقال بجنون: "نعم غلطة، وكل ما عليّ التفكير به الآن التخلص من آثارها قبل أن تُكتشف، متى قتلتِه؟".

حملت مارتينا المنفضة التي على الطاولة وألقتها نحو روبرتو الذي أزاح رأسه سريعًا حتى يحمي رأسه منها قبل أن تصيبه بها وقالت: "إذن أنت تعتبر أنني مجنونة لأنني دافعت عن نفسي".

أسرع روبرتو نحوها وهو يصرخ: "لا... لا أعتبركِ مجنونة، بل أنتِ مجنونة بالفعل!" وضع روبرتو الهاتف على أذنه ليتصل فقامت مارتينا بأخذ الهاتف وضربه بالحائط لينكسر وقالت بصوت صارخ: "وهذا ما تفعله المجنونة! لا أريد أن تُمحى آثار الجريمة".

أمسك روبرتو كتفي مارتينا وهزهما بقوة حينما قال: "ما بك؟ لِمَ تفعلين هذا؟".

قالت مارتينا: "لأنني مجنونة ستتزوج من رجل لا يهمه إن تعرضت للتحرش".

صرخ روبرتو قائلًا: "بضع كلمات عابرة أسمعك إياها مديرك تنهيها بقتله! ماذا سأفعل إن تم سجنك ثانية يا مارتينا؟ أنت تعرفين جيدًا أن محو سجلك الإجرامي القديم قد كلفني الكثير فلماذا تعيديننا إلى هذه الدوامة من جديد؟".

كانت مارتينا قد بدأت تفقد أعصابها وأخذت تلقي كل ما في المنزل على الأرض وهي تقول: "لأنني مجنونة، مجنونة يا روبرتو! مجنونة قررت الزواج من رجل لا يهمه إن تحرش بي مدير عملي، ولا يحمل من الرجولة سوى مظهرها التافه بكتفيه العريضتين وشاربه المحلوق".

اقترب روبرتو منها محاولًا إيقافها عن تحطيم ما حولها من أشياء وأمسك بإحدى يديه كفيها اللتين لا تزالان تحملان كوبًا فارغًا وباليد الأخرى شعرها المبتل لتنحني إلى الخلف وهي ترمقه بنظرات مشتعلة جعلت وجنتيها الحمراوين من شدة الغضب ترسمان فوق وجهها العاجي سحرًا كان يعلم أنه لا يستطيع مقاومته حتى وإن كانت قاتلة. فاقترب روبرتو منها وقبلها عنوة وهي لا تزال مقيدة بذراعيه القويتين وقال: "بل تتزوجين من رجل يحبك حتى الجنون، وضع تاريخه واسمه ومنصبه على المحك ليمحو اسمك من سجلات الحكومة ويرفع عنك كل الأحكام الصادرة عليك بسبب جرائم القتل التي ارتكبتها سابقًا، جازف باسمه الذي بناه على مدار أعوام فقط لتكوني حرة".

حدقت إليه بشراسة ممزوجة بحب لا تستطيع إخفاءه رغم غضبها وسقط الكوب من يدها وهي تقول: "لم أستطع أن أفي بوعدي".

تناول روبرتو هاتفها ورن منه على زر الاتصال وهو يقول: "باولو.. سأرسل لك موقعًا عليك الذهاب إليه لإعادة ترتيبه فالمكان، يحتاج للتنظيف بالكامل".

الفصل الرابع والعشرون

بكين - الصين

استيقظت نادين على رنين هاتفها الخلوي عندما اتصلت بها إحدى الموظفات في المستشفى قائلة: "دكتورة نادين، هناك اجتماع طارئ لجميع الأطباء في المستشفى الساعة العاشرة حتى من هم ضمن المناوبة المسائية".

قالت نادين وهي لا تزال في سريرها تحاول رفع ثقل الليلة الماضية: "شكرًا لكِ سأكون هناك في الموعد".

وضعت نادين هاتفها جانبًا وهي لا تزال متمددة في فراشها بكسل ثم نهضت ببطء لتغتسل وتبدأ نهارها، وبعد حمامها البارد ذلك شعرت ببعض الحيوية وكان شعرها الأحمر الهائج أكثر هدوءًا وهو مبتل فقامت بلمه بعبث. نظرت في المرآة لتجد عينيها المرهقتين لا تخفيان لياليها السابقة بكل ما فيها من تعب. وقبل أن تغادر اتجهت نحو اللاب توب الذي كان مفتوحًا منذ الأمس على صفحة التعهد الخاصة بوانغ لي. توقفت للحظات أمام الشاشة ثم أغلقتها بسرعة وخرجت.

كانت نادين داخل المصعد حينما كان صوت آدم يرن في رأسها "*زوجك السابق لؤي على ما يبدو يحمل سرًا أكبر مما يحاول وانغ لي أن يوصله لنا*" كانت تعلم نادين أن تلك القشعريرة التي سرت في جسدها حينما التقت بلؤي لا تعني سوى أنها لم تستطع حتى هذه اللحظة أن تخط السطر

الأخير للنهاية لتعلن صفحة البداية من جديد حتى وإن كانت في بكين! نعم عرفت أن لؤي ببريق عينيه المميز وسمرته العفوية التي لم ترسمها الشمس على وجهه يومًا، بل منحته إياها الطبيعة لتعلن أنه شرقي رغم لكنته الأمريكية الواضحة، لا يزال موجودًا رغم ضبابية الحضور في قلب الغياب.

فُتح باب المصعد فجأة لتتوقف أفكار نادين المنسابة في رأسها وتخرج منه مسرعة لتلحق بالاجتماع الطارئ في المستشفى وما أن عبرت الممر المؤدي إلى الخارج حتى توقفت فجأة أمام صناديق البريد التي علقت على الجدار الطويل كفسيفساء مبعثرة أو أحجية تحتاج إلى إعادة ترتيب لفوضى الألوان الموجودة فيها، اقتربت من صندوق بريدها، حدقت إليه للحظات، أخرجت علاقة مفاتيح منزلها لتمسك بمفتاح صغير وتنفست بعمق ثم فتحت الصندوق متأملة أن تجد جوابًا لرسالة وانغ لي المبهمة تلك ولكن كان الصندوق كما هو لا يحتوي إلا على بعض الفواتير والرسائل التابعة لمقر عملها. وقفت أمام الصناديق للحظات تجوب نظراتها بين صندوق مهترئ قديم وآخر حديث ذي ألوان مختلفة وأرقام متناثرة حسب ترتيبها التسلسلي.

تمتمت نادين وهي واقفة بصمت: "ماذا كنت تعني بصندوق البريد يا وانغ لي؟".

* * *

سارت نادين في ممرات المستشفى بروبها الطبي الأبيض والسماعة حول عنقها حينما وصلت إلى غرفة الاجتماع قبل الموعد بدقيقتين. دخل مدير المستشفى ومعه أحد العسكريين وبدأ الاجتماع بشكل سريع على

غير العادة وقال: "أعتقد أننا جميعًا متابعون للوضع الحالي في مدينة ووهان وفيروس كوفيد-19 الذي يداهمها بقوة، فقد تم إعلانها كبؤرة للوباء، لذا تم إصدار أمر من الدولة بتقديم مجموعة من الأطباء المتطوعين للذهاب إلى هناك لمساعدة الطاقم الطبي بسبب عدم قدرة القطاع الصحي الموجود هناك في تغطية كل الحالات، سنقوم الآن بكتابة قائمة بأسماء المتطوعين ثم تغادرون المستشفى فورًا حتى تستعدوا للرحيل إلى ووهان غدًا صباحًا".

وقف الأطباء المتطوعون ضمن طابور حتى يسجلوا أسماءهم وما أن وصلت نادين وقالت للموظف الذي يسجل القائمة اسمها حتى قال العسكري: "أنت لا تستطيعين التطوع في هذا الأمر".

"لِمَ يا سيدي؟".

"الحكومة ترغب بمتطوعين من الجنسية الصينية كمرحلة أولى، وإن اضطروا لاحقًا سيفتحون المجال لمتطوعين من الجنسيات الأخرى".

"ماذا تعني؟ لا يمكن أن يكون هناك تفرقة بين الجنسيات المتطوعة في ظرف كهذا، إنه ظرف إنساني طارئ ولا يمكن لي التخلي عن دوري كطبيبة فيه".

قال العسكري وهو يقلب في قائمة المتطوعين: "إنها الأوامر".

كانت نادين لا تفكر حتى بموضوع التطوع ذاك ولكن كل ما كان يسيطر على تفكيرها الآن أن الفرصة للوصول إلى ووهان ستضيع من بين يديها إن لم تفعل شيئًا. عندها اقتربت من العسكري وقالت: "سيدي أنا رئيسة قسم الصدرية هنا في المستشفى العام وأعتقد أنني أكثر الأطباء حقًّا في التواجد هناك". صمتت قليلًا ثم أكملت: "لا أعتقد أن المرضى في

ووهان بحاجة للأطباء العامين أكثر من أخصائي الصدرية لذا..." رفعت هاتفها من جيبها وقالت: "أقترح عليك أن تتصل بمن أصدروا الأوامر وتخبرهم بأنني سأكون في ووهان غدًا مع المتطوعين كرئيسة قسم الصدرية القادمة من المستشفى العام في بكين".

قال المدير للعسكري بنبرة هادئة: "أعتقد يا سيدي أن الدكتورة محقة بما تقول في الوضع الحالي، أنتم بحاجة لأخصائي الصدرية هناك".

أشاح العسكري يدها من أمامه ثم تناول هاتفه وأجرى مكالمة ثم قال: "حسنًا، سيسمح لكِ بالتواجد مع المتطوعين كحالة استثنائية بسبب الحاجة لاختصاصك".

* * *

دخلت نادين مدخل البرج الذي تسكن فيه ورفعت النظارة الشمسية عن عينيها لتضعها فوق شعرها الأشعث، فتحت حقيبتها لتبحث عن مفاتيح البيت وهي تتجه نحو المصعد. ضغطت على زر الصعود ووقفت تنتظر وصوله. حدقت ثانية إلى صناديق البريد المعلقة أمامها وفجأة توجهت نحو الزاوية البعيدة عن المصعد حيث كان هناك صندوق صغير الحجم ذو لون أزرق داكن حديث جدًّا على ما يبدو تم تركيبه منذ مدة قصيرة مما جعله يكسر التناغم الموجود في صف الصناديق المعلقة بجانبه. ولكن ما يميزه عن باقي الصناديق أنه صندوق يحمل كلمات صينية منقوشة فوق بابه بكل وضوح باللون الأبيض بلغة النوشو! تم ترجمته بالإنجليزية في الأسفل لتحمل جملة بعنوان:



الإنسان جزء متكامل مع الطبيعة.

أصيبت نادين بالذهول عندما أدركت أن هذا هو الصندوق الذي كان وانغ لي يعنيه في تعهده ولكن كيف لها أن تفتحه إن كانت لا تمتلك مفتاحه؟!

الفصل الخامس والعشرون

ووهان - الصين

ما الذي قد يفتحه المفتاح الرابع هذا الموجود في العلاقة هنا؟

قلّب آدم علاقة مفاتيح صديقه وانغ لي بين يديه علّه يجد إجابة عن سؤاله. كانت تحتوي على أربعة مفاتيح واحد لسيارته والآخر لشقته التي كان يعيش فيها والثالث لشقته التي اشتراها للعم تشن ورفضها ولكن ذلك المفتاح الرابع لم يستطع آدم فهم سبب وجوده وماذا عساه أن يفتح؟ كان متأكدًا بأنه لا بد وأنه يحمل سرًا خلفه ككل شيء تركه وانغ لي في كيس مقتنياته ذاك؛ سرًا أحال مدينة ووهان إلى هذه المدينة الشاحبة التي تظهر من خلف نافذته لأول مرة منذ سنين باردة كبرودة الأرواح الهائمة فوق شوارع ووهان الميتة، فحتى السنة الصينية الجديدة ها هي تحل للمرة الأولى بلا احتفالات فيها، فلا مواكب تسير بفوانيسها المشتعلة ولا تنانين ترقص في قلب الشوارع ساردة أساطير الصين القديمة. السكون يعتلي المدينة كشبح ينفث فحيحه مع صوت الهواء المار عبر النافذة، لا شيء سواه يمر عبر النافذة! لا أصوات ولا حركة ولا حتى أضواء. ووهان كلها كانت مجرد شقق مغلقة على ذويها!

في رأس السنة الصينية كانت ووهان والصين كلها ترقص حتى تصل إلى درجة الهذيان وحتى من يسكنون بقاع الأرض الأخرى إن كانوا صينيين كانوا يحتفلون بالسنة الصينية فهي عيد الربيع، ذلك العيد الذي لا

يحمل في قلبه إلا الحكايا والضحكات والسعادة لذا لا بد لك أن تحتفل فيه حتى وإن صادف قدومه قلب الشتاء! أما في هذا العام فقد انطفأت شوارع ووهان التي لا تزال مزدانة بكل التفاصيل التي علقها سكان المدينة فوق شوارعها من قناديل حمراء وزخارف فاليوم هو اليوم الثاني من الحجر الكلي للمدينة لا أحد يحتفل، وحده الهواء يبعثر الزينة المعلقة بسكينة لتتأرجح معلنة توقف الحياة.

كان صحن الحلوى المصنوع من زهرة اللوتس والمزين أيضًا بزهرة اللوتس الذي قدمته له جارته قبل يومين لا يزال فوق الطاولة يحتوي على ثماني قطع من الحلوى لم تمس، ووجه جارته العجوز المبتسم يلوح أمامه وهي تقدم صحن الحلوى شارحة له تفاصيله قائلة: "لقد زينت لك هذا الطبق بزهرة اللوتس يا بني لتبقى الحياة تستعيد نفسها في كل عام عندك؛ فاللوتس زهرة الميلاد، وهذه الثماني قطع من الحلوى هي للحظ، فالرقم ثمانية رقم جالب للحظ دومًا، تفضل يا آدم... جونج زيي فا تشاي".

ابتسم آدم حينما قالت له: كل عام وأنت بخير وهمّت بالمغادرة عندها استوقفها قائلًا: "جونج زي يا سيدتي، شكرًا لكِ ولكن لحظة من فضلك" دخل آدم المنزل للحظات ثم خرج حاملًا طبقًا من الدايكون (الفجل الصيني) وقال: "هذا لكِ يا سيدتي فيقال إن الدايكون ما هو إلا رمز لطول العمر وأنا أتمنى لكِ مع هذا الطبق العمر المديد" ابتسمت السيدة العجوز وهي تتناول الطبق من آدم وانحنت شاكرة وغادرت نحو شقتها المقابلة لشقته.

لم يكن آدم يعلم أن هذا اللقاء السريع الذي جمعه بجارته قبل يومين سيكون آخر لقاء يجمعه بالبشر! فالحظر بات شاملًا حتى كاد يحظر الأنفاس

عن الخروج من مجاريها. الشرطة تعتقل كل من يحاول كسر الحظر، ونقاط التفتيش تملأ الشوارع حاملة ميزان الحرارة بدلًا من القيود أو حتى السلاح! فللمرة الأولى لم يكن العدو يحتاج أكثر من مجرد نفس عابر ليرديك قتيلًا! لم يكن يحتاج لسلاح أو طلقات أو حتى سكين بنصل حاد، كل ما كان يحتاجه مجرد سلام باليد أو سعال غير مقصود ليغزو جسدك معلنًا بدء تلك المعركة الحادة بين الموت والحياة في داخلك! نعم للمرة الأولى الصين لا تحتاج للحياة في مصانعها بل تحتاج لتوقفها عن الدوران!

قرع جرس الباب فجأة ليقطع شرود آدم السابح في سكينة المدينة الغائبة، وضع كمامته وقفازاته وقال من خلف الباب: "من؟".

"لجنة التفتيش الطبية يا سيدي".

فتح آدم الباب وقال: "هل هناك من خطب ما؟".

أجابه الطبيب القابع خلف النظارات البلاستيكية الواقية السميكة: "نحن نجري فحصًا دوريًا لسكان البرج، فهلّا اقتربت قليلًا لنفحص حرارتك؟".

نظر آدم إلى الرجل الذي اختفت معالمه تمامًا خلف الملابس الواقية والقفازات وانتبه إلى شعار المستشفى المركزي لمدينة ووهان وقال: "تفضل".

اقترب آدم من عتبة باب منزله حتى يقوم الطبيب بالتأكد من حرارته.
"حرارتك 37 يا سيدي، هذا جيد أرجو منك اتباع كل التعليمات الخاصة بالتعقيم".

اقترب شاب آخر وضع على ثيابه الواقية شعار عسكري ومد ورقة معقمة ومغلفة بكيس بلاستيكي لآدم وقال: "هذه المواعيد المسموحة

للمغادرة من المنزل، سيسمح لك بالمغادرة كل ثلاثة أيام لشراء احتياجاتك، مشيًا على الأقدام فقط أما باقي التعليمات فمكتوبة بالتفصيل عندك، أرجو منك التوقيع هنا باستلامها".

وقع آدم على التابليت الذي يحمله العسكري وفي تلك الأثناء وصلت إحدى الممرضات وهي تقول من خلف كمامتها الواقية للطبيب "دكتور، إن السيدة العجوز في المنزل المقابل تحتضر فهي مصابة بالفيروس".

غادر الطبيب مسرعًا بينما بقي آدم يقف صامتًا وهو ينظر إلى جارته العجوز المحمولة على نقالة خشبية ويبدو أن أنفاسها الأخيرة لم تسعفها لتوديعه! دخل المنزل بسرعة. غاب في طبق الحلوى الذي أمامه فوجده على حاله ولكن بدأت زهرة اللوتس بالذبول فعلى ما يبدو زهرة الميلاد لم تستطع تحمّل تأثير المعقمات التي رشها فوقها لتعقيمها قبل أن يضعها في منزله. لتصبح أسطورة الميلاد والدايكون اللذان تبادلاهما هو وجارته، كهدية في رأس السنة رمزًا لأوهام رسمتها الأجيال عبر تاريخها فقط لتمنح نفسها بعض الأمل!

الفصل السادس والعشرون

روما - إيطاليا

جلست مارتينا فوق أحد كراسي المقاهي المطلة على ساحة البانثيون حيث حجب المارة، من كثرتهم، باب البانثيون عن مرآها. بينما أعلن إغلاق بابه الضخم نهاية اليوم أمام السياح الذين كانوا يملأون المكان وغادروا فجأة بحثًا عن مطعم يسد جوعهم الذي لم يشعروا به سوى في نهاية اليوم، وآخرين جلسوا في الساحة فقط ليستمتعوا بهواء روما البارد وصوت موسيقى متجوليها الذين توقفوا مع حلول الليل ليوقظوا تاريخ روما من سباته فوق أوتار كماناتهم العازفة بلا ملل، فتحلق حولهم مجموعة من السياح والسكان وكل الساهرين ليستمتعوا بالموسيقى رغم البرودة التي تسري في أجسادهم خلف المعاطف الثقيلة، فمنهم من دفأ نفسه بعناق يجمعه بحبيبته الواقفة بجانبه وآخر بنفخ الهواء الدافئ في كفيه الوحيدتين. كانت أضواء الساحة تتراقص أمام عينيْ مارتينا الثملة عندما اقتربت من ذلك الشاب الذي كان يدفئ يديه بلا رفيق وقالت: "ارقص يا عزيزي فالرقص مجدٍ أكثر" ثم خلعت معطفها ورمته على الأرض لتبقى واقفة بفستانها البارد ذي الكتفين العاريتين وصوت الموسيقى بدأ يجبر خطواتها على الرقص. وما أن بدأ العازف بعزف موسيقى الوولتز حتى أمسكت بالشاب الذي ما زال ينفخ كفيه محاولًا الشعور بالدفء وجرته نحوها ليرقص. حدق الشاب إليها متفاجئًا فقالت وهي تنظر إليه: "ألا تعرف كيف ترقص؟".

هز رأسه بلا، فضحكت وهي تشده من ذراعه وأغمضت عينيها وقالت: "فقط استمع... استمع للنغم واترك جسدك يعانق الحرية المارة في الزقاق" وأمسكته لتبدأ معه الرقص. وما أن بدأ الشاب يتمايل مع خطواتها بتعثر حتى اقترب فجأة منها روبرتو الذي أزاح الشاب عنها وأمسك ذراعها وهي لا تزال ترقص مغمضة غير مدركة أن روبرتو هو الذي بين ذراعيها، لتكمل رقصها مع الموسيقى هي وروبرتو بتناغم أذهل الجميع فوقفوا فقط ليشاهدوا تلك اللوحة الراقصة أمامهم بين عاشقين تجمعهما خطوات واحدة. وفجأة بدأ المطر يتساقط فوق الجميع فلملم العازف آلته محاولًا الهروب من مياه المطر التي انهمرت بقوة تاركًا خلفه روبرتو ومارتينا وهما لا يزالان يرقصان تحت المطر بلا موسيقى وفجأة توقفت مارتينا قائلة: "أرأيت... فقط أغمض عينيك".

فتحت مارتينا عينيها لتجد روبرتو أمامها وهي تقول: "كنت أعلم أنك من تراقصني" ثم عانقته برقة وزخات المطر تتكسر فوق شفتيهما المشتعلتين بقبلة أيقظت كل عشاق روما القدامى معلنة أن هناك عاشقين قد يسجلهما التاريخ يومًا في صفحات روما المبعثرة فوق ساحة البانثيون الخامدة من كل شيء سوى قلبيهما النابضين بالحب. مدت مارتينا يدها إلى جيب روبرتو وتناولت منه سيجاره وأشعلتها تحت المطر وقالت: "لنرقص..." ثم جذبت روبرتو نحوها بقوة وقالت: "لنرقص مع نغمات المطر".

هامَ روبرتو في صفحة وجهها السمراء التي تتكسر أمامه تحت المطر الساقط فوق شعرها الكستنائي المبعثر وعينيها العسليتين اللتين تحملان كل الحياة في شعلتهما النابضة تحت ضوء السيجارة المشتعلة ورأسها الذي يتمايل مع المطر بلا موسيقى. ثم ابتعدت عنه وبدأت تتمايل وحدها كراقصة باليه فوق مسرح ليعلم أن مارتينا تحمل في قلبها الحياة بكل ما فيها

من تناقضات؛ فثنائية القطب التي تعاني منها ما هي إلا مزيج من حب وغضب، من حزن وفرح، من صمت وصخب! وحدها مارتينا تحمل الحياة في قلبها بكل آلهة روما القديمة ووحدها فقط حبيبته بجنونها، بصخبها، بفوضاها، هي حبيبته بكل تقلباتها، وستبقى حبيبته. اقترب منها روبرتو ليكمل رقصتهما على أنغام المطر عندها توقفت فجأة ونظرت إليه بوجه باكٍ لم يستطع أن يميز فيه دموعها من شدة المطر وقالت بصوت متألم: "سامحني فأنا لم أستطع أن أفي بوعدي لك".

مسح روبرتو وجهها قائلًا: "وأنا أحبك رغم كل وعودك الكاذبة" وغابا في قبلة طويلة لم يكن شاهدًا عليها سوى البانثيون وقطة تختبئ في الزاوية لتحتمي من المطر.

* * *

كانت مارتينا تسير في الممر الطويل لشركة أوبين آير للطيران التي تعمل فيها، فقد أخبرتها زميلتها أن صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارتها يريد رؤيتها في الحال، وصلت مارتينا إلى باب المكتب وقالت: "صباح الخير يا سيدي، مارتينا جوفاني".

كان السيد سابيني صاحب شركة الطيران في العقد السابع من عمره ولكنه يتمتع بحيوية تشبه حيوية والدها، استدار سابيني بكرسيه نحوها وقال: "اجلسي يا مارتينا".

جلست مارتينا وهي ترسم ابتسامة رسمية على وجهها "هل من خطب يا سيدي؟".

فقال لها وهويفتح صندوق السيجار الكوبي الذي أمامه قائلًا: "أنا أعلم أنك من قتل أندريه".

الفصل الثامن والعشرون

ووهان - الصين

وصلت نادين إلى ووهان وهي تجلس في الحافلة المتوجهة بهم نحو مستشفى ووهان المركزي. خلت شوارع المدينة من كل شيء عدا الطيور المحلقة في السماء وزخات المطر التي تضرب نوافذ الحافلة ببطء، كل شيء بات حرًا على هذه الأرض عدا الإنسان! فكل ما حولها كان ساكنًا لدرجة تبث الرعب في النفس. هدوء يقبع في الشوارع، محلات أغلقت أبوابها. طرق خاوية من سكانها ومنازل أوصدت أبوابها على قاطنيها طواعية وقسرًا! لتعلن للعالم أن الموت بات يعربد فوق مدينة الطائر الكركي الأصفر! كانت مدينة ووهان تحتضر بسكينة بعد أن وقفت عجلة الحياة فيها تمامًا. وحتى مياه نهر اليانغتسي المتمايلة باتت راكدة منذ أن منع الحظر القوارب والسفن من العبور فوقه ليرقد هو الآخر في غيبوبة منسية.

لا أكاد أصدق أنها ووهان!

وصل الباص إلى المستشفى. نزلت نادين ومن معها من متطوعين ودخلوا من الباب الجانبي. سارت وهي تتلفت غير مصدقة ما ترى؛ فالمرضى متكدسون على مدخل المستشفى الرئيسي حتى لم يعد هناك متسع للمزيد! كان هناك عدد كبير من كبار السن يجلسون فوق الكراسي المدولبة يغطون وجهوهم بكمامات ولكن صوت أنفاسهم المتحشرجة وسعالهم الجاف يملأ المكان. وضعت نادين كمامة ثالثة فوق الاثنتين

اللتين كانت تضعهما فما كانت تشاهده قد يسبب الإصابة بالفيروس ولو من بعيد! كانت الجثث في غرف المستشفى ملقاة فوق بعضها البعض فالمكان لم يعد يتسع لا للأحياء ولا حتى الموتى!

علا الذهول نادين وهي تسير خلف الطاقم الطبي فقالت عندما استقبلها المدير: "يا إلهي! لم أكن أتخيل أن الأمر هكذا".

"أشكرك على حضورك دكتورة، فنحن بأمس الحاجة لمن هم في اختصاصك، الأمر أكبر مما رأيت بكثير!".

"إن الجيش الوطني بدأ ببناء مستشفى هوشنشان وسمعت أنهم سينتهون منه خلال أيام".

"نعم أخبرونا بأنهم سيحاولون إنهاءه بإسبوع إن أمكنهم ذلك، ولكن حتى هذه اللحظة الأعداد تزداد بشكل كبير..." صمت المدير للحظات ثم قال بنبرة يائسة: "أتمنى ألا يكون هذا المرض بداية لمحو البشرية".

"سنبذل كل ما نستطيع لتدارك الأمر دكتور... اطمئن" قالت نادين محاولة مواساة المدير العاجز أمام حجم الحدث والذي غادر الغرفة مسرعًا لطارئ. أما نادين فكانت هائمة بصمت مطبق في كل ما يدور من حولها غير قادرة على فهم ما يحدث فهل حقا باتت البشرية على موعد قريب من الانقراض!

تسلّلت نادين إلى إحدى غرف المستشفى الخالية من الموظفين تناولت هاتفها وقامت بالاتصال. أجابها آدم على الطرف الثاني قائلًا: "هل استطعت الوصول إلى ووهان؟".

"نعم.. أنا في المستشفى المركزي الآن.. فقط أردت إعلامك بوصولي".

"جيد، ولكن على ما يبدو إن لؤي قد غادر الصين".

"ماذا؟!"، تساءلت نادين مندهشة. وما أن دخل الموظفون حتى أقفلت الهاتف مسرعة وقالت لآدم: "حسنًا أراك مساءً".

اقتربت منها إحدى الطبيبات قائلة: "الهاتف الذي تستعملينه لا يخرج من المستشفى أبدًا فاحذري من هذا الأمر".

هزت نادين رأسها بنعم ثم خرجت مسرعة ورأسها المنهك لا يستطيع استيعاب ما حدث، لؤي غادر الصين؟ متى؟ وإلى أين؟ وبما أن لؤي قد غادر الصين بهذه السرعة فلا بد أن الموضوع أكبر بكثير مما تعتقد هي وآدم. لؤي لا يغادر أبدًا قلب المعركة إلا إن كان خوضه فيها سينتهي بخسارته، فماذا كان سيخسر لؤي في الصين وهرب للحفاظ عليه؟

الفصل الثامن والعشرون

سنغافورة – سنغافورة

سار لؤي في شوارع سنغافورة النابضة بالحياة والتي تحمل وجوه سكانها جملة رئيس وزرائها السابق لي كوان يو في إحدى المقابلات مع قناة سي أن أن قائلًا: "*أنا لم أحكم شعبي، أنا ثقّفت شعبي*". ففي شوارعها النظيفة ترى الثقافة التي زرعها فيهم منذ زمن وفي مزيجها المنصهر بين الصينين والماليزيين والهنود تعرف أن لا ثقافة تسود سوى ثقافة الواحد. كانت سنغافورة الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تصنع المعادلة الصعبة والتي باتت مستحيلة الآن. دولة تنهض من تحت الركام لتعلن أنها باتت موجودة من أوائل الدول على الخريطة، لهذا كانت سنغافورة دومًا ملاذ لؤي مهما حملت الخريطة من دول، فهنا كانت تناقضاته تمتزج في حنايا المدينة تمامًا كتناقضاتها، فحتى اسمها كان يناقض واقعها، فسنغافورة (بلد الأسود) والتي تعتبر دومًا الأسد رمزًا لها، لم يطأ الأسد يومًا أرضها!

كان يسير في الشوارع حاملًا هاتفه الخلوي منتظرًا الإجابة من الطرف الثاني دون تفكير، غائبًا في إيقاع المدينة الذي لا يتوقف حين قال: "ديفيد.. نعم أنا هنا في سنغافورة أريد مكانًا أجري فيه مكالمتي دون تعقّب" صمت قليلًا وأخذ ينظر في الشاشة وقال: "لقد عرفته أنه في الحي الصيني.. جيد، وداعًا".

أغلق لؤي هاتفه وتوجه نحو محطة المترو لينطلق نحو الحي الصيني، كان الحي يضج بالناس والسياح ومحلات الملبوسات والهدايا التذكارية والمطاعم التي تناثرت بكل نكهاتها وروائحها الممزوجة برائحة الحي الهندي البعيد، أما زينة رأس السنة الصينية فلا تزال تزين شوارع الحي بالفوانيس الحمراء وبعض بقايا الهدايا التي تحمل رمز السنة الجديدة (سنة الفأر). كان لؤي يسير بين الناس بخطى سريعة وما أن تجاوز الشارع المكتظ حتى وجد نفسه أمام ساحة خالية لتقترب منه سيارة ففتح بابها وقال له السائق: "السيد لؤي؟".

دخل لؤي السيارة وتوجه معها حيث تتجه، لم يكن هناك أي حديث قد يدور بينه وبين السائق. وصلت السيارة أمام بيت صغير مستقل خرج منه أحد السكان ورحب بلؤي قائلًا: "دكتور لؤي، لقد أعلمني ديفيد بوصولك، تفضل".

لحق لؤي بالشاب الذي كان يسير بسرعة ميزت الشعب السنغافوري ككل حتى صنفوا كأكثر الشعوب سرعة في المشي على مستوى العالم، نزل خلفه الأدراج ليفتح الشاب بابًا حديديًا مقفلًا أمامه وقال: "تفضل دكتور، هذه هي الغرفة".

دخل لؤي ووقف في وسط الغرفة الخرسانية المظلمة التي كانت تنيرها بعض الأضواء الخافتة، وتغمرها الأجهزة المختلفة والمتنوعة من كومبيوتر وشاشات وحتى أجهزة تعقب وغيرها. كانت الغرفة أقرب إلى مختبر لاختراق المعلومات أكثر من غرفة اتصالات تمنع التعقب أو التجسس على المكالمات. عندها قال الشاب: "تستطيع يا سيدي أن تجري مكالمتك، فلا تعقّب للمكالمات هنا".

قال لؤي مبتسمًا: "نعم، شكرًا لك".

غادر الشاب المكان. اقترب لؤي من الأجهزة التي أمامه وقام بتشغيل موسيقى باخ (إف ماينر لارجو) قبل أن يجري اتصاله من الكمبيوتر. وقف للحظات يستمع لصوت الموسيقى وهي ترن في حنايا الغرفة الخرسانية المعزولة من السماعات الرئيسية ثم قال بمجرد أن سمع الصوت الصادر من الطرف الثاني للمكالمة: "رتزل..".

أجاب رتزل قائلًا: "لؤي!" صمت قليلًا ثم أكمل بنبرته الهادئة "لم أتوقع أن تدفعك الجرأة إلى الاتصال بي".

قال لؤي وهو مغمض عينيه يستمع للموسيقى: "أتعرف بماذا يشعر المرء حينما يواجه الموت ولكن تمنحه الحياة الفرصة من جديد؟".

صمت رتزل دون أن يجيب، فقال لؤي مجيبًا: "يشعر بالحرية.. الحرية من كل شيء حتى من نفسه".

قال رتزل بنبرة باردة وساخرة: "إذن عليك أن تشكرني لأنني أعتقتك".

"لماذا تريد قتلي يا رتزل وأنت تعرف جيدًا أنني لم أسرب الفيروس".

شرب رتزل كوب الماء الذي أمامه ببطء حتى كاد لؤي يشعر بانسياب الماء في حلقه وليس في حلق رتزل من وضوح الصوت حين قال: "لأنك لم تعد القطعة المفقودة". صمت رتزل قليلًا ثم قال: "ربما حررك الموت! ولكنه سيبقى النهاية الحتمية لهذا الكون بما فيه أنا وأنت".

ضحك لؤي وموسيقى باخ تنساب حوله بهدوء ليقول: "نعم، الموت هو النهاية المحتومة بلا شك... ولكن أتعلم ما الفرق بيني أنا البروفسور وأنت رجل النفوذ يا رتزل؟".

قال رتزل ببرود: "لا يهمني أن أعرف".

أجاب لؤي بفحيح أشبه بالأفعى: "الفرق أنني أحمل دومًا سلاحي في حنايا عقلي بينما أنت تحمل سلاحك في خزنتك وجيبك".

"لا فرق؛ ففي النهاية أنت وعقلك تحت سلطتي، لذا أمر موتك بات نافذًا"، أجاب رتزل.

"هذا يعني أن دياسايد سيتبعني؟!".

"ليس بالضرورة، فللموت وجوه عدة ولكنه واحد، فما هو إلا مجرد تسليم روح جديدة للسماء بعيدًا عن الأرض وحراكها".

"ولكن مصل الفيروس لا يزال معي".

ابتسم رتزل قائلًا بصوت بث البرودة في جسد لؤي المترنح مع الموسيقى: "لم يعد للمصل أهمية يا بروفسور".

أغلق رتزل الهاتف وهو يسأل خوليو "هل عرفت مكانه؟".

أجاب خوليو "لا يا سيدي... المكالمة لا يمكن تعقبها".

ضرب رتزل كفه بغضب على المكتب العتيق الذي أمامه بينما كان لؤي هناك تحت أحد شوارع سنغافورة النظيفة يقف في قلب الغرفة الخرسانية يستمع لسيمفونية (إف ماينور لارجو) وهو يقول مبتسمًا "على ما يبدو أن الفيلسوف الفرنسي فوكو كان محقًا يومًا حين قال.. ينبغي *قطع رأس الملك*".

الفصل التاسع والعشرون

ووهان - الصين

وقفت نادين في مطبخ منزل آدم الذي كان يحمل كل ما تركه وانغ لي له ويضعه على الطاولة أمامه حينما قال: "هذا كل ما تركه".

قالت نادين وهي تحرك الملعقة في الكوب بشرود "هل أصنع لك معي كوبًا من القهوة؟".

"لا، شكرًا".

اقتربت نادين منه وقالت وهي تمسك بالسيجارة التي بين أصابعه "أنت لن تدخن وأنا مقيمة هنا فأنا أعاني من حساسية الصدر".

ضحك آدم وقال: "طبيبة صدرية ولم تعالجي نفسك! إذن لن أثق بعلاجك يومًا"، ثم سار باتجاه النافذة وفتحها ليشعل سيجارته بعيدًا عنها وما أن فتح النافذة حتى بدأت الأصوات تعلو فجأة في المدينة، وضعت نادين الكوب على الطاولة وسارت باتجاه النافذة وهي تقول: "ما هذا؟".

جال آدم بنظراته في النوافذ المقابلة له والتي بدأت تشتعل أضواؤها واحدًا تلو الآخر: "إنهم سكان ووهان يصلون للآلهة علها ترفع شياطين الكورونا عن أرضهم".

قالت نادين وهي تقترب أكثر من النافذة لتسمع أصوات الناس تصدح بالصينية بترنيمة واحدة وكأنهم ذلك العازف في القصة التراثية القديمة الذي حمل مزماره ليشدو به حاملًا خلفه كل الفئران التي غزت

المدينة لعل الحياة تعود إليها من جديد. "إنهم يغنون!".

"نعم، إنها تراتيل دينية يحاولون بها نزع الخوف من نفوسهم المكبلة في البيوت أو حتى تلك الهائمة عند أحد محبيهم في أحد المستشفيات".

نفث الدخان من بين شفتيه ليجول بصمت بين أصوات المصلين التي لا تزال تجوب حنايا ووهان وقال: "تعالي لتأخذي واحدة من السماعات لتسمعي الرسالة التي تركها وانغ لي فالهاتف موصول بالسماعات".

وضعت نادين إحدى السماعتين في أذنها ليبدأ صوت وانغ لي المختنق يظهر واضحًا كأنما أيقظته صحوة الموت فجأة:

"لقد أحببتكما كثيرًا ولربما لم أستطع أخباركما بذلك سوى الآن، لكن فلتعلما أن كل ما كان يجمعنا مجرد ساعة، ساعة لا أكثر يا صديقي، ساعة ضحكنا فيها على باب هوانان يومًا، وبكينا فيها عند البركة الشرقية يومًا آخر، وكما حلّق طائر الكركي حاملًا الخلود معه من البرج الأصفر، ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إلي...".

كانت نادين تحاول التماسك وهي تسند رأسها المدفون بين كفيها بصمت. جلس آدم بجانب نادين وبدأ بإخراج اللاب توب من الحقيبة وقال: "هذا كل ما وجدته في شقة العم تشن".

فتحت اللاب توب فقال لها آدم وهو يسير باتجاه المطبخ ليشرب بعض الماء "لا تتعبي نفسك إنه مغلق بكلمة سر".

سارت باتجاه الهاتف حملته وأخذت تعيد الرسالة مرارًا وتكرارًا وتستمع لها بدقة وآدم بجانبها ينصت للرسالة مرة ثانية.

"ساعة لا أكثر يا صديقي، ساعة ضحكنا فيها على باب هوانان يومًا، وبكينا فيها عند البركة الشرقية يومًا آخر، وكما حلّق طائر الكركي حاملًا

الخلود معه من البرج الأصفر، ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إلي". حدق آدم إلى نادين وقال كمن يحدث نفسه: "إذا كان يقصد بالساعة ساعة الرولكس، وبهوانان صندوق البريد الذي يحمل كلمات بلغة النوشو".

كرر آدم استماعه للرسالة ثم قال لنادين التي تقف قبالته: "إذن ماذا حصل عند البركة الشرقية؟ هل تذكرين؟".

صمتت نادين للحظات ثم قالت بدهشة وهي تضرب كفها على صدغها "لقد رأيت لؤي هناك للمرة الأولى منذ أن غادرت أتلانتا!".

قال آدم كمن يحاول جمع كل طاقته لحل ما يمر في ذهنه من أفكار: "هل معنى كلامه هذا أنه أراد أن يحصل لؤي على كرت الذاكرة ذاك؟" صمت قليلًا فقالت نادين: "وماذا عن باقي الرسالة إذًا؟".

قام آدم بتشغيل صوت وانغ لي ومرر الرسالة سريعًا ليصل إلى نهايتها وهو يقول: "*وكما حلّق طائر الكركي حاملًا الخلود معه من البرج الأصفر ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إلي*...".

جفلت نادين وقالت لآدم: "البرج الأصفر، نحن لم نذهب إلى البرج الأصفر أبدًا".

وقف آدم وقال وهو يقترب من نادين "نعم... على ما يبدو أنه قد ترك لنا سرًا في البرج الكركي الأصفر".

الفصل الثلاثون

ووهان - الصين

جلست نادين على الأريكة وقالت: "كيف سنصل إلى البرج والمدينة كلها تقع تحت الحظر الكامل؟ أتعلم ماذا يعني أن نذهب إلى البرج في وقت خالٍ من الناس تمامًا كهذا؟".

نظرت نادين إلى آدم الذي كان ينصت لها بهدوء وأكملت: "إذا كان هناك من يعلم بالأمر فنحن سنكون كما الفأر في المصيدة".

"الوصول إلى البرج ليس مشكلة، ففي الحظر الدخول إلى البرج سيكون أسهل من المعتاد لعدم وجود السياح والحراس وغيرهم" صمت قليلًا ثم قال: "ولكن... كيف سنغادر المبنى دون أن يشك أحد بنا خلال أيام الحجر الكامل والتي لا أستطيع فيها حتى الذهاب لشراء طعامي، دون وجود أي مبرر للمغادرة؟ وهل إذا قمنا بتأجيل الذهاب إلى البرج سنجد ما يريدنا وانغ لي أن نجده أم أن هناك من سيكون قد سبقنا إليه؟".

ساد الصمت بينهما للحظات حينما قطعته نادين قائلة: "أنا طبيبة وأملك تصريحًا بالمغادرة، يمكن أن أذهب إلى البرج...".

"هل تعتقدين أنني سأتركك تذهبين إلى البرج وحدك في هذه الظروف؟!".

"ما الحل إذًا؟".

"الحل دومًا لا يأتي إلا في لحظات سكينة نستطيع من خلالها حل العقد وفصل الخيوط الشائكة".

"سكينة؟! ونحن في قلب...".

قاطعها آدم وهو يضع كفه على فمه كمن يطلب منها أن تصمت وقال: "اششششـ. نعم سكينة يا نادين، دعيني أفكر".

صمتت نادين للحظات وهي تحدق إلى الطاولة المبعثرة أمامها بكل شيء فوجدت بطاقة دخولها إلى المستشفى، ابتسمت واتجهت نحو آدم وقالت: "الحل هو...".

أشار لها آدم أن تصمت فأزاحت وجهه الشارد نحوها وقالت وهي ترفع بطاقة المستشفى أمام عينيه: "دعنا من اليوغا الفكرية التي تتبعها الآن، هذا هو الحل".

"ماذا تعنين؟".

"علينا أن نستخرج لك بطاقة كهذه وبهذا سيصبح تنقلنا سهلًا كل يوم بلا قلق".

قال آدم: "هناك حل أسهل، هل تستطيعين أن تحضري لنا ملابس وأقنعة واقية من المستشفى؟".

صمتت نادين للحظات وهي تنظر لآدم غير مقتنعة ولكن رغم ذلك كان عقلها يلحّ عليها بالبحث عن طريقة لتهريب البدلات الواقية من المستشفى فلا حل أفضل من ذلك حتى وإن كان يتنافى مع أخلاقها المهنية.

الفصل الواحد والثلاثون

ميلانو - إيطاليا

جلس إنزو العجوز في تراس منزله الشتوي المطل على حديقته العارية بسبب الشتاء والتي تنتظر حلول الربيع مع زخات المطر المتساقطة، بينما اقتربت منه مارتينا قائلة وهي تراه هائمًا في المنظر الذي أمامه "ترى ما الذي يسرق ذهن عمي الغالي مني؟".

رد إنزو مبتسمًا: "لا شيء يسرقني منك يا عزيزتي" صمت قليلًا ثم قال وهو عاقدًا حاجبيه: "أين هما؟".

"من؟".

"خطيبك ووالدك الكسولان..". نهض إنزو من كرسيه المنجد بالمخمل الأزرق السماوي وسار بخطى سريعة نحو المطبخ "هيا.. هيا نادِ عليهما، إنه موعد تحضير البيتزا".

ضحكت مارتينا قائلة: "يا عمي دعني أحضرها أنا عنك".

قاطعها صوت روبرتو من خلفها قائلًا: "إلا هذا الأمر يا عزيزتي، فلا بيتزا تفوق بيتزا عمك إنزو".

وقف لوكا بجانب روبرتو حين قال بنبرة من يتلذذ بتذوق طعم ما "آآه بيتزا المارغاريتا الكلاسيكية بجبنة الموتزاريلا الخاصة بإنزو لا يضاهيها شيء في كل إيطاليا".

قالت مارتينا بتهكم "حسنًا ما دمتم اتفقتم عليّ، فجميعكم إلى

المطبخ مع عمي إنزو لنساعده".

دخل الجميع مطبخ إنزو الخشبي الريفي الجميل والذي يدل على نظافة وترتيب صاحب المنزل فاتجه روبرتو إلى الطاولة لترتيبها وتحضيرها استعدادًا لوجبة العشاء، أما مارتينا فكانت تناول إنزو الصينية التي رصّ عليها العجين مسبقًا وقال وهو يتناولها منها: "عليكِ أن تتركي العجينة لتستريح ساعتين ثم.."، صمت قليلًا ورفع الغطاء عن العجينة وقال: "ثم ترين هذا المنظر الخلاب لعجينة أخذت وقتها الكامل لتختمر".

ضحك لوكا وهو يحاول استخراج الأكواب الزجاجية من قلب الخزانة ليرصها فوق الطاولة مع روبرتو وقال: "هل ستعطي سر البيتزا الخاصة بك لابنتي".

قال إنزو وهو يمد العجينة فوق الصينية دون أن ينظر نحو لوكا "بالطبع ومن سينقل إرث العائلة إن لم أعطِ السر لزوجة ابني!" ثم أشار لمارتينا بأن تناوله الطماطم وأكمل: "ثم نضع الطماطم الممزوجة بالثوم فوق العجينة هكذا".

اقترب روبرتو من مارتينا وهو يلف ذراعه فوق خصرها قائلًا: "والآن نقطع جبنة الموتزريلا الشهيرة بأبي ونضعها فوق البيتزا هي وورق الريحان لنتناول بعدها ألذ بيتزا في ميلانو كلها".

اتجه نحو الثلاجة ليخرج الجبنة وبدأ بتقطيعها فورًا ثم ناول قطع الجبنة لوالده ليزين بها العجينة. أدخل إنزو البيتزا في الفرن الحجري الذي بناه خصيصًا لصنع البيتزا في منزله.

تحلق الجميع حول الطاولة يتناولون العشاء على أضواء المطبخ الريفي الخافتة والنباتات المنزلية التي اعتنى بها إنزو جيدًا تحيط بهم

لتنسيهم برودة الشتاء التي تسري في الجوار. قال لوكا وهو يقضم لقمة من البيتزا: "هل ستذهب إلى سان سيرو معي يا إنزو؟".

"بالطبع وهل حقًّا تسألني سؤالًا كهذا؟".

تساءل روبرتو وهو يرتشف الشراب الذي أمامه: "لماذا ستذهبان إلى سان سيرو؟ هل هناك مباراة بين اسي ميلان وإنتر ميلان؟".

ارتشف إنزو الشراب الذي أمامه بدوره وقال: "آه يا بني كم تفوتك أحداث لا تتكرر بسبب عملك الذي لا ينتهي".

ابتسم روبرتو دون أن يتكلم وأكمل إنزو قائلًا: "سيلعب فريق أتلانتا ضد فريق فالنسيا الإسباني في ذهاب الدور السادس عشر من بطولة دوري أبطال أوروبا".

قال روبرتو وهو يهز رأسه "أها الآن فهمت.. تريدان طبعًا حضور المباراة حية بلا شاشات لتعيشا حمى التشجيع من جديد".

قال لوكا بحماس" إن أتلانتا هذا العام يلعب بطريقة غير مسبوقة وعلى ما يبدو أنهم سيصلون إلى مراحل متقدمة في البطولة".

قالت مارتينا: "ولِمَ لا تذهبان لتشجيع اليوفي فهو دومًا في مراحل متقدمة من دوري الأبطال".

قال إنزو بنبرة غير راضية: "اليوفي يصل النهائي منذ أعوام ولكنه يعود إلينا دومًا بالمركز الثاني وميداليات فضية وبلا كأس". صمت قليلًا ثم أكمل بسعادة: "بينما أتلانتا يسجل حدثًا تاريخيًا جديدًا بتقدمه هذا، وإن فاز على فالنسيا في الذهاب ستكون هذه المرة الأولى لهم في دوري الأبطال يحققون إنجازًا عظيمًا كهذا، لذا لا بد أن نكون ممن ساهموا في هذا الإنجاز العظيم من خلال تشجيعهم في سان سيرو".

بدأ لوكا وإنزو نقاشهم المعتاد في الأحداث الرياضية عندما اقتربت مارتينا من روبرتو هامسة "صاحب شركة الطيران يعرف بأمر أندريه".

رمق روبرتو مارتينا بحدية غير مدرك ما قالته، ثم أمسكها من رسغها وأخذها نحو الخارج. تناولت معطفًا معلقًا في طريقها وبطانية صغيرة مرمية على أحد الكراسي وسارت معه لتلحق به عندها نظر نحوهما إنزو وقال للوكا مبتسمًا: "هذا الفتى يذكرني بصباي".

خرج روبرتو ومارتينا إلى الحديقة واقتربت منه لتضع البطانية الصغيرة على كتفيه وارتدت هي المعطف وقالت: "ما بك؟".

قال روبرتو بصوت خافت ولكن بعصبية: "ما الذي قلته يا مارتينا منذ قليل؟".

"صاحب الشركة التي أعمل بها يعلم بمقتل أندريه".

"منذ متى؟".

فقالت وهي ترفع شعرها من تحت المعطف "منذ أن وصلنا إلى ميلانو".

اقترب روبرتو منها مذهولًا "ماذا؟! منذ ثلاثة أيام! هل جننتِ؟ ولماذا لم تخبريني؟".

"في الواقع لم أشأ أن أعكّر صفو إجازتك فقررت أن أخبرك قبل رحيلك فقط".

"إجازتي! كيف عرفتِ بالأمر؟".

"هو من أخبرني بذلك".

عندها فُتح باب المنزل لينادي عليهما إنزو قائلًا: "هيا تعالا، لقد بدأ الفيلم".

دخلت مارتينا وروبرتو إلى المنزل وغاصا في قلب الأريكة المخملية الوثيرة التي تتوسط غرفة الجلوس الدافئة والتي كانت مدفأة الحطب كافية لتبث كل ذلك الدفء في أرجائها الخشبية فتضفي عليها نفحة إنزو الحانية بقلبه المنتعش بالحيوية. هنا في بيته الريفي هذا تجتمع كل أحاسيس ميلانو المفقودة. مرّر روبرتو ذراعه حول مارتينا ليحتضنها بحنان ورمت هي رأسها فوق ذراعه بهدوء لتكمل مشاهدة الفيلم الكلاسيكي (سارقو الدراجات) حينما كان بطل الفيلم انتونيو ريتشي يقول: "*هناك علاج لكل شيء ما عدا الموت!*".

الفصل الثاني والثلاثون

ووهان - الصين

كان آدم ونادين يسيران في ساحة البرج الكركي الأصفر وهما يرتديان البدلات الواقية والهدوء بات يغلف المكان كروح زاحفة فوق المباني المحيطة بهم على جانبي الممر الطويل الذي ينتهي بحديقة دائرية توسطها تمثال لطائر كركي ضخم يعتلي ظهر سلحفاة تلتف حوله أفعى بانسيابية غريبة. لتختفي في حنايا هذا البرج أساطير اختلفت ولكنها كلها اتفقت على أن البرج حمل في قلبه سحر الطائر الكركي الأصفر الضخم بجميع تقلباته المتناقضة بين الخلود والموت. فتقول إحدى الأساطير إن الطائر الكركي الأصفر قد حمل وانغ زيان على ظهره بعيدًا عن جبل الأفعى ليبقى هو بطلًا خالدا. وأسطورة أخرى تقول أنه حمل رجلًا آخر فوق ظهره لا هروبًا بل ليستريح فوق جبل الأفعى بعد رحلة خلود طويلة. وبين الخلود والموت احتار الصينيون فلا يدركون، هل حقًا طائر الكركي الأصفر رمز للخلود؟!

السكينة أحاطت بالأرجاء ما جعل آدم يقف للحظات غير مصدق أن هذا حقًّا برج الطائر الكركي الأصفر الذي كان دومًا وجهة السياح الأولى في ووهان وقال بتعجب: "أكاد أسمع حفيف الشجر من خلف ملابسي الواقية".

قالت نادين وهي تسير في الساحة بانبهار رغم الغطاء الواقي الذي على وجهها "للمكان سحر يغلفه".

كانت ووهان المهجورة تظهر بوضوح من ساحة البرج بصورتها البانورامية الأشهر. فالبرج القائم على جبل الأفعى اقرب إلى جحر غاصت أفعاه في قلبه محتمية بدلًا من الخروج بحثًا عن الموت، فالطائر الكركي بكل أساطيره المتنوعة لا يزال يثير الخوف في قلوب الصينين فما هو إلا رمز لقابض الأرواح كما هي المدينة الخاوية الآن!

قالت نادين وهي هائمة في المكان "كم حامت الأساطير حول هذا البرج.." صمتت قليلًا ثم نظرت نحو آدم قائلة: "من أين سنبدأ يا آدم فالبرج مليء بالمباني المجاورة؟".

"سندخل البرج الرئيسي الآن، لا خيار آخر أمامنا الوقت يداهمنا".

سار آدم ونادين نحو المبنى الشاهق للبرج الرئيسي والذي كان يتكون من خمسة طوابق مكسوة بالقرميد الأحمر الذي كان يميز العمارة الصينية عن باقي الفن المعماري في العالم، كان ينتاب نادين شعور غريب كمن امتلك العالم للحظات وهي تسير وسط المكان بحرية بلا رقيب وبلا حتى اكتظاظ اعتادته ووهان من سكانها قبل سياحها!

توقف آدم ونادين تسير هائمة بالأرجاء وقال: "ما بك؟ علينا أن ندخل بسرعة".

قالت نادين بصوت مسحور بجمال المكان: "أتعلم يا آدم لماذا سمي البرج بالطائر الكركي الأصفر؟".

قال آدم وهو يجرها: "أخبريني بالسبب ونحن في الداخل".

سارت نادين مع آدم ليدخلا إلى البرج بحثًا حولهما ثم صعدا الطابق الأول مسرعين ليجدا قاعة عُلّقت فيها لوحة جدارية ضخمة مصنوعة من الخزف تُصوّر كاهنًا من كهنة الفلسفة الطاوية يحلق بعيدًا عن البرج فوق

طائر كركي أصفر فرد جناحيه ليغطي السماء بهما. وقفت نادين أمام اللوحة المعلقة وهي تشير نحوها: "هذه هي الأسطورة يا آدم..".

صمتت نادين وأكملت: "يُقال إن هذا الكاهن قد أتى إلى هنا وطلب من رجل يدعى شين أن يعطيه بعض النبيذ، ولكن شين رفض أن يقدم الشراب للكاهن ذي الثياب الرثة. وما أن رآه ابن شين حتى قدم له الشراب بلا مقابل. أصبح الكاهن يأتي إلى هذا الولد كل يوم لمدة ستة شهور طالبًا الشراب. بعد انتهاء الشهور الستة عرض عليه الكاهن أن يرسم له هذا الطائر على حائط منزله ليرقص حينما يطلب منه الفتى الرقص. وهكذا أصبح شين وابنه وعائلته أغنياء بسبب كرم ابنه مع الكاهن فالناس أصبحت تزور منزل شين لرؤية الطائر الكركي وهو يرقص على الحائط بطلب من ابنه".

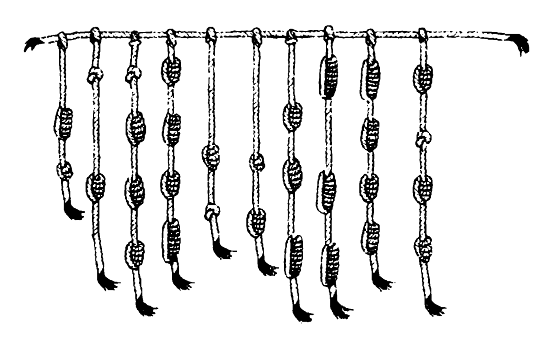
قال آدم وهو يبحث في المكان "هذا جيد".

كانت نادين لا تزال تقف أمام اللوحة وهي تقول: "ولكن.. بعد مدة من الزمن عاد الكاهن وعزف على المزمار الخاص به وما أن بدأ بالعزف حتى حمله الطائر الكركي الأصفر فوق ظهره وحلّق به مبتعدًا ليغادر حائط منزل شين ويصبح حرًا بعيدًا عن الرسم الذي أسره أعوامًا".

قال آدم وهو يرفع القناع الواقي عن وجهه ويدير نادين نحوه: "نادين كل ما تقولينه غاية في الروعة ولكن علينا أن نبحث عما أراد وانغ لي إيصاله لنا".

قالت نادين لآدم: "لا داعي للبحث يا آدم فوانغ لي كان واضحًا جدًّا في رسالته..". صمتت قليلًا ثم أردفت قائلة:" *وكما حلّق طائر الكركي حاملًا الخلود معه من البرج الأصفر ستجدون ذكرياتي خالدة فيه فابحثوا عنها كلما اشتقتم إلي..*".

قالت نادين وهي تشير أسفل اللوحة الخزفية التي أمامها "أنه هنا تحت الصورة" انحنت نحو أسفل الجدار لتتناول حبلًا معلقًا عليه يشبه القلادة يحتوي على مجموعة من الحبال الصغيرة والمعقودة بطريقة غريبة. قالت بشرود وهي تمسكه من طرفيه لتعرضه أمام آدم الواقف بصمت: "هذا ما أرادنا وانغ لي الحصول عليه، كلمة مكتوبة بلغة الكيبو، لغة شعوب حضارة الإنكا القديمة".



الفصل الثالث والثلاثون

سنغافورة - سنغافورة

تلبدت سماء سنغافورة بالغيوم حينما سار فيها لؤي بجانب الرصيف المحاذي لتمثال مارليون (أسد البحر) الذي يعتبر رمزًا هامًا للمدينة، فتجد السياح والسكان يصطفون لالتقاط الصور التذكارية أمامه كما صُكّت صورته فوق الدولار السنغافوري تخليدًا لأهميته. كانت المدينة تعج بمبانيها الضخمة وناطحات سحابها العالية والتي كانت بتقنية بنائها المتطورة تنسيك للحظات أنها مدينة انبثقت من عمق مياه المستنقعات القذرة وأسراب البعوض! فنهضتها وثقافة شعبها وهدوء مُحيّاهم يجعلك تدرك أنها مدينة السلام بلا شك، فلا فساد ولا سلطة ولا حتى صراع عرقي رغم الخليط الممتزج بين سكانها. سار لؤي بهدوء رغم نفاذ أمر قتله كما قال رتزل له في مكالمتهما الأخيرة، ولكنه لا يشعر بأنه سيموت الآن، فليس هناك من يسلم روحه للسماء دون الشعور بذلك حتى وإن كان موته مفاجئًا!

وقف لؤي أمام وزارة الصحة في مدينة سنغافورة وما أن دخل حتى استقبله أحد الموظفين قائلًا: "هل من خدمة أستطيع تقديمها لك يا سيدي؟".

"نعم، عليّ أن أقابل الوزير".

نظر إليه الموظف باستهجان وقال: "عفوًا!". صمت قليلًا ثم أكمل وهو يملأ الاستمارة التي بين يديه: "لا أستطيع إيصالك إلى الوزير مباشرة يا سيدي فهناك بروتوكول متبع هنا للوصول إليه".

اقترب لؤي منه وقال بنبرة باردة "لا أعتقد أن البروتوكول المتبع سيكون أهم من المعلومات التي سأقدمها له، فقط أخبره أن البروفسور لؤي المتخصص في علم الفيروسات والأوبئة يمتلك معلومات تخص أمن الدولة وتتعلق بفيروس كوفيد-19 الجديد المتفشي في الصين حاليًا والذي بدأ يهاجم سنغافورة".

لم يستطع الموظف الرد عليه لقسوة النبرة التي تكلم بها لؤي، فاتجه نحو مكتب الوزير. جلس لؤي على الكرسي المقابل لمكتب الموظف منتظرًا. عاد الموظف بعد مرور بعض الوقت وقال" الوزير بانتظارك يا بروفسور... سر في الممر الطويل أمامك ثم سيستقبلك موظف آخر ليوصلك إلى الوزير مباشرة، سعدت بلقائك".

هز لؤي رأسه محييًا الموظف ثم اتجه نحو الممر الطويل ليجد في نهايته موظف آخر سار معه نحو مكتب الوزير. دخل لؤي المكتب ليستقبله الوزير بترحاب اعتاده من شعب سنغافورة المسالم وهو يقول: "بروفسور لؤي أنا سعيد أنني ألتقيك وجهًا لوجه، فبالرغم من عدم معرفتي الشخصية بك إلا أن أبحاثك وإنجازاتك كفيلة أن تعرف عنك".

ابتسم لؤي وجلس قائلًا: "أشكرك يا سيادة الوزير، هناك أمر عليّ إطلاع حكومة سنغافورة عليه لعلكم تكونون السباقين لاحتواء الكارثة".

انصت الوزير بتمعن للؤي وقال: "بالطبع، تفضل أنا أسمعك".

"أنا أعمل لدى المنظمة التي يرأسها رتزل روكفشتاين وبناء على أوامر منه قمت بتطوير فيروس كوفيد-19 الذي يغزو الصين الآن وسيكون سببًا لوباء قادم من الشرق سينفي الأرض بعد حين!".

جلس الوزير على كرسيه محدقًا بصمت، عاجزًا عن الكلام، غير مدرك أي جنون نطق به هذا الشخص أمامه للحظات!

الفصل الرابع والثلاثون

ووهان - الصين

2020/2/9

زادت أعداد وفيات مصابي الكورونا في ووهان حتى تجاوزت كارثة مرضى السارس في عام 2003 فأصبح عددهم 811 حالة وفاة حتى هذه اللحظة ما أثار الذعر في قلوب الصينيين كافة وحتى الحكومة. لم يكن أحد يعلم أنه ستمر لحظة من الزمن سيكون فيها رقم 800 وفاة مجرد رقم مطمئن بجانب ما ستؤول إليه الأمور لاحقًا!

كانت نادين تجلس قبالة آدم على الطاولة وهي تضع قلادة الحبال الملونة التي وجدتها في البرج الكركي الأصفر أمامها. تحاول فهمها لعلّها تجد ما يريد وانغ لي إخبارهم به. كانت قلادة الحبال تتألف من حبل رئيسي عُلّقت فيه مجموعة من الحبال المعقودة والتي تدلت منه بحرية، من يراها لا يكاد يصدق أن هذه القلادة البدائية قد تحمل في حناياها معلومات مشفرة لا يقرأها إلا من تعلم حضارة الإنكا واطّلع عليها.

"من يصدق بأن حضارة بدائية كالإنكا تترك لغة بهذا التعقيد قد نعجز عن ابتكاره نحن رواد عصر التكنولوجيا والثورة الصناعية؟"، قالت نادين وهي ترتب الحبال فوق الطاولة بطريقة تساعدها على فك محتواها حبلًا حبلًا.

أما آدم فقام بربط جهاز اللاب توب الخاص به بلاب توب وانغ لي ليقوم بفك كلمة السر الخاصة به. ترك آدم الجهازين يعملان معًا ثم توجه نحو النافذة محاولًا أن يمنح نفسه مساحة من الهدوء. بينما وقفت نادين عند الآلة الطابعة لتأخذ الأوراق المطبوعة والتي كانت أشبه بقاموس مرسوم للغة الكيبو. تناولت الأوراق وعادت باتجاه قلادة الحبال ثم أخذت ترتب الأوراق بجانبها. بدأت بمحاولة فك شيفرة لغة الكيبو الموجودة في الحبال التي أمامها. أمسكت الحبل الأول وقلبته في جميع الاتجاهات لتدون كل ما تستطيع تدوينه على ورقة مجاورة.

قالت نادين بتذمر وهي تمسك بالحبال والأوراق التي أمامها "لا أدري لماذا ترك وانغ لي هذه الحبال لتحمل ما يريد قوله؟ ألم يكن الأسهل أن يكتب ورقة كتلك التي وجدتها أنت في ساعة الرولكس؟".

اقترب آدم من جهاز اللاب توب الخاص به عندما بدأ يشير له بأنه قد تعرّف إلى كلمة السر الخاصة بوانغ لي "لقد استطعت الولوج للاب توب وانغ لي، لنرَ ماذا يحمل في داخله".

وما أن أضاءت شاشة وانغ لي حتى ظهر في وسطها نافذة صغيرة كتب عليها"*أدخل اسم الموقع*" نظر آدم في الجهاز وقال بنبرة مستنكرة "أحقًّا يا وانغ لي؟ أي لعبة سخيفة هذه التي ندور في حلقاتها المفرغة الآن؟".

قالت نادين بصوت مكتوم بسبب انحنائها فوق الحبال: "ما بك؟".

وقف آدم بجانبها وقال وهو يحمل شاشة اللاب توب ويديرها باتجاهها: "لا شيء ولكن انتقلنا إلى باب مغلق جديد".

جفلت نادين لأنها لم تشعر بوجوده أبدًا: "لقد أفزعتني، ما بك؟".

صمتت قليلًا ثم نظرت في الشاشة وقالت: "يا إلهي ما هذا؟".

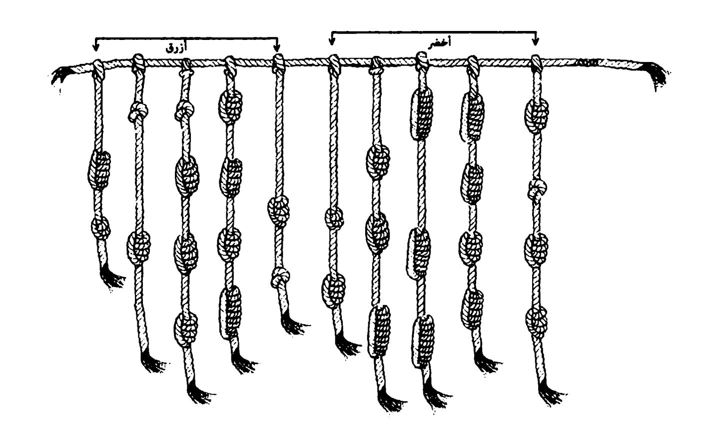
"هذا ما سيجعلك تفزعين أكثر من وقوفي الصامت بجانبك أيتها الصهباء".

هزت نادين رأسها وقالت له: "فلتفزع وحدك، لا وقت لدي لذلك الآن".

سار آدم باتجاه الأريكة دون اكتراث، أما نادين فعادت إلى ما كانت تقوم بفعله، فقلادة الحبال التي أمامها كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام حبل رئيسي أبيض اللون لن تحتاج إلى قراءته لأنه مجرد حبل تتدلى منه عشرة حبال أخرى خمسة باللون الأزرق وخمسة أخرى باللون الأخضر. كانت نادين تمرر أصابعها فوق الحبال واحدًا تلو الآخر ثم تقرأ الأوراق المرتصة أمامها وتسجل ملاحظاتها. بقيت على هذه الحال غير مدركة كم مرّ من الوقت ولكنها تأكدت أنها قد أمضت وقتًا طويلًا وهي منحنية فوق الطاولة هكذا من تصلب عضلات ظهرها ورقبتها الشديد فتوقفت فجأة محاولة نيل قسط بسيط من الراحة ولكن عينيها بقيتا فوق الحبال لا تستطيع مفارقتها. وفجأة نادت على آدم بنبرة متوجسة قائلة: "آدم، تعالَ إلى هنا" تناولت هاتفها الخلوي المرمي بجانبها وأشعلت ضوءه الخلفي وأخذت تمرر الضوء فوق الحبل الرئيسي الأبيض ببطء. انحنت أكثر لتقترب منه، عندها قال آدم: "ماذا هناك؟".

كانت نادين تقول وهي تمر فوق الحبل الرئيسي بدقة "الكلمة التي تحملها قلادة الحبال، هي ما تحتاجه لجهاز وانغ لي".

ابتعدت نادين قليلًا ثم ناولت آدم الهاتف وقالت: "انظر هنا" أشارت بإصبعها إلى طرف الحبل الرئيسي الأبيض، اقترب آدم من الحبل أكثر ليجد كلمة (Com.) قد كتبت بخط أسود صغير واضح فوق الحبل.



"إذًا الكلمة المكتوبة بلغة الإنكا هذه هي الموقع الذي علينا إدخاله في صفحة اللاب توب هناك".

هزّت نادين رأسها بنعم وهي شاردة في الحبال القابعة أمامها لتدرك أنه بات عليها فك لغة الكيبو تلك في أسرع وقت ممكن.

الفصل الخامس والثلاثون

ووهان - الصين

غفت نادين من التعب بينما كانت الأوراق المبعثرة حولها تدل على أنها أمضت الليل كاملًا وهي تبحث في قواعد فك لغة الكيبو التابعة لحضارة الإنكا، وأما الشاشة التي لا تزال مفتوحة أمامها فكان عليها أكثر من فيديو يوتيوب يوضح قراءة العقد المربوطة بالحبال. اقترب منها آدم وحدق إليها وهي مستلقية بعبث فوق الطاولة بشعرها الأحمر المشعّث. لم يعرف لماذا شعر للحظات أنها قد وصلت في وقت ربما كان هو يحتاج لوجودها فيه، فالوحدة باتت تخيفه بعد وفاة العم تشن ووانغ لي رغم أنه أمضى كل حياته وحيدًا، لم يعِ لِمَ بات للوحدة وطأة جديدة بعد كل هذه السنين من الاغتراب! مرر كفه فوق شعرها المرمي فوق الورق وقال وهو يرى الإنهاك في وجهها الذي رفعته ببطء: "نادين، أعتقد أن عليك أن تستريحي في غرفتك، دعي فك طلاسم هذا الحبل للغد".

رفعت نادين رأسها وقالت وهي تمسح وجهها بكفها: "لا... لا لقد اقتربت من فك عقده، عليّ أن أنهي الأمر قبل ذهابي إلى المستشفى، فمنذ فتح مستشفى هوشنشان ونحن نستقبل حالات جديدة باستمرار، ولربما أتأخر في العمل اليوم، لذا لا داعي لتأجيل الأمر".

"ولكنك منهكة".

قالت وهي تحاول النهوض عن الكرسي: "لا بأس، سأشرب كوبًا

من القهوة عندها سأستعيد نشاطي".

أعادها آدم مكانها وقال: "استريحي... أنا سأحضر لك القهوة، أكملي ما بدأتِ".

رمقته نادين وهي تفرك عينيها قائلة: "هل تشعر بالأسى لحالة الفتاة الصهباء؟".

ابتسم آدم وهو يتوجه نحو المطبخ وقال: "ربما، فحالكِ في الواقع سيئة".

ردت نادين بامتعاض: "شكرًا، أيها الصديق الحنون".

رفعت نادين شعرها المبعثر فوق رأسها وربطته بعبث. كان سلسال الكارتيير الفضي ذو السمك الرفيع والذي ترتديه دوما قد أعاق حركتها فأخفته في داخل قميصها. حاولت غلب الكسل الذي يسيطر على جسدها الثقيل. أخذت تمسك الحبال بين يديها وقالت: "أتعلم يا آدم إن هذه اللغة تمامًا كالنوتة الموسيقية، قد تعرف حروفها الأساسية ولكنك لن تسمع مقطوعتها إلا إذا عزفها صاحب المقطوعة، لهذا ستبقى حبال الإنكا لغة لا يمكن فك ألغازها حتى تبقى أسرارهم دفينة في أراضيهم العتيقة".

اقترب آدم وهو يضع كوب القهوة بجانبها وقال: "يبدو أنك استعدت نشاطك دون قهوة".

ابتسمت نادين وهي ترتشف من الكوب الساخن وقالت: "ما لم أتوقعه أن اللغة هي لغة رقمية، لا تحمل حروفًا. ظننت أن ما تركه وانغ لي لنا كلمة ولكن ما فهمته من كل هذا البحث أنها مجموعة أرقام في كل حبل". أمسكت بالحبل الأخضر المعلق من طرف كلمة (.Com) وقالت: "أعتقد أن نهاية السلسلة الرقمية هي الحبال ذات اللون الأخضر"، ثم

أمسكت بالحبل الأزرق المعلق على الطرف الثاني ورفعته وهي تقول: "وأعتقد أن الحبال الزرقاء هذه هي بدايتها".

"منطقي جدًّا ما تقولينه"، قال آدم وهو يمعن النظر في الحبال المصطفة أمامها بترتيب.

"العقد التي في الأعلى تمثل خانة الألوف تليها خانة المئات والتي في المنتصف خانة العشرات، وأما العقد في أسفل الحبل المتدلي فتمثل خانة الآحاد".

أمسك آدم بالحبل الأول وقال: "يا إلهي هذا أشبه بعداد الرياضيات الأباكوس".

"نعم يشبهه كثيرًا ولكن على شكل عقد".

"لقد استخرجت الحبال الزرقاء وأرقامها تقريبًا تبقى لديّ الحبال الخضراء".

"أحقًا ما تقولين؟".

"بالطبع" وضعت كوب القهوة جانبًا ثم تناولت الورقة التي بجانبها وقالت: "ها هو الرقم".

62 1040 1554 4649 31....

"تبقى الآن فك الحبال الخضراء وما دمت فككت هذه أعتقد أن الأمر بات سهلاً ولكن..."، صمتت نادين وتنهدت بعمق وهي تمسك بالحبال الخضراء لتبدأ فكها: "هل تعتقد أن الأمر يستحق كل هذا العناء؟".

أجاب آدم بشرود: "في الواقع" صمت قليلًا ثم قال: "لا أدري...".

أمسكت نادين بواحد من الحبال الخضراء وقالت: "ولكن يُقال بأنه لولا الشك لما كان هناك إيمان".

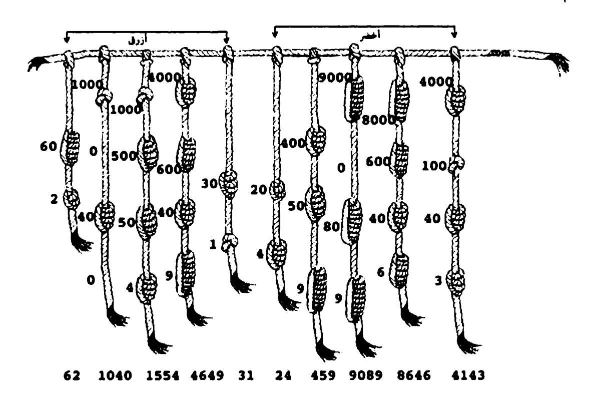
ابتسم آدم وقال: "ربما أنت محقة... هناك حدس في داخلي دومًا أتبعه".

"وهل هو موجود في هذه الظروف التي نحن فيها؟".

أمسك بالحبل الموجود بجانبه وانحنى مثل نادين فوقه وأخذ يحاول قراءة عقده "نعم، لهذا سننهي هذه القلادة سويًا".

رفعت نادين رأسها لتجده منهمكا في قراءة الأوراق التي أمامه وبدأ هو أيضًا بتدوين ملاحظاته. وبينما كانت في حالة تركيز شديدة وبعد مرور بعض الوقت رفعت رأسها لتنظر إلى آدم بعينين لامعتين ونبرة منتشية: "لقد فككنا حبل الإنكا اللعين هذا...".

نقلت نادين الأرقام التي فكتها من فوق الحبال الخضراء ليظهر أمامهما رقم طويل جدًّا يتألف من ثلاثة وثلاثين خانة!



"غير ممكن! هل حقًا هذا عنوان موقع إلكتروني أم أنها مصفوفة؟!"، قالت نادين وهي مندهشة من الأرقام التي أمامها.

اقترب آدم منها ليرى الأرقام مكتوبة بالترتيب التالي:

(62 1040 1554 4649 31 24 459 9089 8646 4143).

تناول الورقة. وضع اللاب توب وبدأ بطباعة الأرقام في النافذة التي أمامه على الشاشة وقال: "لا يهمني ما هي، المهم أنه علينا وضعها في مكانها الصحيح لا أكثر".

طبع آدم عنوان الموقع في مكانه

621040155446493124459908986464143.com

عندها انتقلت الشاشة فجأة إلى موقع يشبه شكل نافذة الدوس القديمة وبدأت الأوامر تظهر واحدًا تلو الآخر لتنتهي بعبارة *(جاري الطباعة)*.

نهض آدم مسرعًا باتجاه الطابعة. شغلها ثم أوصل اللاب توب بها. بدأت الطابعة تطبع الأوراق واحدة تلو الأخرى عندما قال بنبرة مندهشة وهو يحمل الورقة الأولى: "تعالي لتري هذا".

نهضت نادين متوجهة نحوه وقالت: "ماذا هناك؟".

"تقرير تابع للبنتاغون يتألف من 103 صفحات كما هو مكتوب في أمر الطباعة".

نظرت نادين إلى آدم والخوف يجوب بينهما رغم صمتهما، إلى أين سيحملهما وانغ لي في هذا الطريق؟

الفصل السادس والثلاثون

سنغافورة - سنغافورة

جلس لؤي في شقته الموجودة في أحد أبراج سنغافورة العالية هائمًا في مشهد المارينا القابع أمامه حيث أعلى مسبح في العالم يرقد قبالته فوق الأبراج الثلاثة لفنادق المارينا. فهناك يتمنى كل سباح أو حتى عائم لا يفقه فن السباحة أن يلتقط المشهد البانورامي لمدينة سنغافورة من بين السحب لتشعر للحظات وأنت على حافة المسبح أن الهاوية في الأسفل لا محالة وما أن تقترب حتى تجد حافة أخرى تلتقطك فيما لو أصابك التهور وأردت النزول كمغامر من هناك.

كان كلام الوزير لا يزال يرن في ذاكرة لؤي التي تستمع لموسيقى شوبان المقطوعة رقم 20 (ذكريات الماضي) *"أشكرك بروفسور لؤي سأقوم بإطلاع الحكومة والقيام بكل الإجراءات اللازمة وسأحدد موعدًا لك لتلتقي برئيس الوزراء وتطلعه على كل ما تمتلكه من معلومات وأدلة"* وحتى هذه الساعة لا يزال ينتظر موعده مع وزير الصحة ورئيس الوزراء. فجأة رن هاتفه الخلوي فقطع عليه كلام الوزير الذي لايزال يمر في ذاكرته ليرد قائلًا: "نعم، من معي؟".

علا صوت ديفيد من طرف المكالمة الآخر وهو يقول من بين الضجيج المحيط به "احذرْ يا لؤي".

"ديفيد، ماذا حصل؟".

"اتصلت فقط لأحذرك".

"ممّ؟".

"لقد بت مطلوبًا دوليًا الآن، فكل معلوماتك الموجودة على قواعد البيانات والمصادر الدولية والتحريات الجنائية أصبحت مزورة وليس هناك ما يدل على تطويرك للفيروس سواء في ووهان أو أتلانتا، وكل ما هو موجود أنك مجرد بروفسور في علم الفيروسات ليس أكثر".

"ماذا تعني؟".

"أعني أنك إذا قمت بالولوج إلى مواقع مختبرات الفيروسات في ووهان وأتلانتا ستجد أن كل ما يتعلق بوجودك هناك من أوقات عمل وأبحاث ودراسات وحتى فيديوهات كاميرات المراقبة التي كانت تسجل حضورك للعمل تم حذفها تمامًا وأنت مجرد موظف عادي تم التخلص منه لعدم رغبتهم بالاستمرار بالعمل معك".

صمت لؤي ثم أكمل ديفيد قائلًا: "وبعد أن أخبرت وزير الصحة بما أخبرته، بت مطلوبًا للعدالة تحت تهمة الإخلال بأمن الدولة".

قال لؤي ببرود والموسيقى لا زالت تمر من خلف أذنيه بهدوء "وزير الصحة!"

"لا علاقة لوزير الصحة بالأمر فبياناتك تم تغييرها وتزويرها أثناء تواجدك معه. احذر، هناك من يراقبك والأمر لم يعد كالسابق".

"ولماذا تخبرني بذلك الآن؟".

"لأنني سأغادر أتلانتا بعد دقائق فأنا أيضًا تم كشفي منذ ساعات وبات عليّ الرحيل قبل أن يصلوا إليّ، سأراك في سنغافورة بكل تأكيد".

أقفل ديفيد المكالمة وكان صوت المضيفة ينادي النداء الأخير لركاب رحلته حتى يلحقوا بها قبل الإقلاع.

الفصل السابع والثلاثون

روما - إيطاليا

كانت مارتينا تقف على ناصية الشارع بانتظار روبرتو، تحدق إلى سماء روما حيث الأرواح التي مرت فوق هذه الطرقات المعبدة وعبر كل هذه القرون أصبحت تمكث هناك بلا ألم، بلا رغبة، بلا حب، بلا غضب. تحلق نحو اللاشيء فقط، وتنظر نحونا بشفقة موقنة أن كل ما نراه ونخوضه فوق الأرض قد لا يستحق حتى لحظة تفكير عابرة تشاكس خاطرنا لوهلة، ولكن كيف لنا أن نعلم؟ فهم وحدهم من عرفوا الحقيقة الغائبة عن الأرض!

اقترب روبرتو منها ليمسك ذراعها قائلًا: "هيا بنا".

فأجابت وهي لا تزال شاردة وواقفة بوجوم: "أتعتقد أن طائراتنا التي تحلق هناك مصدر إزعاج لهم؟".

قال روبرتو وهو يقف بجانبها: "من هم؟".

"الأرواح الهائمة في السماء هناك".

"مارتينا عزيزتي، لو تأخرنا سنصبح معهم ونعرف حينها إن كنا مصدر إزعاج لهم أم لا؟".

ضحكت مارتينا قائلة: "هيا بنا إذًا".

سار روبرتو ومارتينا في الممر الطويل المؤدي إلى مكتب سابيني في المبنى القديم القابع في قلب روما، وما أن وصلا المكتب حتى وجدا الباب

مفتوحًا وسابيني يجلس على كرسيه بانتظارهم ثم قال بصوته الأجش: "تفضلا..".

جلس روبرتو ومارتينا أمام سابيني الذي قال: "سيد جوفاني، في الواقع لا أدري ما الذي يضطرني لاستقبالك أنت والآنسة جوفاني في مكتبي بعد ما أخبرتك به، ربما لا أمتلك الأدلة الكافية ضد مارتينا ولكنني كل ما أستطيع قوله أنني لست بحاجة لـ...".

قاطعه روبرتو وهو يتناول سيجارًا كوبيًّا من صندوق السجائر القابع أمام سابيني وقال: "أتسمح لي؟".

"بالطبع، تفضل".

أشعل روبرتو السيجار: "نوع فاخر يبدو أنه مصنوع خصيصًا لك في كوبا".

"نعم، هذا صحيح". صمت سابيني قليلًا ثم قال مكملًا: "سيد جوفاني بعد ما عرفت أنا لا أريد سوى أن تـ...".

قال روبرتو مقاطعًا: "أنا لم آتِ إلى هنا لأعرف ماذا تريد بل لأخبرك بما أريد".

ارتسمت الدهشة على وجه سابيني المقتضب حينما وجد رد روبرتو أوقح مما كان يتوقع. ثم قال بهدوء مصطنع: "ولكن أنا لست بحاجة لمعرفة ما تريد! أنا فقط لا أريد قاتلة في شركتي ليس أكثر".

قالت مارتينا: "أنا لا مانع لديّ" ثم نهضت باتجاه الصندوق الذي يحتوي على السيجار الكوبي وأخذت تقلب ما فيه وأكملت: "لكن أعتقد إن كنت تريد أن تشتري المزيد من هذا المصنوع خصيصًا لك ربما عليك أن تستمع أكثر من أن تتكلم".

تناولت سيجارة وقالت وهي تشعلها بقداحة سابيني الموضوعة أمامه على المكتب. نفثت الدخان في الهواء وقالت وهي تجلس قبالة روبرتو: "فعلًا إن ما كنا ندخنه بقايا خشب".

قال روبرتو لسابيني: "سيد سابيني... أنت تمتلك شركة طيران جيدة وعلى ما يبدو من اطلاعي على ملفاتك وبيانات شركتك فمعدل سفريات طائراتك جيد ولكنه ليس كالخطوط الإيطالية. لذا خلال مدة قصيرة تستطيع أن تقدرها ببضع شهور ولربما أقل ستضطر لإشهار إفلاسك".

ضحك سابيني قائلًا: "عفوًا، ومن الذي زودك بمعلومات زائفة كهذه؟".

حدق روبرتو إلى شعلة السيجار الكوبي الذي بين يديه وقال ببرود: "بل أنا من يزودك بالمعلومات التي ستحصل لك ولشركتك لاحقًا". صمت قليلًا ثم أكمل مردفًا: "أعني ما سيحدث لك في المستقبل القريب".

نظر سابيني في ساعته بملل ثم نهض من مكتبه قائلًا: "أنا رجل جدول أعمالي لا يحتمل اللقاءات الطويلة، فهلا أنهيت حديثك لأنه بكل تأكيد لدي الكثير من الاجتماعات التي لا تزال بانتظاري".

"اجتماعاتك تلك لا تهمني وسوف تصبح لا تهمك أنت، لذا عليك الجلوس الآن حتى أنهي كلامي". لم ينتظر روبرتو سابيني أن يجلس ثم نهض وأخذ يسير في المكتب قائلًا: "عليك أن تعلم أن شركتك وكل الشركات التي بحجم شركتك ستعلن إفلاسها قريبًا بسبب فيروس كوفيد-19 الذي يضرب الصين والذي سيجتاح العالم في غضون أشهر قليلة".

تناول سابيني معطفه المعلق وارتداه ثم قال وهو يبتسم: "أحقًا تريدني أن ألغي اجتماعاتي لأسمع بعض الهراء عن فيروس يضرب الصين والشرق الآسيوي! يا عزيزي هذا الفيروس مثله مثل السارس لن يتجاوز حدود أرض الصين، فهو فيروس مصنع لضرب الصينيين وليس أوروبا، تمامًا كفيروس إيبولا المصنع لإفريقيا!".

"الصين ستخسر 50٪ من قيمة استثمارات المشاريع الصغيرة الموجودة فيها وذلك في غضون شهر فبراير فقط، وسيعتقد العالم أنها الخسارة الاقتصادية الأكبر التي سيشهدها هذا العام".

"وهل تعتقد أنني كرجل أعمال مخضرم لا أعرف هذا؟ في عالم الأعمال باتت معلومتك هذه بالية لذا لا أعتقد أنك أضفت لمعلوماتي ما هو جديد".

عدّل روبرتو من جلسته وكان يتكلم بنبرة المتمرس: "ربما هذه المعلومة القادمة قد تثير اهتمامك أكثر، لأنه ما لا تعرفه أنت وعالم الأعمال الخاص بك أنه في حلول شهر مارس وأبريل ستخسر أوروبا 70٪ من استثماراتها".

"وإن كان ما تقوله صحيح، ما شأني في ذلك؟!".

"سيكون قطاع الطيران والسياحة أكبر الخاسرين".

"ما تقوله غير منطقي، فهذان القطاعان هما العمود الفقري لدول العالم ككل ولأوروبا خاصة، فإن كان ما تقوله صحيحًا يعني تغير وجه خريطة العالم".

أجاب روبرتو مكملًا دون أن يكترث لنبرته الرافضة للفكرة: "إن الشركات الصغيرة بكل قطاعاتها إن لم تكن ضمن منظومة اقتصادية كبرى

ستسقط؛ فالكورونا مقبرة الشركات الصغيرة لأن النظام الاقتصادي العالمي الجديد لن يكون بحاجتها بعد انتشاره".

قال سابيني بنبرة أكثر انتباهًا وحذرًا: "عمّ تتكلم؟".

"عن تحوّل شركتك الصغيرة من شركة داعمة للاقتصاد إلى عبء يثقل كاهل الشركات الكبرى، هل تعتقد بأن شركتك قادرة على تحمل توقف رحلاتها بالكامل لفترة قد تصل إلى خمسة أشهر؟".

"ولِمَ سيحدث ذلك؟".

"سيشهد البشر أكبر عملية حظر وإغلاق كلي لدول العالم".

"وما الذي يجعلني أصدق كل ما تقول؟".

"لأنني أحد الأشخاص الذين كانوا متواجدين لحظة التخطيط لإطلاق الفيروس وأعرف كل أهدافه المستقبلية".

وقف سابيني مذهولا للحظات ثم سار باتجاه مكتبه بعد أن خلع معطفه وقال وهو يجلس خلف المكتب: "ولماذا تخبرني بهذا؟".

"لأنني أمتلك عرضًا سينقذ شركتك وينقذ حبيبتي مارتينا من سر قد تفشيه في لحظة هذيان مع كأس".

"وما هو هذا العرض؟".

صمت روبرتو قليلًا ثم أجاب "أن تجعل مارتينا تخطف إحدى طائراتك مقابل 100 مليون دولار وما أن تحصل عليهم سيكون لنا نصف المبلغ ولك النصف". صمت قليلًا ونفث دخان السيجار الثخين القابع بين يديه ثم قال: "نصف المبلغ مع ما تمتلك من أرصدة في البنوك وممتلكات مجمدة سيجعلوك تبقى قادرًا على شراء صناديق السيجار الكوبي الفاخر هذا والنهوض بشركتك بعد أن تسقط".

نظر سابيني إلى روبرتو ومارتينا بفزع وهي تقول: "وأنا لا مانع لدي لخطف الطائرة مقابل 120 مليونًا".

رن هاتف سابيني كثيرًا حتى توقف ثم أغلقه بصمت غير مدرك أنه باكتشاف جريمة مارتينا قد وقع في فخ أكبر!

الفصل الثامن والثلاثون

ووهان – الصين

كانت الطابعة قد توقفت عن الطباعة منذ وقت طويل، حينما قررت نادين أن تنهض لتشرب كوبًا آخر من القهوة ليساعدها على الاستيقاظ جيدًا، فعلى ما يبدو أنها ستذهب إلى المستشفى مستيقظة هذا اليوم.

"تفضل" ناولت آدم كوب القهوة الخاص به بينما كان هو يقرأ الأوراق بنهم دون أن يسمعها فقالت مرة أخرى "آدم، اشرب هذا فأنت بحاجة إليه".

قلب الورقة التي بين يديه ليقرأ التي بعدها ولم يجب، فقالت وهي تجلس بجانبه: "حسنًا، كما تشاء".

قال حينما شعر بوجودها: "ماذا هناك؟".

"لقد جلبت لك القهوة إنها على الطاولة، أعتقد أنك تحتاج لبعض الكافيين".

"بل النيكوتين"، قالها وهو يشعل سيجارة جديدة بينما كانت المنفضة تحتوي على ما يزيد عن عشرين عقب سيجارة.

نظر آدم إلى الأوراق التي كان قد بدأ بقراءتها منذ ساعة أو أكثر تقريبًا وقال: "إن هذا التقرير يحمل ما لا يمكن تصديقه يا نادين".

حركت نادين رقبتها يمينًا ويسارًا وهي تحاول حل تصلبها وقالت: "التقرير يحمل في حناياه الخوف بكل معانيه فانظر هنا". أمسكت الصفحة

المرقمة بالرقم واحد وقالت: "انظر إلى التاريخ، فهو وحده يجعلك تصاب بالذعر وعدم القدرة على التركيز".

أمعن آدم النظر في التاريخ الذي كان في شهر يناير عام 2017 وقال" إن وجود تقرير كهذا في ذلك الوقت أمر صادم، فالتقرير يؤكد أن هناك وباءً قادمًا سيجتاح الأرض ويعمل على تدمير العالم بالكامل، وأن على الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ كافة إجراءاتها الاحترازية لمواجهته".

وضعت نادين كوب القهوة على الطاولة وبدأت تفتش الأوراق محاولة إيجاد ما قرأته سابقًا في الصفحات التي بين يديها وقالت حينما وجدته: "انظر هنا، في هذه الجزء من التقرير. البنتاغون يحاول توضيح دور كل من؛ مركز السيطرة على الأمراض (CDC) والوكالة الفدرالية الأمريكية لحماية الحدود (CBD) ومنظمة الصحة العالمية (WHO) في مواجهة الوباء وكيفية التصدي له". ثم قلبت نادين الورق وقالت: "أما هنا فمواصفات الوباء الذي سينتشر يشبه فيروس (كوفيد-19) بأعراضه". صمتت نادين وقالت بنبرة غير مصدقة: "هل هذا معقول؟".

"هل هذا يعني أن أمريكا لن تتعرض لوباء الكورونا إن هاجم باقي الدول؟".

نهض آدم من مكانه وكان يذرع الغرفة جيئة وذهابًا أمام نادين التي تنظر إليه كبندول ساعة معلقة يكاد يدخلها في حالة من النوم المغناطيسي بحركته المتواصلة تلك وقالت: "توقف عن الحراك".

نظر إليها آدم متفاجئًا بسبب توترها ثم استند إلى الحائط ليخفف من حركته وأكمل كمن يحاول ألا تهرب الأفكار منه: "إن تعرضت أمريكا للوباء فمن المفترض حسب هذا التقرير أن تكون على أتم الاستعداد لذلك".

"نعم، هذا ما يجب أن يكون".

استنشق آدم نفسًا قويًا من السيجارة القابعة في فمه ثم نفث دخانها في الفراغ أمامه وقال: "وماذا إن أمريكا أصيبت بالوباء ولم تواجهه؟".

"غير ممكن"، أجابت نادين ثم أكمل آدم: "إن أمريكا ما دامت على أهبة الاستعداد لهذا الوباء فإنها لن تصاب به من الأساس، ولربما أيضًا الوباء لن يخرج من نطاق حدود الصين".

"إذن هو وباء للصين وشرق آسيا؟"، قالت نادين متسائلة.

"ما هو موجود في هذا التقرير يثبت عكس ذلك، فالوباء سيصيب كل دول العالم".

"وأمريكا منهم؟".

"بالتأكيد".

قالت نادين وهي تنظر في آدم وقالت: "وماذا لو أمريكا أصيبت بالوباء ولم تتصدَّ له؟".

قال آدم شاردًا: "ربما هذا ما كان وانغ لي يريد أنه يوصله لنا".

"ماذا تقصد؟".

"إن وصل الوباء إلى أمريكا ولم تتصد له فذلك يعني..." صمت قليلًا وهرس قمع سيجارته بقوة في مطفأة السجائر وقال: "أن هذا الوباء عليه أن ينتشر دون مواجهة".

قالت نادين مذعورة: "وهل أمريكا هي من تريد ذلك؟".

"ليس بالضرورة ولكن ما يهمنا الآن ما يريده وانغ لي".

"وماذا تعتقد أن وانغ لي يريد؟".

سار آدم باتجاه النافذة العالية التي بدأت الشمس تتسلل منها بهدوء لتعلن بدء يوم جديد ربما سيستمر حتى آخره، وربما سيكون هو النهاية ولكنه ما دام بدأ فهو لا يزال يومًا جديدًا. حدق إلى الأفق الذي أمامه وقال بنبرة هائمة: "ربما كان يريد منا أن نوصل للعالم كله الحقيقة التي كان يراها..." صمت قليلًا حينما وجد الطيور تحلق والناس لا تزال أسيرة خلف الجدران ثم قال مكملًا: "حقيقة أن هناك قوى في العالم تريد لهذا الوباء أن ينتشر ولا تريد أن يتم التصدي له!".

الفصل التاسع والثلاثون

ووهان - الصين

سارت نادين مشتتة بين ممرات المستشفى التي تعج بالمرضى فعدد المصابين بالفيروس بات مخيفًا ويتجاوز الخمسة عشر ألف مصاب وبات القطاع الصحي على حافة الهاوية أمام العدد الهائل هذا، لذا أمرت الحكومة فورًا بفتح الملاعب والصالات الرياضية الضخمة كمستشفيات مؤقتة لمحاربة الوباء القادم إليهم بشراسة دون توقف. أما نادين فما زالت حتى هذه اللحظات تعمل داخل مستشفى ووهان المركزي بمرضاه الذين يتعالجون وآخرون يموتون أمامها وهم ينادون عليها قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة: "ألا نستطيع أن نودع أحبابنا؟"، فتنظر إليهم بصمت دون أن تستطيع النطق بإجابة قد تمنحهم الراحة في لحظتهم الأخيرة تلك.

كانت أكياس الجثث المتراصة فوق بعضها البعض في سيارات الإسعاف بدلًا من المرضى مشهدًا اعتياديًّا في أغلب مستشفيات ووهان الرئيسية والمؤقتة، ومشهد الانهيار لأحد الشباب هناك وهو يسلم والده العجوز لقسم العزل بات أيضًا اعتياديًا. الموت والخوف والحزن كلها باتت اعتيادية، وتوالي الأعداد أمامهم جعلهم يوقنون أنه لا وقت للإحساس ما دام الموت قادمًا وكل ما عليهم فعله معالجة أكبر قدر ممكن من المرضى إن استطاعوا، ونقل آخرين للحرق ما داموا فارقوا الحياة. وما لم يكن سكان العالم يتصوروه أن أرقام الصين هذه التي تبث الذعر الآن ما

هي إلا تعداد لا يُذكر لما هو قادم، فالصين لن تكون سوى سطر عابر أمام دول العالم التي ستتهاوى لاحقًا!

استوقفت عجوز تصارع الموت من خلف أنفاسها المتقطعة نادين قائلة: "أرى الخوف يرقد فوق ملامح وجهك يا ابنتي"، صمتت قليلًا حتى تتنفس ونادين بدأت دموعها تنهمر من خلف الغطاء الواقي لتكمل العجوز كلامها قائلة: "لا تخافي، ففي الموت راحة لنا أحيانًا.. لكن إذا استطعت أخبري أحفادي وأبنائي أنني مت بقوة رغم المرض وأن روحي ستبقى تحلق حولهم بحب من فوق السماء". نطقت العجوز بكلماتها الأخيرة ثم أسلمت روحها لبارئها بهدوء. قرأت نادين اسمها على البطاقة المعلقة فوق السرير. سارت نحو غرفة الممرضات والأطباء بحثًا عن الهاتف الذي اشترته خصيصًا لمنطقة العزل وأخذت تقلب في ملف السيدة العجوز لتجد رقم هواتف من يمكن التواصل معهم واتصلت على الفور: "منزل السيدة هوانغ آن آن؟".

"نعم سيدتي، تفضلي".

صمتت نادين للحظات والكلمات تفر من حلقها لتتركه ككهف مهجور فقاطعها صوت الطرف الثاني قائلًا: "هل من أمر يتعلق بجدتي؟".

اعتلى الخوف نادين كلما تذكرت تقرير البنتاغون الذي سهرت عليه هي وآدم ليلة أمس، فحياة كل أولئك وآخرين باتت بين أيديهما، هما الاثنان فقط! لذا بات عليهما التحرك. رد الطرف الثاني من المكالمة ونادين لا تزال شاردة: "هل هناك من تطور جديد في حالة جدتي يا سيدتي؟".

أجابت نادين بصوت قادم من بعيد: "السيدة هوانغ آن آن تركت لكم رسالة يا سيدي، تقول ستبقى روحها تحلق حولكم بحب من فوق السماء"

وأغلقت نادين الهاتف قبل أن يجهش الشاب على الطرف الثاني من المكالمة بالبكاء.

كانت نادين تستند في الغرفة إلى الحائط محاولة نيل بعض القسط من الراحة حينما دخلت إحدى الممرضات وهي في حالة من الانهيار التام من شدة التعب فالقوانين الصارمة في الصين لم تكن تسمح للممرضين أو الأطباء بخلع ثيابهم أو حتى التنفس خارج حدود ثيابهم الوقائية المنهكة.

كانت الممرضة تبكي وتنتحب: "ابنتي كانت على ناصية الشارع المقابل هنا تنتظر مني عناقًا عابرًا بعد طول غياب ولكن.. لم أستطع أن أعانقها. شعرت بأنني أحمل الموت بين خلايا جسدي فخفت عليها حتى من أنفاسي المكتومة داخل هذه الثياب".

***

دخلت نادين المنزل يائسة. جلست بجانب آدم على الأريكة وهي تقول: "لا أدري ماذا بعد يا آدم، فالأمر هنا في ووهان أصبح خارج السيطرة".

كان آدم يشرب كوبًا من القهوة حين قال لها وهو ينظر إلى شاشة التلفاز التي أمامه: "ماذا تعنين؟".

"إن سكان ووهان باتوا كلعبة دومينو مرصوصة إذا اصطدم أحدهم بالآخر سقط الجميع بلا توقف".

"أعتقد أنه سيكون حال سكان العالم كله".

أكمل آدم وهو ينظر إليها: "تبدين شاحبة".

قالت نادين وهي تمسح وجهها المنهك بكفيها: "الموت في كل مكان، على الأسرة وفي الممرات وحتى في قلب من ينتظرون خارج المستشفى لمعرفة مصير من يحبون".

"ولا ندري كم من الموت قادم بعد؟ لذا هوني على نفسك الأمر".

"علينا أن ننشر التقرير الذي نملكه للعالم".

قال آدم وهو يقف قبالتها: "التقرير ليس إلا بداية لما هو أكبر".

"وإن يكن. لننشر التقرير عبر وسيلة إعلام هامة أو منصة تواصل اجتماعي.. علينا أن نحذر العالم مما هو قادم".

"التقرير لا يحمل ما هو قادم".

"ربما، ولكن التقرير يوضح أن العالم كله سيكون تحت وطأة هذا الوباء".

"حسنًا، وماذا إن فعلنا وتم حذفه؟ وماذا إن تم تتبعنا بعد نشره؟ أنت تعلمين جيدًا أننا لن نستطيع فعل أي شيء حينها ولربما سنصبح أنا وأنت في طي النسيان كوانغ لي تمامًا! لذا أعتقد أن كتمان الأمر في الوقت الحالي أهم من إعلانه".

سار آدم باتجاه المطبخ وأخذ يعبئ كوبًا من الماء الساخن بينما كانت نادين تفكر حين قالت: "ولكن نحن نمتلك دليلًا قاطعًا، لذا لا داعي للكتمان".

قال آدم وهو يضع كوب الماء أمامها: "إنه دليل ولكنه ليس قاطعًا وغير كافٍ، وهذا ما أدركه وانغ لي فترك لنا ما يجب إيجاده في بكين".

شربت نادين كوب الماء دفعة واحدة حتى شعرت بحرارته تحرق جوفها وقالت: "ماذا تعني؟".

"أعني صندوق البريد الذي وجدته أنت في بكين".

قالت نادين وهي تضع كفها على جبينها مندهشة: "صندوق البريد المكتوب عليه بلغة النوشو! كيف نسيته!".

"لم يترك وانغ لي هذا الصندوق عبثًا وإلا لما جعلك تبحثين عنه".

صمتت نادين قليلًا ثم قالت: "إذن السر في العبارة المكتوبة على الصندوق".

أخرجت هاتفها النقال وقلبت في صوره وما أن وجدت صورة الصندوق حتى وضعتها أمام آدم قائلة: "الإنسان جزء متكامل مع الطبيعة".

"بل السر في داخل الصندوق".

أخرج آدم سلسلة مفاتيح وانغ لي التي أخذها يوم وفاته من المستشفى وأمسك المفتاح الأصغر حجمًا بين الأربعة وقال: "أعتقد أن علينا العودة إلى بكين".

الفصل الأربعون

ووهان - الصين

السكينة لم تكن تناسب أكثر المدن الصناعية حركة في العالم والتي لم يعتد جوها النقاء منذ مدة طويلة بسبب مصانعها ودخانه المبعوث من أنابيبها العالية، فهل حقًّا هذه هي ووهان المدينة الصناعية الأولى في الصين؟ كان عدد من يتجولون في الشوارع محدودًا وقليلًا لدرجة تجعلك لا تصدق أن الصين هي أكثر دول العالم تعدادًا للسكان، فهل حقًّا ما يحدث؟ سار آدم حاملا بعض الأكياس وذهنه لا ينفك عن التساؤل، كيف سيصل إلى بكين هو ونادين في حظر كلي صارم كهذا؟ رن هاتفه في جيبه وقال وهو يضرب على السماعة الوايرلس المعلقة في أذنه دون أن يعرف من المتصل "نعم...".

قالت نادين بصوت مستعجل: "أين أنت؟".

"كنت في السوق أشتري بعض احتياجات المنزل".

"لا داعي لذلك، ارجع إلى المنزل الآن واجمع كل ما تستطيع جمعه" صمتت قليلًا ثم قالت بنبرة هامسة: "سنغادر أنا وأنت إلى بكين اليوم، وافِني في ساحة المستشفى بعد ساعة ونصف".

"كيف؟".

"سأشرح لك لاحقًا، وداعًا الآن". أغلقت الهاتف وما كادت أن تفعل حتى عاد الهاتف يرن ثانية ليجيب آدم قائلًا: "ماذا نسيتِ أن تخبريني؟".

أجابت نادين مبتسمة: "لا تنسى أن ترتدي روب الطب الخاص بي، ستجده في خزانة الملابس معلقًا، ارتدِه قبل أن تدخل ساحة المستشفى".

"حسنًا، أراكِ بعد ساعة ونصف".

أغلق آدم الهاتف وتوجه نحو الشقة ليحاول جمع كل ما تركه لهم وانغ لي من لاب توب وتقارير وغيرها والأهم من هذا كله سلسلة مفاتيحه التي تركها لآدم قبل وفاته.

* * *

وصل آدم إلى ساحة المستشفى وهو يرتدي روب الطبيب الخاص بنادين وبسبب طوله الذي يفوق طول نادين بدا الروب قصيرًا بعض الشيء عليه. وقف في قلب الساحة حاملًا حقيبة اللاب توب وحقيبة ظهر صغيرة بينما كانت الحركة تضجّ هنا بعكس شوارع ووهان الخاوية. مرضى وموتى وسيارات إسعاف وآخرون جُرّوا من منازلهم قسرًا ليخضعوا للحجر الصحي. كان المنظر أشد قسوة مما كانت تبث لهم القنوات المحلية، فهذا شاب في قلب سرير ممدد داخل أنبوب بلاستيكي شفاف يغلّفه من كل جانب فلا يستطيع الحراك ولا حتى رفع رأسه لرؤية أي شيء سوى سماء المدينة الصامت. وتلك فتاة تم حبسها في صندوق زجاجي تنتظر نقلها إلى قسم العزل في المستشفى بخوف. المكان يبعث على اليأس أكثر من الأمل. والألم يرتسم على وجوه العاملين في المستشفى بصمت، والخوف على وجوه الموجودين يترك حالة من الوجوم تجعلك لا تدرك إن كان الحاضر في هذه البلدة بات حيًا أم أنه حُكم قسريٌّ بالموت!

فاجأه صوت نادين من خلفه وهي تقول: "هيا بنا".

وقفت نادين للحظات وقالت بنبرة ساخرة: "هذا ما استطعت جمعه؟!".

أجابها آدم ببرود وهو يجرها على السير: "هذا ما أحتاجه".

"وأنا، ألم تفكر أنني قد أحتاج شيئًا؟".

"بالطبع لن تحتاجي شيئًا فنحن في طريقنا إلى منزلك.. ولكن كيف سنغادر؟".

أشارت له نادين بأن يتبعها. سارا بين حشود الأطباء المتطوعين القادمين من مختلف مناطق الصين وما أن اقتربا من إحدى الحافلات التي كان يغادرها آخر طبيب متطوع حتى قالت وهي تقترب من سائق الحافلة العجوز: "عم صن، نحن جاهزان".

كان الرجل العجوز يقف مبتسمًا بهدوء من خلف الكمامة ما جعل آدم يتذكر العم تشن بابتسامته الهادئة تلك، وقال: "مرحبًا سيدي". هز الرجل رأسه بالترحيب ثم سار أمامهما وقال بعد أن صعدا معه الحافلة: "عليكما الاختباء هنا" صمت قليلًا ثم أشار إلى الكرسي الخلفي القابع في نهاية الحافلة وأكمل: "اجلسا في الزوايا على أرض الحافلة حتى نخرج من ساحة المستشفى على الأقل".

مشت نادين إلى جانب آدم في ممر الحافلة الطويل واختبآ بظهر الكراسي ثم قالت نادين من بعيد "ما رأيك عم صن، هكذا جيد؟" لم ينطق العم صن بكلمة وخرج من الباص لوهلة، فقال آدم وهو ينظر إليها من الزاوية المقابلة: "هل أنت متأكدة مما تفعلين؟".

"بالطبع".

"إنه مجرد سائق حافلة، ألم يخطر ببالك أنه سيقوم بتبليغ الشرطة؟".

هزت نادين رأسها وقالت بنبرة يسودها الشك "لا... بالطبع لا، عم صن هو سائق الحافلة الذي يقلني من عملي كل يوم في بكين وقد أخبرته أنّ عليّ الرجوع إلى بكين أنا وصديقي لأن هناك أمرًا طارئًا وخطيرًا حصل لعائلتي وأنا في عملي التطوعي هنا، وبسبب الحظر الكلي لا أستطيع العودة. لذا طلبت منه أن يساعدني في الخروج من ووهان".

"وما الأمر الطارئ ذاك؟".

قالت نادين وهي تلملم شعرها المبعثر: "توفي والدي".

نظر آدم إليها مندهشًا: "ماذا؟".

"والدي متوفٍّ منذ عشر سنوات فلا تقلق".

مجنونة!

نهض آدم باتجاهها ثم جرها من يدها لتنهض وقال: "هيا بنا".

"إلى أين؟".

"علينا أن نغادر هذه الحافلة الآن".

"وبكين!".

"تعالي الآن".

خرجا من الباب الخلفي في الباص وما كادا أن يفعلا حتى لمحا السائق العجوز صن مع مجموعة من رجال الشرطة يقتربون من الباص بينما العم صن يسير ببطء. التف آدم ونادين حول الباص من الجهة الأخرى وأخذا يراقبان ما يحدث عن بعد، كان العم صن يصعد الباص ومعه ثلاثة من الرجال العسكريين.

نظر آدم نحو نادين نظرة لا تحتاج إلى تفسير فقالت مندهشة: "غير ممكن، لا يمكن للعم صن أن يفعل ذلك". أشار آدم لنادين أن تصمت ولا

تحدث أي ضجة، وضعت نادين كفها فوق فمها وهي تقف بجانب آدم غير مصدقة كاتمة الصوت والنفس معًا. غاب العم صن والعسكريون للحظات في داخل الحافلة. كانت خطوات العساكر الثقيلة تعلو فوق أرضية الحافلة التي التصق بها جسداهما من الخارج بكل هدوء محاولين عدم إحداث أي حركة قد تثير الشك. حركة العسكريين الثلاثة توحي بأنهم يفتشون الحافلة بشكل دقيق. شعرت نادين باقتراب أحدهم من النافذة التي تطل على مكان تواجدهما: "هناك من يقترب من هنا، هل تعتقد سيروننا من النافذة؟".

همس آدم قائلًا: "سيشعرون بوجودنا من كثرة تساؤلاتك" وأمسك آدم بيدها "ألسنا طبيبين؟".

"نعم، ولكن ماذا نفعل بلاب توب وحقيبة ظهر".

نظر آدم إلى الحقيبتين ورماهما تحت الحافلة. وما أن نهض حتى كانت يد أحد العسكريين تسقط فوق كتفه قائلًا: "ماذا تفعلان هنا؟".

كان وجه نادين قد أصبح شاحبًا حتى شعرت أن الدماء قد سكنت في كل جسدها عن الحراك عندما أجاب آدم بنبرة هادئة وواثقة "نحن طبيبان متطوعان هنا يا سيدي".

"ولِمَ أنتما خارج المستشفى؟ أليس من المفروض أن تكونا داخله؟".

"نعم، ولكن مناوبتنا لم تبدأ بعد. وعلمنا بأن هناك وفدًا جديدًا من الأطباء فأردنا استقبالهم لإطلاعهم على الإجراءات المتبعة، فكما تعلم ما هو مطلوب منا الآن في التعامل مع مرض الكورونا لا يشبه ما مررنا به سابقًا". أجاب آدم بنبرة المتمرس.

"ومنذ متى هناك بروتوكول استقبال للأطباء في موقف الحافلات يا دكتور...". صمت العسكري قليلًا ثم قرأ اسم آدم على الكرت المعلق

فوق جيب الرداء الطبي الأبيض الذي يرتديه، "يا دكتور آدم".

"ليس بروتوكولًا إنه..." قاطع العسكري آدم وهو يتجه نحو نادين التي كانت تحدق إلى العم صن غير مدركة ماذا تفعل. "وأنت ماذا تفعلين هنا؟".

قالت نادين متلعثمة: "لنفس السبب يا سيدي".

"ولماذا يبدو عليك الارتباك؟".

فاقترب آدم منه وهو يقول: "ألا ترى يا سيدي ما نحن فيه؟ ألا تعتقد أن ما نمر به من ظرف سبب كافٍ لنشعر بالارتباك؟". وضع آدم يده فوق كتفي نادين وقال مردفًا: "ثم إن صديقتي قد تعرضت لموقف صعب أمس في المستشفى بعد أن فارق أحد مرضاها الحياة".

قال العسكري وهو يرمقهما بنظرة غير مقتنعة: "حسنًا، إن وردكما أي معلومة بشأن المريض الهارب عليكما التبليغ عن الأمر".

قال آدم بنبرة لم يميز فيها العسكري شعور الاستغراب الذي اعترى صوت آدم: "نعم، بكل تأكيد".

غادر العساكر المكان بينما وقف كل من نادين وآدم والعم صن ينتظرون ابتعادهم وما أن اختفوا بين الناس حتى أشار لهم صن بالصعود إلى الحافلة. وقف آدم المتوجس للحظات فقالت له نادين: "ما بك؟ هيا بنا علينا المغادرة الآن". صمت آدم غير قادر على نقل ما يجول بخاطره من حيرة وقلق. صعد الحافلة بعد نادين، جلسا على الأرضية الخلفية في نهاية الباص ثم قال العم صن من بعيد وهو ينظر عبر المرآة الأمامية: "جيد، عندما نزلت من الحافلة تأكدت أن موقعكما كان ممتازًا للاختباء، ابقيا هكذا حتى نصل، إن تعبتما أخبراني".

قاد العم صن الحافلة مغادرًا ساحة المستشفى المركزي في ووهان. مر بعض الوقت ونادين وآدم لا يزالان مختبئين في الخلف. أوقفت إحدى دوريات الشرطة العم صن وهو متجه إلى بكين. كان ثبات صوت العم صن كفيلًا بأن يجعل الحافلة تمر بسلام دون تفتيش جديد وما أن ابتعد لمسافة لا بأس بها حتى قال: "تستطيعان نيل بعض الراحة، لقد أصبحنا على الطريق المؤدي إلى بكين، لن يكون هناك دوريات أخرى لساعتين أو أكثر".

نهض آدم من مكانه وجلس على أحد الكراسي وسأل العم صن: "ماذا حدث في موقف الحافلات في مستشفى ووهان؟ لماذا امتلأ بالعساكر فجأة؟".

"إنها المرة الأولى التي يطلب فيها الشرطة تفتيش الحافلات قبل المغادرة، كان هناك مريض قد هرب قبل أن يصل إلى قسم العزل".

هزّ آدم رأسه وقال ممازحًا: "ظننت أنك بلغت عنا".

قال العم صن بنبرة غير راضية عما يتهمه به آدم: "بالطبع لا، كيف يمكن لك أن تعتقد ذلك؟".

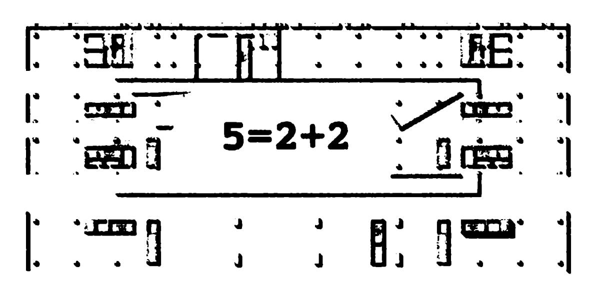
"بديهي أن يخطر ببالي هذا الأمر؟".

قال العم صن وهو يوجه كلامه لنادين: "الدكتورة نادين دكتورة طيبة وقد ساعدتني وساعدت حفيدي كثيرًا لذا خدمة توصيلها إلى بكين لحضور جنازة والدها أقل ما يمكنني فعله لها".

قالت نادين بنبرة امتنان: "أشكرك يا عم صن لقد قدمت لي معروفًا كبيرًا ولا أدري كيف أرده لك".

اقترب آدم منه ووضع كفه فوق كتفه قائلًا: "إنني أمازحك فقط، أنا أقدر المهمة الصعبة التي تؤديها من أجلنا. شكرًا لك على كل شيء".

نزل آدم ونادين من الحافلة وهما يودعان العم صن بعد رحلة طويلة ومنهكة تجاوزت العشر ساعات. دخلا البرج الذي تسكنه نادين ثم وقفا أمام صندوق البريد الذي تركه وانغ لي. وضع آدم المفتاح في قفل الصندوق ببطء. أداره ليسمع صوت طقة القفل تفتح وما أن مد يده إلى الصندوق حتى وجد هاتفًا خلويًا جديدًا ومخططًا معماريًّا أفقيًّا لمبنى مطبوع على ورقة وقد كتب في وسطه (5=2+2).



الفصل الحادي والأربعون

روما - إيطاليا

كان روبرتو يسير بخطوات مستعجلة في الممر الضيق الطويل يتجه نحو مكتبه، وما أن فتح بابه حتى دخل العسكري وهو يلقي عليه التحية قائلًا: "سيدي لقد وضعت لك ملف القضية على الطاولة، هل ترغب باستقبال السيدة إستي".

قال روبرتو وهو يقلب الأوراق التي أمامه "نعم.. أدخلها فورًا".

دخلت المكتب سيدة في منتصف العقد الخامس من عمرها، ترتدي ثيابًا سوداء فاخرة ويبدو عليها الثراء. جلست أمام روبرتو قائلة: "أنا لورا إستي، زوجة أندريه إستي يا سيدي".

كان روبرتو يقلب في الأوراق وقال وهو يحاول إشاحة نظره عن السيدة الجالسة أمامه قائلًا: "نعم سيدتي، لقد أخبرني الجنرال بخصوصك وعرفت أن السيد أندريه مفقود منذ أسبوع تقريبًا، ولكن هل تعتقدين أن هناك شبهة تدور حول أحدهم ترغبين بالتحدث عنها؟".

خلعت السيدة الجالسة أمام روبرتو نظارتها السوداء ووضعتها على المكتب فهي تعلم بأنها تجلس أمام واحد من أكبر رجال مصلحة المعلومات والأمن العسكري في إيطاليا (المخابرات الإيطالية سابقًا). لم يكن روبرتو مجرد رجل عادي في الدولة! أما الكاريزما الخاصة به التي كانت تبسط وجودها في مكتبه فهي كفيلة بأن تبث ذلك الشعور في قلب

لورا وهي تنظر إليه قائلة كمن يعترف بذنبه عند كاهن الكنيسة: "نعم سيدي اشتبه بأحدهم، أندريه لم يكن زوجًا مخلصًا بالكامل لي وأنا بدوري لم أكن مخلصة له، ولكن في الفترة الأخيرة توالت بيننا المشاكل وكانت شجاراتنا لا تتوقف. فهو عرف بأمر علاقتي بصديقه خوسيه وأنا عرفت أنه يحاول الإيقاع بفتاة تدعى مارتينا تعمل في شركة الطيران التي يعمل فيها".

حدق روبرتو إلى لورا بوجه خلت منه التعابير حينما نطقت باسم مارتينا. كان وجهه أقرب لتمثال من تماثيل روما القديمة المنقوشة فوق إحدى البوابات الرومانية الأثرية التي تملأ زقاقها، فالدم الذي كان يسري في عروقه تجمّد دون أن تدرك السيدة التي أمامه ذلك فأكملت قائلة: "لذا أعتقد أن زوجي قد قُتل وليس مفقودًا!".

"ولِمَ تعتقدين ذلك يا سيدتي؟".

"لأن أندريه تلقى تهديدًا بالقتل في إحدى الرسائل الموجودة على هاتفه من رقم مجهول".

أخرجت لورا الهاتف الخاص بزوجها ووضعته أمامه: "هذا هاتف زوجي الخاص وهذه هي الرسالة".

وضعت الهاتف أمامه وأشارت إلى الشاشة. ألقى روبرتو نظرة سريعة على الهاتف دون أن يدرك إن كان هناك رسالة أم لا؟ فكل ما كان يجول في خاطره الآن أن هذه السيدة التي أمامه هي زوجة أندريه الذي قتلته مارتينا تلك الليلة وتمتلك دليلًا جديدًا لم يتم التخلص منه!

* * *

كانت مارتينا تجلس على حافة الشرفة المطلة على البانثيون حينما دخل روبرتو الشقة بسرعة وقال بنبرة لاهثة: "هل أرسلت رسالة تهديد لأندريه قبل قتله؟".

نظرت مارتينا إلى روبرتو وهي لا تدرك ما سبب سؤاله: "لا أدري، ربما.. ولكن لماذا تسأل؟".

أمسك روبرتو ذراعها بشدة وقال: "عليكِ أن تتذكري".

صمتت مارتينا قليلًا وقالت: "أعتقد ذلك ولكنني غير متأكدة".

مرت لحظات صمت بينهما حينما قال لها روبرتو: "زوجة أندريه كانت في مكتبي اليوم بأمر من الجنرال لحل قضية اختفاء زوجها!".

قالت بهدوء وهي تتجه بنظرها نحو ساحة البانثيون: "لكنها لا تمتلك أي دليل يا عزيزي، ستنطوي قضيته بحكم ضد مجهول في النهاية فلما القلق؟".

أخرج روبرتو الهاتف من جيبه وقال: "بسبب هذا".

أمسكت مارتينا الهاتف وقرأت الرسالة: *إن اقتربت فاعلم أن موعد موتك قد حان.*

هزت مارتينا رأسها وقالت: "لا أذكر إن كنت قد أرسلتها ولكن وإن كان، لماذا أنت قلق؟ ألم تتخلص من الجثة؟".

صرخ روبرتو فجأة بها وقال: "مارتينا، ألا تدركين ما نحن فيه؟".

"ولِمَ كل ذلك الخوف يا حبيبي؟ أليس من الممكن أن تكون نهايتي يومًا ما سجنًا أدفع فيه ثمن كل تلك الأرواح التي سلبتها الحياة يومًا".

أمسكها روبرتو من كتفيها قائلًا: "لن تُسجني أبدًا ما دمت حيًّا".

اقتربت منه بدفء وهي تمرر كفها البارد فوق وجهه المشتعل "روبرتو... كم هي المرات التي حاولت انتشالي فيها مما يحصل وأنا لم أفِ لك يومًا بوعودي؟ يكفي يا حبيبي...".

كان روبرتو ينظر إليها بألم فوحده فقط يعلم بأن مارتينا تحمل قلبًا لا يعرف سوى الحب، ولولا ذلك الشعور الشائك المسمى بثنائي القطب الذي اعتلى رأسها فجأة لما أصبحت ما هي عليه الآن، وما كان سيبذل كل ذلك لإنقاذها من عثراتها المتواصلة دومًا. لذا كان عليه أن يحميها حتى من نفسها وهي تكمل كلامها بنبرتها الحانية قائلة: "دع الأمور تسير في مجراها حيث تمضي دون أن تجبرها على الوقوف في مرفئك يا روبرتو".

"ولكن..."، قاطعه صوت رنين الهاتف حينما أخرجه من جيبه ليجيب قائلًا: "نعم سيد سابيني..".

عبر صوت سابيني أذن مارتينا التي التصقت بالهاتف المعلق بين يدي روبرتو وهو يقول: "أنا موافق على عرضك يا سيد جوفاني".

أغلق سابيني الهاتف دون أن يضيف كلمة لتقول مارتينا: "بعد هذه المكالمة أعتقد أنني أستطيع القول ليذهب أندريه وزوجته والجنرال إلى الجحيم يا عزيزي".

الفصل الثاني والأربعون

سنغافورة – سنغافورة

حزم لؤي حقيبته وغادر الفندق فهذه هي المرة الثالثة التي يغير فيها مكان إقامته بعد أن شعر بأن هناك من يراقبه. ديفيد لم يصل بعد إلى سنغافورة، فقد أخبره في مكالمته الأخيرة أنه سيتأخر في الوصول إليها حتى يبعد كل الشبهات عنه حينما يلتقيه. وصل لؤي إلى فندق الريتز كارلتون. دخل البهو متجهًا نحو موظف الاستقبال الذي رحب به قائلًا: "أهلًا بك سيدي".

"أحتاج غرفة لشخص واحد".

كان الموظف ينظر في الشاشة التي أمامه مبتسمًا وقال: "نعم في الحال"، صمت قليلًا ثم أكمل: "في الواقع الغرف المنفردة محجوزة بالكامل ولكن لدي جناح مطل على المارينا إن رغبت بذلك".

كان لؤي يتكلم بهدوء رغم تلفته المستمر بين الحين والآخر حوله: "لا بأس بذلك!".

"الجناح سيكلف مع الإقامة ووجبة الإفطار 850 دولارًا في الليلة".

قال لؤي وهو يخرج جواز سفر من جيبه بنبرة مستعجلة: "لا مشكلة في ذلك، تفضل هذا جواز السفر".

"شكرًا لك.."، فتح الجواز وأكمل متسائلًا: "الحجز سيكون باسمك سيد كمال؟".

"نعم..."، أخرج لؤي النقود من جيبه ودفع أربعة آلاف تحت الحساب وقال: "ضع هذا المبلغ تحت الحساب فقد أحتاج للتمديد لاحقًا".

"بكل تأكيد سيدي، لحظة من فضلك"، توجه الموظف إلى آلة التصوير. قام بتصوير صورة عن جواز السفر وكبسها مع مجموعة من الأوراق التي أخرجتها الآلة الطابعة وقال: "وقّع هنا يا سيدي".

وقع لؤي الأوراق بخط مختلف عن خطه الاعتيادي. تناول الموظف الأوراق واستلم منه لؤي جواز سفره المزور وغادر باتجاه المصاعد. عاد إلى موظف الاستقبال ثانية وقال: "هل يمكن لي أن اشتري هاتفًا جديدًا من هنا؟ لقد فقدت هاتفي أثناء رحلتي".

"بالطبع في نهاية الممر هناك محل خاص بذلك وإن رغبت ستجد محلات أخرى في سوق المارينا الرئيسي في الخارج".

"شكرًا لك".

صعد لؤي المصعد، وضع حقائبه، نزل مسرعًا بعد أن تأكد من أن هاتفه لا يزال مغلقًا. توجه نحو المحل الذي أخبره عنه موظف الفندق وقام بشراء هاتف جديد وشريحة خط جديدة وما أن فتح الهاتف حتى رن منه ليجيب عليه الطرف الثاني من الاتصال قائلًا: "لؤي، جيد لقد غيرت هاتفك".

"لن أسألك كيف عرفت ولكن أخبرني هل وصلت إلى سنغافورة؟".

أجاب ديفيد: "لا، لم أصل بعد".

"أما زلت مراقبًا؟".

"أعتقد ذلك... لذا سيتأخر وصولي إلى سنغافورة بضعة أيام".

"وأين أنت الآن إذن؟".

"في فنلندا".

"ماذا تفعل هناك؟".

قال ديفيد بعد لحظة صمت طويلة: "هناك الكثير من الأمور التي من الأفضل لك ألا تعرفها يا صديقي إلا في حينها".

شعر بلذعة في صوت صديقه ديفيد لم يعرف سببها ولكنها لمست نفسه الممزقة في أحياء سنغافورة وترحاله الذي بات شبه دائم فيها عندها قال: "حاول أن تصلني حيًّا يا ديفيد فأنا سأكون بانتظارك".

أغلق لؤي الهاتف وهو يقف في قلب الجناح الواسع الذي حجزه متأملًا أن يلتقي بصديقه ديفيد حيًا علّه يخبره بما كانا يعملان عليه هو ووانغ لي طيلة السنين الماضية تلك، وعلى ما يبدو حان وقت سحب الغطاء من فوقه!

الفصل الثالث والأربعون

بكين - الصين

دخلت نادين شقتها التي تركتها لفترة طويلة ورغم ذلك كـان المكـان مرتبًا كفاية لينعما فيه ببعض الراحـة والهـدوء بعـد رحلـة ووهـان الطويلـة. خلع آدم الحقيبة عن ظهره وقال: "أين أضعها؟".

"حيث تريد، تصرف بحريتك".

سـار آدم باتجـاه طاولـة طعـام صـغيرة تحتـوي علـى كرسيين في الزاويـة المطلة على الـتراس الصـغير الـذي يكشـف أمامهـا شـوارع بكـين الحيـة، ألقـى حقيبة ظهره على أحد الكراسي ثم فتح اللاب توب ووضعه على الطاولـة. بـدأ يبحث عن قابس كهرباء وقال: "أين يمكن لي أن أضع شاحن اللاب توب؟".

أشـارت نـادين وهـي تجلـس علـى الأريكـة القماشـية الزرقـاء البـاردة وقالت: "هناك في الحائط خلفك".

أعطاها الهاتف الذي وجداه في صندوق البريد قائلًا: "علينا أن نشحن بطارية هذا الهاتف لنرى ماذا يحمل في داخله".

سـارت نـادين في غرفـة معيشـتها المفتوحـة علـى المطـبخ لتشـحن الهاتف. كان تصميم شقتها قريب جدًّا من تصميم شقة آدم فعلى ما يبدو أن كل من عاش خـارج الصـين وترعـرع في الغـرب يهـوى المطـابخ المفتوحـة على غرفة الجلوس. الشقة أصغر من شقة آدم ولكن حيويتهـا مسـتمدة مـن فتاة. يبدو أنها رغم حركتها الدائمة بحكم عملها لا زالت تحمل في حناياها

بعض الدفء القديم، فعلى الحائط لوحات مختلفة، وفوق الرفوف مجموعة من الكتب الطبية والعلمية والروايات وكتب الأدب واللغات المتعددة، أما في الزاوية المقابلة للأريكة فكان هناك جهاز مشغل أقراص الفينيل الحديث الذي يمنح المكان شعورًا بالعتق رغم حداثته! وفي أرجاء المنزل توزعت الشجيرات المنزلية الصغيرة المنسقة على طريقة البونساي الصينية الشهيرة. بدأت الشجيرات تعاني من ذبول اعتراها بسبب غياب صاحبتها عنها لمدة كانت ستؤدي إلى موتها إن لم تعد وترويها.

كل تلك اللمسات أضفت روحًا للمكان لم يعتد عليها آدم سابقًا ما جعله يقف شارد الذهن للحظات متأملًا في ما حوله حينما قاطعته نادين قائلة: "أرجو أن تكون قد أحضرت الشاحن معكمن ووهان".

"ألا تمتلكين شاحنًا في المنزل؟".

"بالطبع لا".

"تمزحين، أليس كذلك؟".

"لا".

تركها آدم وتوجه نحو اللاب توب، شغّله وقال وهو يمد يده باتجاهها: "هاته أيتها الصهباء سأشحنه على جهاز اللاب توب الآن وغدًا صباحًا نشتري شاحنًا جديدًا". كان آدم يحاول شبك الهاتف باللاب توب وهو يقول: "هل هناك من لا يملك أكثر من شاحن للهاتف في منزله؟!".

أجابت نادين وهي تفرد ورق المخطط المعماري الذي وجدوه في الصندوق: "أنا".

اقترب آدم منها وقال وهو ينظر إلى الورق: "هل تعتقدين أن هذا المخطط لمبنى هنا في بكين؟ أم لمبنى آخر في ووهان؟".

ارتعدت نادين من مجرد الفكرة وقالت: "أرجو ألا يكون في ووهان، فالعودة إلى هناك شبه مستحيلة بالنسبة لي بعد هروبي من المستشفى المركزي".

"لا تقلقي لكل حادث حديث حينها".

سارت نادين باتجاه المطبخ وقامت بإخراج قطعة قماش خاصة بالتنظيف وبدأت بمسح المكان من الغبار العالق فيه، كان المنزل مرتبًا وكأن نادين لم تغب عنه فعرف آدم لما نادين كانت تتذمر من شقته رغم ترتيبه الدائم لها، فترتيبه بالنسبة إلى نادين مجرد فوضى عارمة عصفت بالمكان!

وضع آدم المخطط أمامه على الطاولة حيث اللاب توب والهاتف وقال وهو يشير لنادين على الورق: "ما المقصود بـ 2+2=5؟ في البرمجة هناك أوامر متعددة ومختلفة لكن معادلة رياضية خاطئة! لا يوجد شيء كهذا!".

أخرج آدم علبة السجائر القابعة في جيبه وقال وهو يتوجه بنظره نحو نادين: "هل تتذكرين إن أخبرك بها وانغ لي أو تناقش معك بخصوصها؟".

"هل ستدخن في منزلي؟".

"نعم".

"ولكن...".

قاطعها آدم: "أنت من قال أن أتصرف بحريتي!".

صمتت نادين دون أن تعلق ثم أردفت قائلة: "2+2=5 معادلة طرحها الكاتب العالمي جورج أورويل في رواية 1984....؟ ولكن لماذا وضعت في قلب المخطط المعماري لهذا المبنى؟".

"أعتقد أن الجواب في المبنى، علينا أن نعرف هذا المخطط لأي مبنى".

توجهت نادين إلى رف رصّت فوقه بعض الكتب وقالت: "وربما لها علاقة بالرواية... انتظر، لدي نسخة منها هنا".

أحقًا ما تفعله تلك الصهباء؟

عادت نادين وهي تحمل رواية 1984 بنسخة قديمة، قلبت في صفحاتها وقالت: "نعم... ها هي".

اقتربت من آدم وقالت وهي تشير للصفحة المفتوحة ثم بدأت تقرأ الفقرة بصوت عالٍ وآدم يستمع إليها صامتًا:

(قال أوبراين هل تذكر يا ونستون حينما كتبت في مذكراتك تقول إن الحرية هي أن تكون حرًا في أن تقول إن 2 + 2 = 4.

قال ونستون: نعم.

رفع أوبراين يده اليسرى جاعلًا ظهرها إلى ونستون ومخفيًا الإبهام خلف الأصابع الأربع المرفوعة وسأل:

كم أصبعًا ترى يا ونستون؟

أربعًا

وإذا قال لك الحزب أنها ليست أربعة بل خمسة، فكم يكون عددها حينئذ؟

أربعًا..)

قلبت نادين الصفحات لتكمل:

(فقال أوبراين: أحيانًا يساويان أربعة يا ونستون، وأحيانًا أخرى يساويان خمسة، وقد يساويان ثلاثة أيضًا، وفي أحيان أخرى يساويان أربعة وخمسة وثلاثة في آن معًا).

"جيد فقرة رائعة عن النظام الديكتاتوري ولكن ما علاقة الرواية بالمخطط؟ وهل هناك مبنى ذو أهمية في الرواية؟" تساءل آدم.

قالت نادين وهي تضع الكتاب جانبًا: "بالطبع، فهذه الرواية من المصادر المهمة لنوع من العمارة يُدعى بالصرحية على ما أعتقد... الرواية تحتوي على أربعة مبانٍ ضخمة أشبه بالأهرامات، لذا كانت ولا زالت تحمل طابعًا استند إليه مجموعة من المعماريين الحديثين في تصميماتهم".

قال آدم وهو يفك جهاز الهاتف الذي أضاءت شاشته: "إذًا، لنعد إلى هذا الأمر لاحقًا... أما الآن فعلينا أن نرى ماذا في هذا الهاتف، لربما فيه جواب مختصر لكل تلك التكهنات".

ولو أنني أشك في ذلك، فعلى ما يبدو أن وانغ لي لم يكن يهوى الأجوبة السريعة السهلة!

اقتربت نادين منه وهو يشعل شاشة الهاتف فوجدت أمامها شاشة خالية من كل شيء عدا تطبيق خاص لقراءة الباركود ضغط عليه آدم فانتقلت به الشاشة الرئيسية للهاتف إلى كاميرا كُتب تحتها *(امسح الباركود Scan Barcode)* صمتت نادين لأنها باتت تعلم بأن المعادلة ليست إلا سطرًا على ورق مقابل ما ينتظرهما من طلاسم عليهما أن يجدا معانيها بين طيات خرائط المبنى والهاتف ذاك!

الفصل الرابع والأربعون

بكين - الصين

تسللت الشمس إلى عيني نادين من خلف الستارة البيضاء الشفافة التي غطت نافذة غرفتها، ففتحت عينيها مرهقة وهي تحاول استكمال نومها العميق الذي افتقدته كثيرًا في الآونة الأخيرة في ووهان، شعرت للحظات بأنها تحاول استرجاع ذكريات الأمس وكأنها نامت لدهر لا لساعات.

يا إلهي كم كنت أحتاج لهذا!

عادت تغمض عينيها محاولة النوم مجددًا فكم كانت فوضى الأيام الماضية لا تزال تلقي بظلالها على جسدها المنهك، ولكن صوت الحركة في المطبخ جعلها تصحو متثاقلة وتتوجه إلى هناك. كان آدم في نشاط غير معهود، يحضر مائدة صغيرة من الإفطار لهما. نظرت إليه نادين بشعرها المشعث وقالت وهي تتثاءب: "ماذا تفعل؟ كم الساعة الآن؟".

"إنها التاسعة صباحًا".

قالت نادين بنبرة متعبة وهي تلقي بنفسها فوق الأريكة منهكة "أحقًا ما تفعل؟ من أين لك هذا النشاط كله بعد يوم طويل كالأمس؟".

"لم أنمْ سوى ساعتين، أعتقد أنهما كافيتان..". صمت قليلًا ثم حمل إبريق القهوة وقال وهو يضعه على الطاولة: "لقد حضرت لكِ القهوة".

"أنا سأعود للنوم الآن.. ولكن شكرًا لك".

تناول آدم شريحة توست محمصة ووضع عليها بعض الزبدة والمربى بينما نهضت نادين لتتوجه نحو غرفتها فقال وهو يتناول فطوره: "أعتقد أن الباركود الذي تركه لنا وانغ لي له علاقة بمعادلة أورويل وليس بمخطط المبنى".

توقفت نادين ثم استدارت نحوه وقالت: "يبدو أنني لن أخلد إلى النوم".

جلست إلى الطاولة وسكبت كوب قهوة ساخنة وقالت: "هل تعتقد أن الباركود الذي يريدنا أن نقرأه هو باركود رواية أورويل 1984؟".

"ربما...".

نهضت نادين من مكانها وأحضرت الرواية بينما وضع آدم شريحة التوست التي كان يتناولها أمامه وأخرج جهاز الهاتف من جيبه ليفتح تطبيق الباركود، وضع شاشة الجهاز على باركود الرواية ولكن أعطى التطبيق كلمة (خطأ Error).

"هل من الممكن أن يكون باركود خاصًا بنسخة جديدة من الرواية؟ فهذه النسخة تعتبر قديمة".

"هل لديك نسخ أخرى؟".

"لا، ولكن بالتأكيد سنجدها في الإنترنت".

تناول آدم اللاب توب. فتح شاشته وقال وهو ينتظر الجهاز ليشتغل "أكثر ما يحيرني هو علاقة المخطط المعماري بهذا كله؟".

أخرجت نادين مخطط المبنى المطبوع وقالت: "حسب ما قرأته عن عمارة أورويل، أعتقد أن المخطط يشبهها إلى حد ما، فهو مستطيل بسيط الشكل ومعظم مخططات مباني أورويل في الرواية هي مبانٍ هرمية قاعدتها مستطيلة".

قال آدم شاردًا: "لا أعتقد هذا".

وجد آدم نسخة حديثة من الرواية. بحث عن غلافها الخلفي ليجد في إحدى الصور الباركود الخاص بها. فتح التطبيق وضعه على الباركود ولكنه أعطى قراءة (خطأ Error).

قال آدم وهو ينظر إلى نادين: "لماذا لا نبحث بشأن المخطط بدلًا من الباركود؟".

"هل تعتقد أن هناك مباني حديثة لها علاقة بأورويل؟".

"ألم تقولي بأن عمارته في الرواية كانت مصدر إلهام لمعماريين".

"لست معمارية لأكون متأكدة من المعلومة، ولكن هذا ما قرأته في أحد المقالات".

قالت نادين وهي تضع فنجان قهوتها وتجلس قبالة اللاب توب: "أعتقد أنه علينا البحث في مباني بكين أولًا ثم ننقل بحثنا إلى مناطق أخرى، فوجود الصندوق في بكين تحديدًا لا بد أنه لهدف".

كانت نادين تبحث عن المباني في بكين وعلاقتها بأورويل في الإنترنت بينما كان آدم يدخن غارقا في التفكير، يجول بنظراته في بكين المستيقظة بحيوية بعيدًا عن الكورونا ومخاوفها التي كانت تعربد في ووهان. فقد كان يشعر بزحف الحدث هناك كأفعى رقطاء خشنة تمزق روحه بصمت. فكل التفاصيل التي مر بها لا تزال عالقة في ذهنه رغم الفوضى.

"آدم... ألا تسمعني"، قاطع أفكاره صوت نادين.

"ما بك؟".

كان صوت نادين غائبًا كمن يتحدث من بعيد: "تعال وانظر إلى هذا".

نظر آدم إلى شاشة اللاب توب التي كانت نادين قد فتحت صفحة جوجل فيها على صورة لمبنى يدعي مبنى الاتصالات الرقمية في بكين Digital Beijing Building، وهو مبنى صرحي ضخم مكون من كتلة خرسانية ثقيلة، تشعر بثقلها حتى من خلال الصورة بسبب لونها الرمادي القاتم، أما واجهته فكانت عبارة عن مجموعة من الخطوط تشبه تمامًا تلك الخطوط التي تتخلل الدارات الكهربائية في الأجهزة الإلكترونية.

فتحت نادين صورة أخرى ليقول آدم بنبرة مصدومة: "إنه المخطط الذي تركه وانغ لي!".

"نعم هذا هو المبنى المطلوب، مبنى الاتصالات الرقمية في بكين... المبنى المتأثر بعمارة أورويل".

حضارة العصر البشري كلها اختصرها وانغ لي لهما بين المعبد الكركي الأصفر القديم ومبنى الاتصالات الرقمية هذا. فبين هذا وذاك تظهر رحلة العقل البشري المتنقلة بين الماضي وعبقه والحاضر وتكنولوجيته.

الفصل الخامس والأربعون

بكين - الصين

وصل آدم ونادين إلى مبنى الاتصالات الرقمية في حي تشاويانغ في بكين. جعلهما المبنى الخرساني القاتم الساقط فوق الأرض بثقله يشعران بضآلة حجمهما الصغير، وأما جدرانه المصمتة فخالية تمامًا إلا من خطوط الدارة الكهربائية الرفيعة التي كانت تشق طريقها في قلب الحجر الخرساني الصلب. تجردت الجدران من كل شيء عدا ذلك الشعور الذي يتملكك حين تراها وكأنها تحملك عبر رحلة مستقبلية في قلب جهاز إلكتروني ضخم، حتى أن زوار المبنى لوهلة تشعر بأنهم ليسوا بشرًا فحركتهم البطيئة المنذهلة بالمبنى جعلت خطاهم ثقيلة كآلة تسير بلا قائد!

قال آدم: "أعتقد أن علينا الدخول إلى المبنى والبحث عن أي منتج يحمل باركود في داخله".

"نعم أنت محق، ولكن كيف سندخل؟".

"علينا أن نسأل الموظف الموجود هناك عند المدخل".

استدار آدم ونادين حول المبنى الذي كان من الجانبين عبارة عن مجموعة من الكتل الخرسانية الشاهقة والتي تبدو للوهلة الأولى أنها مفصولة. ولكن إن نظرت إلى الأعلى ستجد ممرات مشاة تجمع كل الكتل ببعضها البعض رغم انفصالها. سارت نادين حول المبنى بانذهال تام حينما اقترب منها أحدهم قائلًا: "هل من خدمة أقدمها لك يا سيدتي؟".

ابتسمت نادين وقالت: "هل أنت موظف هنا؟".

"نعم، أنا دليل سياحي للمبنى".

"إذًا يمكننا دخول المبنى، أليس كذلك؟".

"بالطبع يا سيدتي، فهذا المبنى أُنشئ في عام 2008 ليكون مخزنًا لكل المعلومات الرقمية الخاصة بالأولمبيات وأيضًا ليكون مقرًا للألعاب الرقمية آنذاك، ومنذ ذلك الحين وبعد انتهاء الأولمبيات تم تحويله إلى متحف ومساحة عرض للشركات الرقمية".

"وهل هناك علاقة لهذا المبنى بأورويل؟"، قال آدم مقاطعًا.

قال الموظف الذي أخذ يسير معهما حول المبنى من الخارج: "نعم، فالصحفي توم ديكهوف في التايمز نقد البناء بعد زيارته له وهو تحت الإنشاء قائلًا أنه يشبه مبنى وزارة الحقيقة في رواية الكاتب جورج أورويل، وأن المبنى من الداخل يعد أقل سحقًا للروح من الخارج". صمت الموظف قليلًا ثم أكمل قائلًا: "في الواقع قرأت الرواية بعد ما سمعت نقده وأعتقد أن هناك تشابهًا كبيرًا بينهما".

توقف الموظف عن السير وقال وهو يتأمل البناء كمن يلقي محاضرة لمادة متيم بها "لكن المبنى ليس وزارة الحقيقة كما قيل، إنه مزيج ما بين الحضارة الصينية القديمة بضخامتها والعصر التكنولوجي الصيني الحديث. فالمصمم بي زو Pei Zhu قال إنه استمد أفكاره من التطور التكنولوجي المستقبلي الذي ستتمتع به الصين لاحقًا، لذا كانت فكرته مستوحاة من الدارة الكهربائية وخطوطها في الواجهات الشمالية والجنوبية...". صمت الموظف ثم سار أمامهما وأشار لهما بأن يتبعاه وأكمل قائلًا: "إنها واضحة تمامًا هنا".

قالت نادين: "بالطبع".

ثم استدار حول المبنى وقال: "بينما فكرة الباركود الرقمي تم وضعها على الواجهات الشرقية والغربية للمبنى بحيث يمنحك تكامل الخطوط بين الواجهات الأربع خطوط الباركود الرقمي الشهير للمنتجات".

كان آدم ونادين يقفان باندهاش مطبق أمام المبنى الثقيل حينما نطق الدليل السياحي بجملته الأخيرة ولزم الصمت، بينما بدأت أصوات السيارات التي تسير في الشوارع تخبو في أذني آدم تدريجيًا، ليعلو محلّها صوت الدليل السياحي كشريط كاسيت قديم يعيد نفسه في رأسه الثقيل وهو يردد (*... تكامل الخطوط بين الواجهات الأربع يمنحك خطوط الباركود الرقمي الشهير للمنتجات*). أما نادين فوقفت واجمة كمن تسمرت قدماها أرضًا لتعجز عن الحراك تمامًا. دار آدم حول المبنى فجأة دون أن ينبس ببنت شفة، بينما وقف الدليل السياحي مبتسمًا يراقبه وهو يلتف حول الواجهات الأربع ثم بادره قائلًا: "باتت خطوط الباركود واضحة الآن بعد أن عرفت فكرة المبنى، أليس كذلك يا سيدي؟".

وقف آدم للحظات أمام الواجهة الأمامية ولم يبادل الدليل السياحي أي كلام. سار مبتعدًا عن الواجهة قدر الإمكان ليستطيع رؤيتها بوضوح. وقف ثانية أمامها لوقت ليس قصيرًا، ما جعل الدليل السياحي يوجه كلامه لنادين الصامتة قائلًا: "على ما يبدو أن السيد قد أُعجب بالمكان".

قالت نادين شاردة: "ماذا؟"، التفتت نحو الدليل السياحي وقالت: "نعم، يبدو ذلك".

اقترب آدم من نادين والدليل السياحي الذي كان يهم بالمغادرة قائلًا: "تستطيعان زيارة المبنى في أي وقت لتتعرفا إليه أكثر.. ولكن الآن انتهت

مواعيد الزيارة والمتحف أقفل أبوابه".

تمتم آدم بشرود "لا أعتقد أننا سنحتاج إلى ذلك".

"عفوًا سيدي هل قلت شيئًا؟".

نظر آدم إلى الموظف ومدّ يده مصافحًا وقال: "لا، لا شيء. أشكرك على وقتك الثمين وعلى المعلومات القيمة التي أخبرتنا بها".

"عفوًا يا سيدي.. طاب يومكما".

غادر الموظف المكان بينما وقف آدم بجانب نادين قائلًا: "لا بد أنك تفكرين بما أفكر".

قالت نادين بنبرة حائرة: "لا أدري..".

"تعالي، علينا أن نقف هناك". أشار آدم إلى الشارع البعيد المقابل للمبنى.

سار آدم بخطوات سريعة عابرًا التقاطع العريض الذي يفصل المبنى عن الشوارع المحيطة به، ولكن لم تستطع نادين اللحاق به فتوقفت عندما تحولت إشارة المرور للأخضر. كان آدم يسير غير مدرك أن نادين لا زالت خلفه. وقف أمام الواجهة التي باتت أكثر وضوحًا أمامه وقال: "أعتقد أن موقعنا هنا مناسب..".

تلفت حوله فوجد نادين لا تزال تنتظر الإشارة. تحولت الإشارة للون الأحمر، فسارت نادين باتجاه آدم الذي ما أن وصلته حتى أخرج الهاتف من جيبه. فتح على تطبيق الباركود ثم وضع الواجهة في شاشة الهاتف لتظهر كاملة بجميع جوانبها، بعد لحظات بدأ التطبيق بقراءة الواجهة وما أن أنتهى حتى ظهرت له عبارة *(تم قراءة الباركود بنجاح)*. توقف التطبيق فجأة ثم ظهر ملف pdf بعنوان *(حوسبة كلاود)*.

حدقت نادين إلى آدم بوجوم الذي كانت الصدمة مرسومة على وجهه لتعلم أن ما في حروف هذا العنوان كارثة لم يكن آدم قادرًا على استيعابها بعد ليشرحها لها، فهل ما يحمله ملف الـ pdf ذاك أدهى من تقرير البنتاغون؟

الفصل السادس والأربعون

سنغافورة - سنغافورة

رن جرس الجناح 2518 في فندق الكارلتون المقيم فيه لؤي، رغم أنه علق على مقبض الباب من الخارج بطاقة "لا للإزعاج". اقترب لؤي من الباب متوجسا فهل من الممكن أن يكون دياسايد وصل إليه هنا!

مرت لحظات عندما سمع صوت ديفيد من خلف الباب يقول: "افتح الباب يا لؤي... هذا أنا".

فتح لؤي الباب ليجد ديفيد يقف أمامه: "لقد استطعت الوصول فعلًا".

"بالطبع استطعت النفاذ منهم، وهل كان لديك شك في ذلك؟!".

صافح لؤي ديفيد والارتياح بادٍ على وجهه ثم قال مبتسمًا: "تفضل يا صديقي".

توجه لؤي نحو ماكينة القهوة الموجودة على الرف وقام بتحضير فنجانين من الإسبريسو عندما قال له ديفيد مكملًا: "لديّ الكثير لأخبرك به ولكن دعنا نستمتع بفنجان القهوة الآن".

"لا وقت لذلك... أحتاج إلى فك هذا في أسرع وقت". أخرج لؤي كرت الذاكرة الذي أخذه من آدم ووضعه أمام ديفيد.

أمسك ديفيد الكرت وقلبه بين أصابعه "أليس هذا كرت الذاكرة الذي تركه وانغ لي لك؟".

"نعم، هل تعرف شيئًا عنه؟".

أخرج ديفيد لاب توبه من الحقيبة ووضعه أمامه ثم قام بتشغيله وقال وهو يضع كرت الذاكرة فيه "أنا من كان يتعقب محاولاتك في فكه وقراءته، أما وانغ لي فقد أخبرني أنه سيترك لك ما يجعلك تنشل نفسك إن حاولوا إسقاطك".

"إذن وانغ لي على ما يبدو كان على اطلاع أكبر مما كنت أتصوّر".

فتح ديفيد الشاشة وقال: "نعم".

صمت قليلًا ثم أدار الشاشة باتجاه لؤي وقال: "شاهد هذا". غارت عينا لؤي، والصدمة التي اعتلت وجهه كانت أكبر من إخفائها رغم كل حنكته، فالملف الموجود على الشاشة والذي حُفظ في كرت الذاكرة تحت اسم *"الحالة رقم صفر لمصابي الكورونا* "كان كفيلًا بأن يتركه تحت تأثير تلك الصدمة.

فتح لؤي الفيديو بينما نهض ديفيد قائلًا: "سآخذ حمامًا سريعًا إن كنت لا تمانع". هز لؤي رأسه بنعم وعيناه مسمّرتان فوق الشاشة غير قادر على تصديق ما يرى، فكيف يمكن للحالة صفر أن تكون قد تمت بهذه الطريقة إن كان هو أساسًا من طوّر الفيروس؟! وعلى أي جانب من اللعبة بات هو الآن؟ فما يراه ليس مجرد فيديو يبين الحالة صفر للفيروس في الكرة الأرضية بل هو دليل قطعي قادر على تعرية قوى عظمى تجاوزت حدود القارات والخرائط. ما يراه حالة من التوثيق لواقع قادم قد يثير الرعب إن عرفه البشر ولكن هل سيدركون ما يراه الآن إن عُرض عليهم؟ فهذا الفيديو الذي لا يتجاوز الدقيقة إن تم عرضه على العالم سيعرفون أن هذا العالم الذي يسكنونه ما هو إلا حلقة خاوية يتراكضون هم في داخلها

كفأرٍ في مصيدة وخارجها يقفون هم؛ نفوذ يتمدد في حنايا الأرض بسكون دون إدراك، يتسرب من تحت خطانا بهدوء. كيف يمكن لكل هذا أن يحدث وهو المطوّر الأول للفيروس والحجر الأساسي في الخطة؟ وكيف استطاع وانغ لي الوصول إلى هذا المدى من الحقائق وماذا يخفي بعد؟!

الفصل السابع والأربعون

لندن - بريطانيا

كان رتزل يذرع سجاد الغرفة العجمي النادر ذهابًا وإيابًا رغم هدوئه الذي اعتاد أن يعتلي ملامحه، إلا أن ما يحدث من حوله بات خارج السيطرة تمامًا. فوانغ لي ولؤي وحتى ديفيد، جميعهم أصبحوا خارج نطاق سيطرة المنظمة، كيف يمكن لكل هذا أن يحدث؟ الأمور يجب أن تسير ضمن مسارها الصحيح وألا يختل توازنها، ما بناه هو وكل من معه بات الآن يقف على الحافة، والحبل الرفيع الذي يسيرون عليه قد يسقطهم جميعًا، إن لم يستطع أن يقبض على العصا من منتصفها جيدًا. لذا على الأمور أن تجري نحو منحى جديد ليضمن لها السير ضمن توازنها المنشود. في تلك الأثناء كان خوليو يقف بجانبه حينما قاطع أفكاره المتواترة فجأة قائلًا: "سيد رتزل لقد تم فتح كرت الذاكرة في سنغافورة داخل فندق الريتز ميلينيا كارلتون".

توقف رتزل عن السير فجأة وقال بنبرة علاها الهدوء والابتسام، رغم حقل الأفكار الذي يجول في ذهنه بلا توقف: "أخبار جيدة جدًّا يا خوليو... أخبار جيدة".

تناول رتزل الهاتف ثم قال بعد أن انتظر للحظات: "روبرتو... لؤي في الريتز كارلتون في سنغافورة" صمت قليلًا ثم أكمل: "أريده فورًا".

أغلق رتزل الهاتف وهو يخاطب خوليو قائلًا: "ما زلنا نسير على الحبل باتزان يا عزيزي".

الفصل الثامن والأربعون

روما - إيطاليا

كان خوسيه يجلس في غرفة مصمتة تحتوي على نافذة غير عاكسة، وأمامه الضابط المحقق يحاول استخلاص ما يستطيع استخلاصه من كلماته القليلة حين قال: "سيد خوسيه لقد اختفى السيد أندريه إستي منذ أسبوع وأنت تعرف جيدًا أن اختفاءه كان في ليلة لقائكما الأخيرة".

هز خوسيه رأسه وهو يقول: "نعم، ولكن أنا لا علاقة لي باختفائه".

"ليس هناك دليل على أنك أمضيت ليلتك في المنزل".

ابتسم خوسيه ساخرًا: "في الواقع لم أكن أعلم أنه عليّ أن أعمل على تشغيل كاميرات المراقبة في غرفة نومي لأثبت لكم أني كنت نائما في فراشي أحلم بالفتاة التي أحب".

دخل روبرتو فجأة مقاطعًا التحقيق وهو يشير للضابط بالخروج ثم قال هامسًا: "تقصد السيدة إستي!".

"ليس بالضرورة، ففي الحلم نسعى لمن لا نستطيع الوصول إليهم".

أزاح روبرتو الكرسي وجلس قبالته وقال: "إذن هي واقع لا تحتاج لحلم".

"بالطبع، ولكنه واقع لا أحتاج فيه لقتل أندريه أو إخفائه، فلورا لي وليست له، وهذا ما لم يستطع أندريه تفهمه".

"تفهّم ماذا؟ إنك تسرق زوجته؟".

"وما شأنك أنت في ذلك؟ هل أنت هنا للتحقيق في اختفائه أم في مشاعره؟".

نهض روبرتو وأخذ يسير جيئة وذهابًا أمام خوسيه وقال: "أنا هنا من أجل الاثنين فمشاعر أندريه قد تقودنا إلى قاتله".

"سيد جوفاني، جواب تحقيقك ليس عندي فأنا لم أقتل أندريه ولا أعرف حتى أين هو. كل ما أعرفه أنكم لا تملكون أي دليل قاطع ضدي. لذا أعتقد أن وجودي هنا لا داعي لاستمراره".

كان روبرتو يعلم جيدًا أن وجود خوسيه لا داعي له أبدًا وأن أندريه إستي لن يعود من تحت التراب ثانية بعدما تأكد من دفنه بنفسه، ورغم ذلك كان عليه أن يستمر، فالجنرال يسعى جاهدًا لمعرفة الحقيقة. كيف يمكن له أن يسعى لذلك إن لم يكن خوسيه هو الطعم الذي سيقفل به هذه القضية؟ لذا كان على خوسيه أن يكون هو القاتل حتى وإن كان في أحضان لورا ليلة مقتل أندريه!

"وهذه الرسالة يا سيد خوسيه؟" أخرج روبرتو الهاتف من جيبه ووضعه أمام خوسيه الذي ألقى نظرة دون أن يلمس الهاتف وقال بابتسامة باردة وهو يقترب من روبرتو قائلًا: "هل تعتقد بأنني سأحتاج لرسالة سخيفة كهذه ولورا كانت في أحضاني ليلتها يا سيد جوفاني؟". أعاد خوسيه ظهره إلى الكرسي وقال: "أنا أملك شاهدًا كما ترى لذا فلتبحث عن كبش فداء ثانٍ غيري للجنرال صديق أندريه أو ابحث عن أندريه نفسه فلربما تجده في أحضان شابة عابرة مرت أمام طريقه بالصدفة".

دخل الغرفة فجأة رجل يرتدي بذلة رسمية وحاملًا حقيبة جلدية وقال: "سيدي أنا المحامي رودريغو استس قد تم توكيلي عن السيد

خوسيه بأمر من السفارة الإسبانية" وضع المحامي الحقيبة أمامه وأخرج مجموعة من الأوراق ناولها لروبرتو وقال: "هذا طلب مباشر من السفارة بالإفراج عن موكلي بضمان محل إقامته وذلك لغياب الأدلة المنسوبة إليه في القضية". نظر روبرتو إلى الأوراق بينما نهض خوسيه من كرسيه قائلًا: "شكرًا رودريغو، ولكن أعتقد أنني لست بحاجة إلى محامٍ، أليس كذلك يا سيد جوفاني؟". توجه خوسيه إلى الباب وخرج من الغرفة.

وقف روبرتو في قلب الغرفة وحده لا يدري كيف يمكن لهذه القضية أن تقفل؟ وكيف لمارتينا ألا تتورط في الأمر ولو من بعيد؟ رن جرس المنبه في هاتف روبرتو ليجد أن عليه أن يتصل برتزل لعقد اجتماع معه عبر السكايب. خرج روبرتو من غرفة التحقيق وتوجه خارج المبنى كله بشكل سريع حتى وصل سيارته. دخلها مغلقًا أبوابها ووضع السماعات ليتصل برتزل الذي ما إن ظهر على الشاشة حتى قال: "تأخرت عن موعد الاجتماع خمس دقائق".

"أعتذر، كان لدي قضية".

"على كل حال الاجتماع لا يحتاج وقتًا طويلًا".

"هل هناك من أمر عليّ تنفيذه؟".

"لقد قررت المنظمة أن تكون إيطاليا البؤرة الثانية بعد الصين لانتشار الوباء".

نظر روبرتو إلى الشاشة التي أمامه متسمرًا ثم قال بصوت جاف متقطع: "إيطاليا؟ ولكن أنتم لم تخبروني أن إيطاليا من ضمن المخطط".

"وهل علينا أن نبلغك؟".

صمت روبرتو بحنق ثم قال بنبرة مختنقة: "على الأقل مقابل خدماتي وولائي كان عليّ أن أعرف بذلك... ربما".

سرى صوت رتزل في الشاشة بنبرة باردة علت جسد روبرتو وهو يقول: "حسنًا، وها قد بُلّغت".

أجاب بصوت قادم من بعيد: "ما المطلوب مني الآن؟".

"لا شيء عليك التأكد من سير الأمر بشكل طبيعي لا أكثر. إن استهتار بعض أعضاء البرلمان بمرض الكورونا جعل من إيطاليا هدفًا سهلًا أكثر من غيرها لتكون البؤرة الثانية بعد الصين والأولى في أوروبا. لذا نحن نعتقد بأن المباراة التي ستقام في ميلانو هي المكان الأفضل لنشر الوباء".

أغلق رتزل الشاشة بعد أن أنهى كلامه تاركًا روبرتو تحت تأثير الصدمة. تناول روبرتو هاتفه واتصل بوالده بسرعة ولكن والده لم يجب. أعاد الاتصال مرة ثانية فأجاب العجوز إنزو قائلًا: "روبرتو ولدي، هل غيّرت رأيك وستنضم لنا أنا وعمك لمشاهدة المباراة؟".

"أبي، أرجوك لا تذهب أنت وعمي إلى سان سيرو، ابقيا في البيت وشاهدا المباراة هناك".

قال إنزو بنبرة عالية بسبب الضجيج: "نحن الآن في الأسواق يا ولدي نستعد للمباراة ولا أسمعك جيدًا".

"عودا إلى المنزل يا أبي".

"لا أسمعك جيدًا يا بني فالضجة هنا تعم المكان، الجميع يحتفلون حتى أن معظم سكان بيرغامو جاءوا إلى هنا لتشجيع فريقهم قبل المباراة بأيام، أراك لاحقًا".

"أبي.. أبي". أغلق إنزو الهاتف وروبرتو لا يزال ينادي بلا مجيب!

الفصل التاسع والأربعون

بكين - الصين

أوصل آدم الهاتف باللاب توب لينقل ملف الـ pdf الموجود فيه إلى الجهاز. في تلك الأثناء كانت نادين تقف بشرود أمام النافذة الصغيرة المطلة على المباني المجاورة حولها، كانت هذه هي المرة الأولى التي تستطيع فهم ما معنى اللاشيء فهي تشعر به الآن، تشعر بلا شيء، صمت وسكون وفراغ تجول أمامها بلا وعي، كمن يسير على متن رحلة ضبابية واسعة لا يدري إلى أين مداها؟ ولا ماذا ستكون نهايتها؟

"ما يحمله هذا الملف لا ينبئ بالخير"، قال آدم بنبرة مغيبة وهو ينظر في الشاشة.

"لماذا؟".

"الملف يحتوي على صفقات تبين أن أكبر الشركات المُزوّدة لخدمات الكلاود قد زادت سعتها التخزينية الحالية ثلاثة أضعاف سعتها عن عام 2019 بشكل مفاجئ وسريع وهذا أمر غريب".

لو امتلك جوليان أسانغ هذا الملف ماذا كان سيفعل؟

كان آدم يعلم أن نادين بكل خبرتها الطبية ومعلوماتها الإضافية بين الأدب واللغات لن تستطيع إدراك أهمية ما تحتويه هذه الملفات من معلومات، بينما لو أن جوليان أسانغ مؤسس موقع ويكليكس امتلك هذه المعلومات لكان فجر ثورة جديدة على متن شبكة الإنترنت تعيد له مجده

الذي سقط فوق أرض المملكة المتحدة ليصبح لاجئًا في أحضان جدران السفارة الأكوادورية لمدة سبعة أعوام. ولكن هو ليس جوليان وكل ما يسعى إليه الآن فهم الملف.

نظرت نادين إلى آدم نظرة أدرك آدم من خلالها أن نادين تحاول جاهدة جمع كل طاقتها لفهم ما يقوله ثم تساءلت "ما هو الكلاود؟".

"هو نوع من أنواع السيرفرات التي يتم عليها تخزين المعلومات".

"أنا أخزن كل ما يحمله موبايلي على خدمة الآي-كلاود في هاتفي الأيفون فهل هي تشبه ذلك؟".

قال آدم وهو يتجه نحو التراس: "نعم، إنها سيرفرات تزودها شركات ضخمة مثل مايكروسوفت وأبل وعلي بابا وجوجل وغيرها لتخزين معلوماتك عليها".

اقتربت منه نادين ونظرت في انعكاسه على الزجاج قائلة: "هذا يعني أن معلوماتي الموجودة على الآيكلاود موجودة في سيرفر يمكن لشركة أبل الوصول إليه دون رقيب".

"نعم".

"أي أن جميع صوري ورسائلي وملفاتي الشخصية تكون بحوزتهم؟".

كان آدم ساهمًا في نادين التي لم تكن تدرك أبدًا أن ما حصل وما زال يحصل ما هو إلا سرقة لمعلوماتنا الخاصة، فقبل الألفية كل ما نمتلكه من معلومات وصور وملفات كنا نخزنها في كروت ذاكرة memory cards وأقراص مدمجة CDs لنحتفظ بها، وما دامت معلوماتنا بحوزتنا فهي تحت رقابتنا ولن يطلع عليها غيرنا، ولكن مع خوفنا من ضياع هذه الذكريات لم

تعد للخصوصية تلك الأهمية فأصبحنا مهووسين بأن نحتفظ بكل معلوماتنا وذكرياتنا في الإنترنت.

وما لم تكن تعرفه نادين وغيرها كثيرون أنه كلما مر بنا الزمن فقدنا خصوصيتنا أكثر تحت مسمى حفظ المعلومات، ففي زمن أجدادنا الغابر كانت كل الصور تحفظ في ألبومات عتيقة يحملها الراحلون معهم قبل عتادهم لأهمية الذكرى في نفوسهم. أما آدم فكان يعلم أننا نمضي نحو زمن سنفقد كل خصوصيتنا فيه لذا حتى هذه اللحظة لم يكن له أي حساب يُذكر على الفيسبوك أو تويتر أو انستغرام وحتى بريده الإلكتروني لم يكن يحمل في حناياه أكثر من رسائل العمل الهامة، فهو لم يرغب سوى أن يكون إنسانًا عابرًا مر بهذه الدنيا بصمت، حمل ذكرياته في حناياه دون أن تنطلي عليه حيلة عصر التكنولوجيا الذي هو أحد مختصيه.

أصبح الناس يسارعون إلى ضخ معلوماتهم الخاصة والعامة وذكرياتهم وصور محبيهم في كل مكان خوفًا من أن تخونهم الذاكرة أو يغيبهم النسيان عن أذهان الحاضرين يومًا، ولم يكونوا يعلمون بأنهم إن غابوا فمعلوماتهم وذكرياتهم تلك ستمنحهم مساحة في ذاكرة السيرفرات ولكنها لن تمنحهم مساحة في ذاكرة البشر الذين عطلوا الدماغ عن وظيفته، وباتوا يتركون للأجهزة وظيفة التذكر نيابة عنهم!

وما لا تعرفينه أيتها الصهباء أنك تدفعين لشركة أبل دولا رين وتسعًا وتسعين سنتًا حتى يتلصّصوا على حياتك الخاصة وبإذنك.

صمت آدم قليلًا ثم جلس قبالة نادين مبتعدًا عن كل ما راوده من أفكار وأجاب نادين ببساطة قائلًا: "نعم، جميع صورك ومعلوماتك بحوزتهم، لهذا لم تفكر أبدًا الدول والحكومات والمنظمات أن تعمل على

تخزين معلوماتها وبياناتها في خدمة الكلاود خوفًا من إفشاء سرية معلوماتها فتصبح تحت قبضة هذه الشركات، رغم المحاولات المستميتة من شركات مايكروسوفت وجوجل وعلي بابا وغيرها لإقناعهم بالأمر ولكنها فشلت".

قالت نادين وهي تنهض بملل: "حسنًا رغم قدرتك الجيدة على الشرح، لكنني لا أستطيع فهم ما تحاول أن توصله لي"، سارت باتجاه المطبخ وأكملت: "لا أدري إن كنت أستطيع مساعدتك في هذا... ولكن أظن أن عليك أن تشعل سيجارة ريثما أحضر لك القهوة".

لماذا وسّعت شركات الكلاود سعتها الاستيعابية بهذه السرعة وبهذا الشكل المفاجئ؟ والأهم لماذا فعلت كل الشركات ذلك في آنٍ واحد؟ وإن كان وانغ لي قد ترك لي هذا الملف ليكشف سر وباء الكورونا فهل هذا يعني أن شركات الكلاود على علم بهذا الفيروس؟

نظر آدم إلى نادين وهو يبتسم وتوجه نحو التراس تائها في بكين الغارقة بالليل المستنير بأضواء تكنولوجيتها العالية، لتبقى الأسئلة تشتعل في ذهنه كضوء السيجارة الضعيف المنعكس على زجاج التراس بلا جواب وبلا شعلة، مجرد دخان يحلق كسحابة خاوية ورماد ساقط كركام متهاوٍ.

الفصل الخمسون

ميلانو - إيطاليا

كان العجوز إنزو يقف في قلب المترو هو ولوكا يغنيان مع الجمهور الذي اعتلى المترو للوصول إلى ستاد سان سيرو العريق الذي سيحمل في قلبه أهم حدث رياضي في دوري الأبطال لهذا العام حيث أتلانتا يقابل فالنسيا كمتأهل للمرة الأولى في تاريخه. الجميع يغنّون بحماس في قلب المترو وبصوت واحد حتى أن السياح جذبهم المنظر فقاموا بإخراج هواتفهم وتصوير الحدث.

سار إنزو بخطوات مستمتعة هو ولوكا يقتربان من الأكشاك والطاولات الخشبية التي وُضعت في محيط الإستاد استعدادًا للمباراة حيث عُلّقت قمصان فريق أتلانتا وأعلامه باللونين الأزرق والأسود في كل مكان كما علت ألوان فريق فالنسيا الأبيض والبرتقالي لتعلم بأن من يرتدي هذين اللونين قد أتى خصيصًا من إسبانيا لحضور هذا الحدث العظيم.

دخل إنزو ولوكا الملعب المكتظ بالجماهير والذي يعلو الحماس مدرجاته قبل بدء المباراة. فالحضور هناك يعلو صوته بالهتاف وهنا بالغناء، وإنزو ولوكا يتوجهان نحو كرسيهما بخطوات راقصة وسريعة على صوت المشجعين، دون أن يعلما هما وما يقارب الخمسة وأربعين ألف مشجع من جماهير الفريقين أن ستاد سان سيرو الذي يعد مقبرة الأندية على مر السنين سيكون بداية مقبرة لعدد كبير من مشجعي هذه المباراة

تحديدًا، وأن هتافهم هذا سيكون النداء الأخير للحظات لن تعود مجددًا.

جلس لوكا بجانب إنزو على كرسيه وقال بابتسامة عريضة: "سينتهي فالنسيا اليوم فوق أرض هذا الملعب يا إنزو".

ضحك إنزو وقال: "بالطبع فإستاد سان سيرو أقصى كل الأندية على مر التاريخ ولا يمكن لأي فريق أن ينجو من قبضة هذا الإستاد الصامد منذ عام 1926 وحتى هذا اليوم".

"كم سأكون حزينًا حينما تسقط أعمدته لحظة هدمه، أتمنى أن يغير العمدة قراره هذا فسان سيرو ليس مجرد إستاد، إنه تاريخ الكرة الإيطالية عبر قرن مضى".

"لا تقلق يا عزيزي، لن يهدموا سان سيرو، سيتراجعون عن القرار". صمت قليلًا ثم قال وهو يضع نظارته: "ها هم اللاعبون يخرجون إلى الميدان".

وقف لوكا وإنزو وهما يشجعان لاعبي منتخب أتلانتا مع الحاضرين بهتاف هز أرجاء الملعب، وهز قلوب لاعبي فالنسيا الذين بدأوا بدخول الملعب هم أيضًا. كان صوت جماهير ستاد سان سيرو دومًا هو لغز سقوط الأندية الأخرى صريعة فوق أرضه، فصوتهم وهتافهم وتشجيعهم المستميت لفريقهم جعل من أرض هذا الملعب ملحمة كروية أزلية تمنع أي فريق من الفوز فوق أرضه مهما كان الثمن!

* * *

أغلق روبرتو الهاتف بتوتر بعد أن حاول الاتصال بوالده طويلًا دون أن يجيب، فنادى على العسكري الذي يقف عند بابه "بيللو..".

حضر العسكري وألقى التحية العسكرية ثم قال: "نعم سيدي..".

كتب روبرتو ورقة وأعطاه إياها "حاول الاتصال بهذا الرقم، وإذا أجابك أعطني الاتصال فورًا حتى وإن كان في مكتبي الجنرال نفسه".

تناول بيللو الورقة وألقى التحية العسكرية ليغادر حينما قال له روبرتو: "تبقى أمام مكتبي ولا تتحرك أبدًا".

"نعم سيدي".

"أدخل السيدة لورا إستي الآن".

"نعم سيدي".

خرج بيللو وأدخل لورا ثم أغلق الباب وراءه؛ بينما أخذ روبرتو يراقب ظلال حذاء بيللو من تحت عقب الباب البعيد ليتأكد أنه ما زال موجودًا كما أمره!

جلست لورا أمام روبرتو وقالت: "سيد جوفاني، لقد أخبرني الجنرال أن هناك أخبارًا جديدة بشأن قضية اختفاء زوجي أندريه".

"على ما يبدو أن هناك حلقة مفقودة في هذه القضية تمتلكينها أنت وحدك".

"إن كان لديّ ما أفيدك به سأخبرك".

"هل تعتقدين أن زوجك أندريه مفقود أم ميت؟".

"لا أدري، ولكني أعتقد أنك أنت من يجب أن يحمل لي إجابة عن هذا السؤال".

"لماذا قمت بالتبليغ عن السيد خوسيه ما دمت متأكدة من براءته".

قالت لورا ببرود: "لأنه كان عليّ الوصول إليك سيد جوفاني".

انكمش روبرتو في مقعده وقال: "إذن لنكشف كل الأوراق سويًا يا سيدتي".

عدّلت لورا من جلستها: "حسنًا، أنت تعلم جيدًا أن أندريه ميت وليس مفقودًا".

"وماذا بعد؟".

"وأنا أعلم أن مارتينا هي من قتلته".

رمقها روبرتو بوجه ثابت خالي المعالم وقال بآلية: "ماذا تريدين سيدة إستي؟".

"أريد منك أن تعيد لي ولدي ديفيد من المنظمة التي تعمل بها في الخفاء يا سيد جوفاني".

"ماذا تعنين؟".

"أعني أنني أعرف جيدًا انك تعمل مع رتزل روكفشتاين وولدي يعمل معه في المنظمة التي يرأسها، لذا أعدْ لي ولدي وأنا سأرفع قبضتي عن عنق حبيبتك".

"من هو ولدك؟".

"ديفيد إستي رئيس قسم الذكاء الاصطناعي هناك".

قال روبرتو باندهاش: "ديفيد الهاكر؟".

هزت لورا رأسها بنعم، فقال روبرتو وهو يبحث عن هاتفه القابع أمامه "ولكن ما أعرفه أن ولدك قد غادر المنظمة"، تناول الهاتف ثم قلب فيه سريعًا وقال: "نعم لقد غادر ابنك المنظمة يا سيدة إستي منذ أيام".

أدار روبرتو الشاشة نحوها لتقرأ الأمر بنفسها. وضع الورق الخاص بملف قضية أندريه أمامه وقال: "أعتقد أنني أكون قد حققت لكِ طلبك الآن".

"كيف يمكن أن أصل إليه؟".

"هو في سنغافورة الآن، سأوصلك إليه مقابل أن توقعي على أوراق إغلاق ملف القضية بناء على أن أندريه كان مفقودًا وعلمتِ أنه كان في الصين وأصيب بالكورونا وتم حرق جثمانه هناك وفقًا لبروتوكلات الدفن أثناء الوباء".

"أوصلني به الآن".

تناول روبرتو هاتفه ورن إليه حينما رد ديفيد: "نعم روبرتو، ماذا تريد؟".

ناول الهاتف للورا التي قالت بلهفة أسقطت كل ذلك البرود الذي كان يعتليها أمام روبرتو "ديفيد ولدي..".

"أمي.. ماذا تفعلين عند روبرتو؟".

"هل ستعود إلى هنا؟".

"أمي، هل أنت بخير؟".

"نعم يا بني أنا بخير، ولكن أريدك أن تعود".

"سأعود.. لقد غادرتهم يا أمي فلا تقلقي، لقد انتهى الأمر وسأعود قريبًا".

ابتسمت لورا وسط الدموع وهي تقول: "وأنا بانتظارك يا حبيبي".

تناول روبرتو الهاتف من يدها ووضعه على أذنه وقال: "والدتك بخير يا ديفيد، لا تقلق".

قال ديفيد بحنق: "ابتعد عن أمي يا روبرتو".

"لا تقلق ليس هناك ما يدعو للاقتراب منها، وداعًا الآن".

أغلق روبرتو الهاتف وقدم الأوراق للورا التي نظرت إليه وهو يقول: "وقعي هنا لو سمحتِ.." تناولت لورا القلم ووقعت على الورقة وأكمل

روبرتو قائلًا: "سيصلك رماد أندريه في جرة فاخرة خلال أيام لتحتفظي بها".

رمقته لورا بامتهان ووقعت الأوراق بصمت لتنهض مغادرة المكتب حيث كان خوسيه ينتظرها أمام الباب ليعانقها وهي تضع نظارتها محاولة إخفاء دموعها وسط أحضانه ثم دخل بيللو فجأة مناولًا الهاتف لروبرتو قائلًا: "الاتصال يا سيدي".

"أبي أين أنت؟".

"ماذا؟ لا أسمعك جيدًا ولكن على كل حال أتلانتا متقدم بثلاثة أهداف على فالنسيا، وها هو الرابع وضعوه الآن، لوكا الهدف الرابع يا لوكا". أغلق روبرتو الهاتف وناوله لبيللو مدركًا تمامًا أنه لم يعد هناك أي فائدة من الاتصال فوالده وعمه باتا في حنايا قبضة القدر ليس أكثر.

الفصل الحادي والخمسون

سنغافورة – سنغافورة

سار ديفيد بجانب لؤي في حدائق الخليج المميزة لسنغافورة عن كل بلاد العالم بجمال طبيعتها وتقنيتها العالية، حيث الأشجار الأرجوانية العملاقة تعلو سماء المكان لتعانق السحب بهدوء، تتسلقها الأعشاب والأشجار المختلفة لتوحي لك بأنها شجرة حقيقية خرجت من إحدى القصص الخيالية الكلاسيكية القديمة وليست برجًا إسمنتيًا زرعت فوقه الأشجار والنباتات.

الحديقة ليلًا كانت تستعد لعرض الصوت والضوء الذي تحمل فيه كل سكان المدينة وسياحها إلى عالم آخر وهي تتراقص على صوت السيمفونيات الكلاسيكية الشهيرة كل ليلة، فتنتقل مع كل نغمة فوق رحلة أخرى من عالم أثيري يصنعه فحوى المكان. كانا يسيران بخطوات هادئة ويتجولان في الحديقة قبل أن يبدأ العرض، مرا سريعًا في حديقة الغيوم حيث أكبر شلال اصطناعي من صنع الإنسان يقبع في داخل القبة الزجاجية هناك، تسير من تحته لتغمرك غيوم الرذاذ المتناثر فتعلّمك سنغافورة أن بالعلم والتكنولوجيا تستطيع ابتكار شلالات قد تنافس نياغرا في كندا، وتحيا نفس التجربة والرذاذ يرشقك وأنت تسير من تحت الشلال الاصطناعي الضخم!

"ولكن يبقى لنياغرا هول الحضور، فحينما تنطق الطبيعة يعجز العلم عن الكلام في حضرتها"، قال لؤي وهو يسير داخل الغيوم المحيطة به من

رطوبة المكان وحرارته وشلالها الضخم المتساقط فوقه.

"سيبدأ العرض خلال دقائق، دعنا نذهب لنجد مكانًا خاليًا لا يعج بالناس"، قال ديفيد وهو لا يزال يضع الهاتف على أذنه ينتظر الرد على الطرف الثاني من المكالمة ليقطع كلامه مع لؤي فجأة قائلًا: "أمي.. كيف أنت؟".

"أنا بخير يا حبيبي متى ستعود؟".

"قريبًا يا أمي، أعدك بذلك".

"لقد اشتقت إليك كثيرًا يا بني، كفاك ترحالًا".

"لن أغادرك ثانية يا أمي، فأنا لم أعد أقوى على ذلك".

ابتسمت لورا من خلف الهاتف حتى شعر ديفيد بها وقالت: "وأنا تعبت من غيابك الطويل هذا يا صغيري".

ضحك ديفيد وقال: "ما زلت تنادينني بصغيرك، لقد كبرت كثيرًا".

"ورغم هذا ستبقى صغيري دومًا، سأنتظرك يا بني".

تغيرت نبرة ديفيد وهو يقول لأمه قلقًا: "هل يتعرض لكِ روبرتو يا أمي؟".

"لا يا بني، لا تقلق فأنا أعرف كيف أحمي نفسي منه ومن غيره، اطمئن".

قال ديفيد بنبرة مطمئنة: "حسنًا يا أمي، اعتني بنفسك جيدًا، حتى عودتي".

"نعم سأفعل، وأنت أيضًا اعتنِ بنفسك يا حبيبي عدني بذلك".

صمت ديفيد قليلًا وقال: "أعدك يا أمي، وداعًا الآن، سأكلمك ثانية لأطمئن عليكِ".

قالت لورا ونبرة خوف تعتري صوتها لم تستطع إخفاءها عن ابنها الوحيد: "وداعًا".

أغلق ديفيد الهاتف ووضعه في جيبه وسار بخطوات تبع بها لؤي سريعًا، فديفيد كان شابًا إيطاليًا بالكامل، سمرة وجهه الملدوغة من شمس شطآن صقلية ولكنته الإنجليزية الممتزجة بالإيطالية جعلته دومًا محط أنظار كل فتيات أريزونا وحتى جامعتها. ورغم عامه السابع والعشرين إلا أن ذكاءه في البرمجة واختراق التطبيقات والأنظمة الحاسوبية المختلفة ميزه عن شكله ولكنته، فأصبح المبرمج الأول في دفعته ليقع الاختيار عليه ويصبح ديفيد الإيطالي هو نفسه ديفيد الهاكر ذا الصيت الشهير في كل أنحاء أوساط البرمجة وحتى المنظمة.

"يبدو أنك أنت من لن يستطيع اللحاق بالعرض"، قال لؤي وهو يسير باحثًا عن مساحة خضراء خالية ليجلسا فيها سويًا بعيدًا عن عيون الموجودين.

أجاب ديفيد وهو يشير للؤي تحت الشجر العملاق فوقهما: "كان عليّ أن أطمئن عليها فلقد كانت في مكتب روبرتو منذ يومين".

قال لؤي باستغراب: "روبرتو؟!".

"نعم، وأنت تعلم حيث وُجد روبرتو فلا بد لمصيبة أن تحدث".

توسّد لؤي الأرض وجلس فوقها بهدوء حينما بدأت سيمفونية القدر الشهيرة لبيتهوفن بالعزف لتبدأ الأشجار تتراقص معها وتتبدل ألوانها بين الأزرق والأرجواني والأخضر حسب النغمة وتواتراتها وكأن النوتة رسمت للشجر لا لبيتهوفن! كان لؤي ساهمًا في الشجر الذي أمامه بصمت حينما قال لديفيد "أتعتقد أننا بتنا في زمن طغيان بشري على الطبيعة؟".

"ربما، فالأرض تحتضر بسببنا".

"ونحن ما زلنا نحيا كذبة كل ما هو اصطناعي. فحتى هذه الحديقة رغم كل جمالها لا يمكن لها أن تكون طبيعة، فلا شجر يتراقص بأضوائه على صوت ألحان بيتهوفن، فجمال الطبيعة أنها حقيقة جرداء، ورغم ذلك اسمع..." صمت لؤي قليلًا هو وديفيد ثم أكمل قائلًا: "أتسمع هتافهم للشجر وكأنهم يناجون الطبيعة الأم رغم أنهم يغرقون في قلب تكنولوجيا ترسم لهم وهمًا يُدعى الطبيعة الحية!".

قال ديفيد وهو يضع حقيبة معدنية صغيرة بجانبه على الأرض: "وأنت تعلم أن كل ذلك ما هو إلا بضع رتوش أمام القادم".

كان لؤي هائمًا بالأنوار التي تعلو الأشجار العملاقة فوقه وكأنه في مجرة. وفي تلك الأثناء فتح ديفيد الحقيبة المعدنية وهو يقول: "كان عليّ استلام كل الوثائق التي وصل لها وانغ لي ولكن حينما بدأت الشكوك تدور حولي توقفنا أنا وهو عن التخاطب وتم تغيير الخطة بالكامل".

"وهل لديك المعلومات الكاملة التي توصل إليها وانغ لي؟".

قال لؤي وهو ينظر إلى ديفيد الذي يحضر الحقنة الموجود في الحقيبة: "تنقصني تلك الوثائق التي كان عليه أن يسلمها لي قبل وفاته لذا ما أملكه مجرد معلومات مبعثرة تحتاج للحلقة المفقودة لجمعها".

"ألا تعتقد أنه يجب عليّ أن أحمل معك تلك المعلومات علني أمتلك الحلقة التي تتحدث عنها؟".

"هذا ما أفعله الآن يا صديقي...".

صمت ديفيد وهو يضع الحقنة البلاستيكية أمامه والتي كان رأسها المعدني العريض يوحي بأنها ليست مجرد حقنة عادية ثم قال: "سأعطيك

ما توصلت إليه من معلومات وعليك أنت الاستفادة منها وقت احتياجك لها... فلا أحد منا يعرف إن كان سيكمل الطريق نحو الحقيقة".

"وماذا الآن؟".

كان ديفيد يضع أسطوانة زجاجية صغيرة لا تتجاوز السنتميتر الواحد في داخل الحقنة وقال: "لا شيء، كل ما أنتظره هو الحصول على الوثائق".

"وهل أنت مستعد لذلك؟".

"نعم يا لؤي، فالحقيقة لا بد لها أن تعلن، وموت وانغ لي لن يوقفها".

أخرج ديفيد قطنة معقمة من الحقيبة وقال: "لقد أصبحت جاهزة، هل ترغب بأن أضع لك بعض المخدر الموضعي؟".

"لا، لا داعي لذلك، لننهي الأمر قبل أن ينتهي العرض".

"نعم، بكل تأكيد".

اقترب ديفيد من كف لؤي التي وضعها فوق فخذه المتربع على الأرض المزروعة بالعشب الأخضر الندي، أخذ يمرر القطنة المعقمة فوق كف لؤي ثم غرس الحقنة في الطبقة الأولى من الجلد للكف العلوي وفي صرخة لؤي الخافتة المتألمة من جراء الحقن كان هناك شعور يسري في جسده أشبه بالومضات التي علت الأشجار حينما علت السيمفونية في مقطعها الصاخب الشهير ليعلم بان منظومة الإنسان والتكنولوجيا ستبقى منظومة تنافسية أزلية وسيبقى من خلالها الصراع القائم للأقوى.

أنهى ديفيد الأمر وسحب الحقنة من كف لؤي وقال: "لقد انتهيت" وضع الحقنة في الحقيبة وأغلقها ثم ألصق لاصقًا طبيًا على كف لؤي وأكمل قائلًا: "بهذا المايكروشيب المزروعة في كفك تستطيع فتح كل الأبواب المغلقة أثناء رحلتك إلى فنلندا".

ثم أخرج ديفيد كرت الذاكرة من جيبه وقال: "وأما هذا فتستطيع إتلافه الآن لأن الفيديو للحالة رقم صفر نقلته على المايكروشيب وبات مزروعًا تحت جلد كفك هذه، لذا لن يستطيع أحد التخلص منك ما دمت تحمله وحدك في حنايا جسدك".

ابتسم لؤي وتناول الكرت الذي قام بكسره وقال: "أشكرك يا ديفيد".

"أنت تعلم إن اضطررت إكمال رحلتك إلى فنلندا بدوني، فذلك يعني أنني قد لا أكون حيًّا يا لؤي، لذا وجود هذا المايكروشيب لا يعني أنك تمتلك الوثائق كاملة، فلا تكمل رحلتك دون من يحملون وثائق وانغ لي المفقودة".

كان لؤي لا يزال يراقب الأشجار الصاخبة بألوانها وهو يقول: "وهل تعتقد أن الأمر يستحق كل هذا؟".

أجاب ديفيد وهو هائم في الأضواء الخضراء التي أحاطت المكان فجأة: "المكان يشبه فيلم ماتريكس الشهير باللون الأخضر هذا، وكما يقول مورفيوس في الفيلم (*تذكر أن كل ما أعرضه عليك هو الحقيقة ليس أكثر*). وهذا ما أفعله أنا تمامًا أعرض الحقيقة ليس أكثر". صمت قليلًا ثم استرخى فوق العشب قائلًا: "سيبقى الصراع قائمًا، فالقوى دومًا لا تسعى إلا لتطوير قواها مهما كلفهم من ضحايا لذا على واحد منا أن يحمل المهمة فنحن لا نملك الخيارات يا صديقي. الخيار مجرد وهم صنعته لنا الوقائع والأحداث من حولنا فما أن تغرق في صلب الموضوع حتى تجد نفسك بلا خيار".

نظر لؤي إلى صديقه ديفيد المتمدد بجانبه على العشب متأملًا السماء الغارقة بالأضواء الراقصة بلا اكتراث، وموسيقى بتهوفن لا تزال

تصدح حولهم باندماج، يحاول فهم ما يجول في خاطره الخاوي ولكنه حينما رآه يغمض عينيه مسترخيًا أيقن تمامًا بأنهم جميعًا باتوا منصهرين في بوتقة واحدة وعليهم الاستمرار، لأن غريزة البقاء، رغم كل العلم والحضارة والتكنولوجيا، ستبقى هي الشريعة الأقوى دومًا فوق هذا الكوكب.

الفصل الثاني والخمسون

بكين - الصين

طريق مسدود، ذلك كل ما لديّ!

وقف آدم على التراس متأملًا الحياة التي يعلم جيدًا أنها تؤول إلى عمق هاوية مجهولة، وبشر يسيرون في الشوارع بغفلة غير مدركين أن كل ما هو قادم لا يمثل سوى الخوف من كل شيء حتى الهواء العابر الذي تستنشقه رئاتهم الآن بهدوء، حينما اقتربت منه نادين قائلة: "يبدو أنك لم تنم جيدًا ككل يوم".

"لا أدري ماذا أفعل؟".

"عليك أن تعلن الحقيقة".

أخذ نفسًا عميقًا من السيجارة وقال بعد أن نفثه في الهواء: "الحقيقة المبتورة كالأحجية الناقصة! لا يمكن لأحد أن يعرف الصورة إن لم تضعي في قلبها القطعة الأخيرة".

"ماذا تعني؟".

"ليس هناك أدلة قاطعة على أن ما نحمله حقيقة..." صمت آدم قليلًا ثم أكمل: "فهل ما تركه وانغ لي حقيقة أم مجرد أوهام عاشها بعد وفاة والده؟".

خيم بينهما الصمت للحظات حينما قالت نادين: "لا يمكن أن يكون وهمًا، كثيرة هي الأمور التي تركها قبل وفاة والده بكثير".

"وما الذي يجعلك متأكدة من ذلك؟".

"لا يمكن لشخص مريض أو حتى مشغول الذهن بمرض والده أن يترك قلادة الإنكا تلك... كما لا يمكن أن يكون تقرير البنتاغون القديم هذا وجده وانغ لي مصادفة قبل وفاته أو وفاة العم تشن". صمتت نادين للحظات ثم أردفت قائلة: "الأمر مدروس منذ مدة طويلة يا آدم ليس من قبيل الصدفة بل هي خطة متكاملة صيغت بدقة".

قال آدم: "إذن ماذا الآن؟! أخبريني إن كنت تمتلكين جوابًا".

"لا أدري.. ولكنني متأكدة بأن هناك ما يجب علينا البحث عنه".

"أين؟".

"لا أعرف ولكن ربما ترك لنا وانغ لي أي شيء في هاتفه الذي وجدناه في الصندوق أو حتى في نهاية الملف، ربما ملاحظة غير مفهومة أو سطر غير مقروء كرسالته التي تركها لك قبل وفاته".

دخل كل من آدم ونادين إلى المنزل بينما قال آدم وهو يقف أمام طاولة الطعام الصغيرة التي وضع فوقها اللاب توب والهاتف وأوراق البنتاغون: "لقد قلبت كل شيء، الملف، اللاب توب، الهاتف، وحتى تقرير البنتاغون، ولم أجد شيئًا". مرر آدم أصابعه فوق صدغه وهو يغمض عينيه قائلًا: "لا شيء... ولا أدري ما فائدة كل ما بين يدينا إن كان هناك حلقة مفقودة".

كانت نادين تقف أمام لوحة (ابن الإنسان) المعلقة على حائط منزلها للفنان رينيه مارغريت، وقالت بصوت شارد: "إن مارغريت يقول *(كل شيء نراه يخفي شيئًا آخر)* وأعتقد أننا علينا أن نبحث مرة أخرى في ما رأينا".

"ماذا تقصدين؟".

"إن ما تركه لنا وانغ لي في بكين هو شيء واحد، صندوق البريد فقط.."، صمتت نادين واستدارت نحو آدم قائلة: "أعتقد أننا لم نبحث جيدًا في الصندوق، لا بد أن هناك شيئًا آخر في داخله".

توجه آدم نحو الباب مسرعًا تاركًا مفاتيح الصندوق خلفه مرمية على الرف بجانب الباب. حملت نادين المفاتيح ولحقته. وصلوا إلى الصندوق فوقفت نادين أمامه قائلة: "المفاتيح...".

فتحت نادين الصندوق، مدت يدها في داخله. بحثت في كل زاوية ثم استدارت نحو آدم بنظرة يائسة لتقول: "لا شيء...".

قال آدم وهو يبعدها عن الصندوق "لأبحث أنا..".

"الصندوق خالٍ".

كان صندوق البريد الصغير ذو اللون الكحلي عميقًا نوعًا ما عن باقي الصناديق القديمة المعلقة على الحائط ما جعل النظر في داخله صعبًا. مد آدم يده داخل الصندوق لتتلمس كل شيء؛ أرضية الصندوق وجوانبه وحتى ظهره المعلق في الحائط! لا شيء! حاول آدم أن ينظر فيه ولكن لونه الداكن حال دون القدرة على مشاهدة أي شيء في قلبه. مد ذراعه أكثر إلى الداخل حتى شعرت نادين أنه سيفقد توازنه. حرّك يده ببطء ثم أغمض عينيه ليتلمس الصندوق بهدوء أكبر ثم قال وهو لا يزال مغمضًا عينيه "أعتقد أن هناك نقشًا ما على جدار الصندوق الداخلي..".

"أحقًا ما تقول؟".

"هناك حفر واضح هنا..".

استدار نحوها وقال: "هل معك هاتفك الخلوي؟".

"نعم".

"أشعلي الضوء الخلفي فيه لو سمحت".

أشعلت نادين الضوء وأعطته لآدم فوضع آدم الهاتف على باب الصندوق. مد رأسه قليلًا محاولًا رؤية النقش المحفور في ظهر الصندوق الداخلي وما أن وضع ضوء الهاتف عليه حتى قال مندهشًا: "لغز سيكادا؟!".

قالت نادين: "ماذا هناك؟".

كان آدم لا يزال صامتًا وهو يحاول التقاط صور متعددة لقلب الصندوق، وما أن انتهى حتى استدار نحو نادين وفتح الشاشة لتظهر صورة واضحة فيها أرقام يتوسطها رمز لغز سيكادا الشهير!

+1520 🦗 **106**

الفصل الثالث والخمسون

بكين - الصين

لغز سيكادا! ما علاقة وانغ لي بلغز سيكادا؟

كان آدم يقف بكل هدوئه وبرود أعصابه قاطبًا حاجبيه لدرجة أنه كان يحمل علبة سجائره دون أن يفكر في فتحها أو تناول سيجارة منها كعادته، بل كان يضرب بها حافة الطاولة بصمت لا أكثر. للمرة الأولى تشعر نادين أنه يحمل خلف ملامحه الإنجليزية الباردة إنسانًا لم تعرف البرمجة وجمودها طريقًا إلى قلبه. فآدم كان يحمل فوق صفحة وجهه العابسة والمختنقة دفء حنانٍ مستتر لا تدري لماذا شعرت به رغم الخوف الذي بات واضحًا لها؟

اقتربت نادين من آدم محاولة انتشاله من الحالة التي كان غارقًا فيها منذ أن رأى صورة لغز سيكادا تلك، فقالت وهي تنظر إلى الصورة: "أتعرف إلى ماذا ترمز حشرة السيكادا في الأدب؟" صمتت نادين للحظات وقالت: "هي رمز الخلود والحياة بعد الموت، فقد ظهرت في كثير من المصادر الأدبية كالإلياذة وغيرها، وأرسطو تغنى بصوتها الموسيقي الذي تشتهر به في قصيدته (أعمال وأيام). السيكادا تمتلك نغمة موسيقية متكررة كالإيقاع، بعضهم يراها ضجيجًا وآخرون يرونها سيمفونية طبيعية تسعى للبقاء وتتحدى الموت فتنهض من باطن الأرض بعد سنوات لتغزوها من جديد ولو بعد حين".

أكملت نادين بآلية بينما ذهن آدم لا يزال مشتتًا: "أما في علم الأحياء... فحشرة السيكادا لها دورة حياة تتراوح بين ثلاثة عشر عامًا وسبعة عشر عامًا. مما يعني حسب توثيق دورة حياتها الأخيرة أنها ستغزو الأرض في عام 2020 مجددًا!".

وربما لهذا السبب اتخذها مصممو لغز سيكادا شعارًا لهم!

قال آدم لنادين وهو لا يزال ينظر إلى الصورة التي أمامه: "في عالم البرمجة، سيكادا تعتبر أعقد لغز عرفه الإنترنت والذي لا يزال مجهول المصدر حتى هذه اللحظة، لذا أكثر ما يحيرني هو كيف يمكن لوانغ لي أن يكون ملمًا بكل هذه المواضيع البرمجية وهو عالم فيروسات وأوبئة؟".

وأكثر ما يقلقني أنه مع ظهور هذا الرمز بتنا متورطين أنا وأنت يا نادين!

توجهت نادين نحو شجرات البونساي الصغيرة الموضوعة على حافة المطبخ المطلة على الصالة واستخرجت مقصًا صغيرًا من أحد الأدراج وبدأت تقلم الشجرة قائلة: "لا علاقة لذلك بالأمر فأنا طبيبة ولكني أعشق علم اللغات والفن والموسيقى، إنها اهتمامات"، صمتت نادين ليصبح صوت المقص الذي علا المكان يقرع في رأس آدم كضجيج أزيز السيكادا. قالت بعد أن رأت الوجوم يرتسم على وجهه: "يبدو أنك أنت من لا يملك اهتمامات أخرى غير البرمجة، فوجهك تتغير ملامحه كلما دخلنا في تفاصيل برمجية".

ابتسم آدم وهو يستدير نحوها قائلًا: "اهتماماتك كانت مفيدة جدًّا حتى هذه اللحظة أيتها الصهباء".

قالت نادين وهي تقص أطراف الشجرة بدقة متناهية: "إذن تعترف بأن هذه الصهباء واهتماماتها هي من فتحت لك الطريق الذي كان مسدودًا أمامك منذ لحظات".

"بالطبع أعترف"، اقترب آدم منها ونظر إلى الشجرة الثانية الموضوعة جانبًا فأمسكها بين يديه وقال: "هل تحبين فن البونساي لتقليم الشجر؟".

"لا أدري، ولكنني تعلمته هنا ومع ممارسته المستمرة منحني لذة الصبر".

"وما نوع هذه الشجرة التي أحملها؟".

توقفت عن التقليم ونظرت إليه: "إنها شجرة القيقب الياباني.." صمتت قليلًا ثم أشارت إلى الشجرة التي أمامها وأردفت: "أما التي أقلّمها فهي شجرة الدرداء الصينية".

"ولِمَ الآن؟".

"ماذا تعني؟".

"لماذا قررت الآن تقليم الشجرة؟". صمت آدم للحظات ثم قال: "ربما كنت مبرمجًا ولكنني أستطيع قراءة التوتر على ملامح وجهك يا نادين".

صمتت نادين دون أن تعلق ولكنها بدأت تقص أطراف الشجرة بسرعة ما جعل الطرف الذي بين يديها يفقد شكله فوضعت المقص جانبًا وقالت بعصبية "ها... لقد أتلفت شكلها".

وقفت نادين متكئة على الحافة وقالت بعد لحظات من الصمت بينهما: "نعم أنا متوترة، فأنا لم أرك على هذه الحال من قبل، لذا أعتقد أن في قلب هذا اللغز ما هو أكبر من رمز حشرة تبث الموسيقى في عقول عشاقها والفوضى في نفوس البشر".

اتجه آدم نحو أقراص الفينيل التي لديها دون أن يعقب على كلامها الأخير وقال: "إذا كنت تشعرين أن السيكادا مصدر للموسيقى فأعتقد أن هذا يفسر وجود كل هذه الأقراص هنا". أمسك آدم بأحد الأقراص وقال: "هل أنت من محبّي فرقة كوين البريطانية؟".

"وهل هناك من لا يحب فريدي ميركوري؟ في حنايا كوين تحيا كل المشاعر ضمن لحظات".

ابتسم آدم ووضع القرص مكانه ثم حمل قرصًا آخر وقال: "وما هذا القرص المكتوب عليه باللغة العربية؟".

تركت نادين الشجرة وتوجهت نحو آدم قائلة: "إنها أقراص فينيل لمطرب عربي يدعى محمد منير يحمل في صوته سحر مدينة أسوان". نظرت نادين إلى القرص الموجود بين يدي آدم وقالت: "نحن العرب مهما ابتعدنا عن أراضينا ستبقى رائحة الأرض تعبق في قلوبنا أينما كنا".

كان الصندوق يحتوي على أقراص الفينيل المتنوعة وقرص آخر على الجهاز يبدو أنه لم يبرح مكانه من مدة طويلة، كُتب عليه "وجدت حبي في بورتوفينو - بوتشيللي".

انتبهت نادين بأن آدم كان يحمل الأقراص شاردًا: "ما بك؟ هل عجزت أمام لغز السيكادا؟".

أجاب آدم مبتسمًا بإنهاك: "هل تعتقدين ذلك؟".

سار آدم نحو الجهاز ثانية لتتبعه نادين فقال وهو يشير إلى الصورة "في عام 2012، نشر شخصٌ مجهولٌ رسالة على موقع 4chan، مفادها أن من يرى في نفسه الذكاء الكافي لحل اللغز المخبأ داخل الرسالة المنشورة فليبدأ بذلك، وما أن أعلن هذا الأمر حتى بدأ عشاق الإنترنت بفكه ولكن ما

اكتشفوه أثناء ذلك أنه ليس لغزًا واحدًا بل هو مجموعة متسلسلة من الألغاز المترابطة التي لم يحلها إلا أقلية لا تُذكر! ومن استطاع حله لا بد وأنه وصل إلى صاحب اللغز الذي كان هدفه منذ بداية اللعبة البحث عن أشخاص أذكياء يعمل معهم!".

قالت نادين وهي تتجه نحو شجراتها الصغيرة ثانية: "ألم يكن الأسهل له أن يعلن عن رغبته بموظفين بدلًا من كل هذا؟".

لم يكن هناك أحد يدرك أهمية لغز سيكادا - المعروف بلغز سيكادا 3301 - بقدر آدم ومختصي البرمجة وقراصنة الإنترنت وهواته. حاول الكثير تتبع مجموعة ألغاز سيكادا 3301 إلا أنها ما زالت مجهولة المصدر لذا كان دوما هناك اعتقاد بأنها وسيلة من وسائل التجنيد التي استخدمتها أجهزة ووكالات عسكرية متعددة مثل وكالة الأمن القومي الأمريكي ووكالة المخابرات المركزية وجهاز الاستخبارات البريطاني. ورجّح آخرون بأنها مؤامرة ماسونية تسعى لخلق عالم تنويري جديد من خلال استقطاب عباقرة العالم في البرمجة للتحضير لما هو قادم. أما آدم فكان يعلم جيدًا ككثيرين غيره أنه لم يحدث وأن نسب شخص أو منظمة هذا اللغز إلى نفسه ما جعله اللغز الأكثر حيرة وغموضًا في عالم الإنترنت. ولكن ظهور هذا اللغز الآن وبهذا التوقيت تحديدًا بعد كل ما وصله من وانغ لي يعني أنه ولا بد بات متورطًا في مجهول أكثر تعقيدًا من لغز سيكادا 3301 نفسه!

تمتم آدم بصوت قادم من بعيد وهو يتمعن بالرمز: "لا يوجد واقع حقيقي، فما قد يعتبر واقعًا قد يكون محاكاة".

قالت نادين: "ماذا تعني؟".

"إنها إحدى اقتباسات لغز سيكادا 3301 الشهيرة، فهل حقًّا ما نحياه حالة من الوهم؟".

"كل هذا الكون بقوانينه وهم؟!".

"إنها ليست الفكرة المجنونة الوحيدة لمبتكري لغز سيكادا 3301 فهم أيضًا من طرح جملة *(وجود دماغ عالمي يتكون من جميع الكائنات الحية والتكنولوجيا)*..". صمت قليلًا ثم أغمض عينيه كمن يحاول التذكر: "أعتقد أنها وردت في أحد ألغاز 2014..".

"ماذا تعني؟ ألم تقتصر هذه الألغاز على عام 2012؟!".

"بالطبع لا، إنها سلسلة بدأت في عام 2012 وانتهت في عام 2014 ولكن معظم مبرمجي العالم ينتظرون بشغف السلسلة القادمة منه".

نظرت نادين إلى آدم: "هل فكرت أن تحله يومًا؟".

رفع آدم وجهه عن الشاشة مبتسمًا وقال: "بل حللته ولكنني لم أكمله".

"لِمَ؟".

"لأنني كنت أعلم أنه سيقودني إلى حيث لا أريد".

"إلى أين؟".

"لا أعرف، ولا أرغب بمعرفة إلى أين، لذا توقفت عند اللغز الأخير".

"وهل كنت تفعل هذا في لغز كل عام؟".

"نعم..".

اقتربت منه نادين وهي تمعن النظر في الرمز: "كم أنت غريب؟ لماذا لم تكمله ما دمت تعرف الحل؟".

"لا أحد يعلم عمق الأمور وخفاياها بقدر مبتكريها يا صهباء... فنحن إن غرقنا في صلب الموضوع نجد أنفسنا بلا خيار". صمت قليلًا وأكمل: "وأنا قررت أن أكون حرًّا... لأكون آدم المبرمج لا أكثر".

هل أخبرك بما ينتظرنا يا نادين؟ من حقك أن تقرري القبول أو الرفض في دخول اللعبة!

خيم الصمت بينهما حينما اقترب آدم من شجرة نادين التي قلمتها بطريقة خاطئة. فرأت خطوط الإجهاد بوضوح أكثر على وجهه تحت ضوء المطبخ الخافت وقالت: "يبدو أن وانغ لي كان يعرف أنك أكثر من مجرد آدم المبرمج لذا ترك لك كل هذا".

"وكان يعلم أنك أكثر من طبيبة صهباء فترك لكِ كل هذا أيضًا".

وضعت نادين المقص جانبًا واقتربت من آدم وقالت: "أنا أعرف أنك هادئ الطباع في العادة، ولكن هدوءك هذه المرة غريب فأنت حتى لم تلقِ نظرات طويلة على الصورة ولم تعطِها اهتمامًا كباقي الأمور التي تركها وانغ لي".

"لأنها أبسط من أن أفكر فيها، فهذا الرمز ما هو إلا رقم هاتف في منطقة ما ليس أكثر".

"رقم هاتف؟!".

"نعم، ألم يلفت انتباهك اسم اللغز؛ لغز سيكادا 3301، فالأرقام كما هي مكتوبة واحد، خمسة، اثنان، صفر، وإذا استبدلنا رمز سيكادا برقمه الشهير ثلاثة، ثلاثة، صفر، واحد، ثم أكملنا باقي الرقم سيصبح لدينا رقم هاتف في دولة ما".

+1520 [cicada] 106

نقلت نادين الأرقام فوق ورقة بشكل سريع لتجد أمامها رقم هاتف واضح: 106 3301 1520+

"إنه رقم هاتف في ولاية أريزونا في أمريكا"، قالت نادين.

"أحقًّا ما تقولين؟".

"نعم بكل تأكيد 520 هو رمز ولاية أريزونا، نستطيع الاتصال الآن إذًا".

اقترب آدم من نادين وقال بنبرة يشوبها التوجس: "نادين، إذا رفعت الهاتف واتصلت الآن فذلك يعني أننا بتنا محاور رئيسية في قلب خطة لا نعرف إلى أي مدى ستأخذنا، فهل أنت على استعداد لذلك؟".

حدقت نادين إليه بصمت دون أن تجيب فأكمل آدم قائلًا: "سيكادا 3301 ليس مجرد لغز إنترنت عابر هنا.. إنه نقطة اللارجوع في مخطط وانغ لي لذا إذا وافقت على المضي قدمًا معي فلتعلمي أننا ربما بتنا في دائرة نار قاتمة لا نستطيع قراءة أقل تفصيلة في حناياها...". أكمل آدم كلامه حينما وجد نادين لا زالت صامتة وقال: "ولربما تكون نهاية هذه الرحلة مجهولة إلى حيث لا نعرف ما المصير، فهل أنت جاهزة لكل هذا؟".

استنشقت نادين نفسًا عميقًا وابتلعت لعابها حتى سمع آدم صوته من خلف حنجرتها البارزة ثم قالت: "وإن لم نكمل فمصير ما هو قادم مجهول أيضًا يا آدم، وربما لن نحيا حينها لنرى ما هو قادم... لعلنا في دائرة النار تلك نجد حلولًا، فما علمني إياه الطب أنه لا نتائج حتمية بلا تجربة حتى وإن كانت مريرة".

"يمكن أن أكمل الطريق وحدي إن شئتِ...".

"لو كان ذلك ممكنًا لما جمعنا وانغ لي معًا من البداية لقد كان له غاية في جمعنا...". صمتت نادين قليلًا وابتسمت لتتحول ملامح وجهها العملية إلى صفحة دافئة ثم قالت: "في لغتنا العربية هناك مثل يقول: لغاية في نفس يعقوب... لذا أعتقد أن علينا الاستمرار معًا".

أخرجت نادين سماعة الوايرلس من جيب آدم ووضعت واحدة في أذنها ثم ناولت آدم الثانية وقالت: "فلتتصل الآن...".

اعتلت نظرة شك آدم للحظات. ضغط زر الاتصال. ثم وقف هو ونادين منتظرين الرد معًا ليقول الطرف الثاني: "ألو..".

أجاب آدم: "ألو من معي؟".

أجاب الرجل على الهاتف قائلًا: "كنت أنتظر اتصالك هذا بفارغ الصبر منذ وفاة وانغ لي، لا بد أنك تحمل كل الوثائق بما فيها تقرير البنتاغون وملف الكلاود".

فغرت نادين فاهها وأغلقته بكفها حينما أشار لها آدم بأن تهدأ وقال: "من أنت؟".

"أنا ديفيد إستي، إنني في سنغافورة وأعتقد أنه حان لنا أن نلتقي".

"حسنًا أراك في سنغافورة".

"غدًا إن استطعت ما دمت تقيم في الصين..". اندهش آدم من معرفته لمكان إقامته ولكن ديفيد أكمل كلامه قائلًا: "ما دمت اتصلت بي فأنت تعلم أنك بت في دائرة الخطر، فلتحذر أثناء قدومك إلى هنا، فأنت منذ هذه اللحظة بت تحت المراقبة بكل تأكيد!".

أغلق آدم الهاتف بصمت وهو يحدق إلى نادين دون أن يعلما إن كان اتصالهما هذا فعلًا نقطة اللارجوع في مخطط وانغ لي المجهول أم أنهما تورطا في أعظم مؤامرة سيعرفها الجنس البشري؟

الفصل الرابع والخمسون

روما - إيطاليا

بدأ الخوف الإيطالي يسري في ساحة البانثيون من خلال قلة عدد وارديها، فالمدينة التي لم تخضع للحجر الصحي كانت تتوجس الحذر بسبب قرار الدولة بفرض الحظر على إحدى عشرة بلدة من بلدات إقليم لومبارديا شمال إيطاليا بعد ظهور عدد من المصابين بالكورونا وبداية إعلان وفاة بعضهم في الإقليم.

كانت مارتينا تجلس على الشرفة بصمت ترتشف فنجان قهوتها حينما جلس روبرتو قبالتها متناولًا كوبه هو أيضًا وقال: "تبدو المدينة هادئة رغم الموجودين وهذا ما لم أعتده فوق شرفتي، ففوضى النهار في روما كانت دوما هي مصدر أنسي في غيابك".

نهضت مارتينا من مكانها ووضعت كفيها فوق كتفي روبرتو وبدأت بعمل تدليك خفيف له: "ولكنني هنا، فلا حاجة لك لأنيس".

بدأ روبرتو يحرك رقبته المتصلبة ببطء مع تدليك مارتينا الهادئ. "لقد أقفلت قضية أندريه إستي اليوم بشكل رسمي وأخبرت الجنرال بذلك".

أمسك روبرتو بكفيها ليوقفهما وجرها نحوه ليضعها في أحضانه قائلًا: "لقد قدمت الكثير للحفاظ عليكِ يا مارتينا فأرجو منك التوقف عن التهور فقط بسبب تقلبات مزاجية تلعبها كيمياء دماغك بين الحين والآخر".

جلست في أحضانه تتدلل وهي تمرر كفها فوق ذقنه التي باتت خشنة وبحاجة لحلاقة. "هل تعتقد بأنني مجنونة؟".

"لا أدري، ولكنني أعلم أنني احبك بكل تفاصيلك الهائجة، فتوقفي لأجلي فما عدت قادرًا على وجودك المحفوف بالخطر بين الحين والآخر".

قالت بنبرة مستنكرة وهي تنهض من أحضانه: "ومن يرغب بأن يحف بالمخاطر يا عزيزي؟" صمتت قليلًا ثم أخذت تشير إلى المنظر الذي كان الخوف يعتليه بخجل أمامها وقالت: "لا أحد، ولكن حتى البانثيون بجموده وبرودة جدرانه بات الخوف والخطر يسري في أوصاله وستسكن الوحدة شقوقه على ما يبدو في الأيام القادمة".

كان روبرتو يعلم جيدًا أن الخوف القادم لم يحل فوق أراضي إيطاليا بعد! فلومبارديا المحظورة بكل قاطنيها الآن لم تكن تعلم بأن الموت سيزحف فوق شوارعها الضيقة ومعالمها الواسعة ليحصد أرواح سكانها ببطء دون وداع ودون دموع كما فعل هو بأندريه!

رن هاتف مارتينا ليقطع شرود روبرتو لتصرخ بعد حوار متقطع علته الصدمة قائلة: "ماذا تقول يا عمي؟ سآتي فورًا".

وضعت مارتينا الهاتف واقترب منها روبرتو مسرعًا وهو يتساءل بخوف: "ماذا هناك؟".

لم تستطع مارتينا الرد وناولت روبرتو الهاتف الذي قال "أبي ماذا حصل؟" صمت روبرتو قليلًا ثم قال: "أبي أرجوك حاول أن تعقم نفسك جيدًا وابتعد عن العم لوكا، إياك أن تقترب منه. أنا سأرسل الآن فرقة خاصة لتقوم بتعقيم المنزل بالكامل. أرجوك ابتعد عنه ولا تقترب من كل

ما يتعلق به من ممتلكات. هل فهمتني يا أبي؟ أرجوك افعل ما أطلبه منك".
أقفل روبرتو الهاتف واقترب من مارتينا التي كانت ترمقه بشزر وسط دموعها المبعثرة فوق وجهها المختنق وشعرها المتناثر من الهواء الذي بات يعصف حولها ليعكس الثورة التي علتها وهي تقول بعصبية: "ينقلون أبي إلى المستشفى لأنه مصاب بالكورونا وأنت كل ما يهمك ألا يقترب والدك منه؟".

اقترب روبرتو من مارتينا ليحاول تهدئتها فأبعدت يديه عنها بقوة وقالت: "ابتعد وإياك أن تقترب".

قال روبرتو بنبرة حانية وهو يقترب منها محاولًا تهدئتها: "مارتينا حبيبتي...".

صرخت مارتينا في وجهه وقالت: "إياك.. إياك أن تقولها ثانية". بصقت على أرض الشرفة وقالت وعيناها تتقدان نارًا "أنا أشعر بالقرف منك".

أزاحت الطاولة التي أمامها فسقطت الأكواب التي فوقها على الأرض لتنكسر. سارت فوق الشظايا بلا وعي وبدأت الدماء تسيل من قدميها لتملأ أرضية الشقة. ذهبت إلى الباب حيث معطفها ومفاتيح سيارتها معلقان هناك. أمسك بها روبرتو ليحاول تهدئتها. "لقد جرحت قدمك ماذا تفعلين؟".

"ابتعد عني، قلت لك".

"سأبتعد ولكن دعينا نعالج الجرح أولًا".

"لا شأن لك بي، هل فهمت؟".

تناولت معطفها ولبسته بسرعة وحملت مفاتيحها لتخرج فأمسكها روبرتو بقوة وقال: "إلى أين أنت ذاهبة؟".

نظرت إليه باشمئزاز "إلى أبي الذي تخاف أن يلمس والدك مقتنياته!". صمتت قليلًا وقالت بألم: "سأذهب لأعقم حاجياته يا حضرة المحقق بدلًا من أن يُصاب والدك بالعدوى؟".

منع روبرتو مارتينا من المرور من الباب وقال: "لن أدعك تدخلين إقليم لومبارديا حتى لو كلفني ذلك عمري، هل تفهمين؟".

حاولت مارتينا إزاحته عن الباب بعصبية وقالت: "ابتعد يا روبرتو عن طريقي".

"لن تغادري المكان أبدًا... فلربما قد حان الوقت لفقدان أحد والدينا ولكنني لن أفقدك أنت، هل تفهمين؟".

لمعت عينا مارتينا مصدومة كمن فرّ الكلام من فمها ثم قالت: "ماذا تعني؟".

اقترب منها روبرتو وخلع المعطف عن كتفيها اللتين سقطتا بارتخاء من شدة الصدمة. "أعني.. دعينا نتألم لفقدان من نحب سويًا، فوطأة الألم ستكون أقل حدة بوجودنا معًا".

نظرت إليه مارتينا بنظرة يملؤها الخوف للمرة الأولى في حياتها فهي من لم يرتجف قلبها يومًا لكل من قتلت! استطاع فيروس صغير أن يبث الرعب في نفسها على من تحب لتعلم أن وجع فقدان أندريه وغيره لم يكن سهلًا وكم كانت هي قاسية!

عانقت مارتينا روبرتو بجسد مرتعش يعلوه الخوف. "لا أريد لأبي الموت... يا روبرتو".

رفع روبرتو وجهها المرتعد وقال: "لا أحد منا يريد الموت لمن يحب، ولكنه الحقيقة الوحيدة على هذه الأرض يا حبيبتي".

اقتربت مارتينا من روبرتو وبدأت تقبله بشغف ممزوج بالخوف وأخذت تقول وسط القبل: "هل هكذا كان طعم الألم الذي سببته لذوي من قتلت؟!".

قال روبرتو وهو يهيم في حنايا شعرها المبعثر فوق شفتيه: "وربما أكثر!".

"إذًا لا أريد أن أتألم".

ليتنا نستطيع ألّا نتألم...!

ضمد روبرتو جراح مارتينا وهو لا يعلم أنه سيأتي وقت قد يحتاج فيه إلى تضميد جراح إيطاليا كلها، فهل سيقوى على ذلك؟



الفصل الخامس والخمسون

لندن - بريطانيا

أحاط رتزل هدوء مغلف بالغضب المستتر وهو يقف في وسط مكتبه متصلًا "روبرتو... لِمَ لم تنتهوا من لؤي بعد؟".

"إنه كثير التنقل... كلما وصلنا إلى مكان سكنه، سبقنا بخطوة!".

"عليك أن تنهي الأمر...".

"هذا ما يفعله دياسايد".

"توجهوا إلى ديفيد فلا بد أن لؤي برفقته..."، صمت رتزل قليلًا ثم أردف: "وتخلصوا من ديفيد فإنه يعرف الكثير!".

اقفل رتزل الهاتف ووضعه جانبًا.

حان الوقت للاثنين أن يرحلا...

الفصل السادس والخمسون

سنغافورة - سنغافورة

كانت الحياة تحت الأرض صاخبة تمامًا كفوقها في سنغافورة، فالناس هناك لا يستغنون عن قطاراتها الموجودة تحت أرضها كوسيلة نقل أساسية. ركب آدم ونادين القطار ليصلا إلى قلب المدينة حيث المارينا وتمثال المارليون وحدائق الخليج وأعلى عجلة دوارة في العالم التي تستطيع رؤية ثلاث دول أثناء ركوبها؛ سنغافورة، وماليزيا، وأندونيسيا. وخلال تنقلهم السريع وصلت نادين وآدم إلى شارع أورتشارد العريق والشهير بأسواقه، ذلك الشارع الذي يروي قصة نهوض سنغافورة. فمجرد مرورك بين مبانيه الضخمة ومحلاته المضاءة يجعلك تدرك أنك لست في مدينة عادية بل في مدينة متناغمة بين الزمن والمال والتكنولوجيا.

توقف آدم للحظات وقال: "هذا هو المكان المطلوب حسب اتصاله الأخير ونحن نغادر المطار".

"ولِمَ هنا في قلب الزحام؟".

أجاب آدم وهو يقترب من إحدى واجهات المحلات المختصة ببيع أكسسوارات الهاتف الخلوي من سماعات وغيرها: "لا أدري... ولكن المكان رائع للتسوق".

"أحقًا ما تقول يا آدم؟".

"ما دمنا في أشهر شارع تجاري في العالم فلِمَ لا؟".

قالت نادين هامسة بنبرة متوترة: "لأن ديفيد ذاك قال لك إننا بتنا تحت المراقبة".

"هل أنت خائفة أيتها الصهباء؟".

"بل حذرة، وأنت على ما يبدو تنازلت عن حذرك كله".

"هدئي من روعك فنحن في سنغافورة".

"ولكنها محقة، عليك الحذر أكثر فكلمة تحت المراقبة لا تستثني أي منطقة في العالم كله". قاطعهما صوت ديفيد من خلفهما وهو يعتمر قبعة رياضية ونظارة رغم هبوط الليل، انتفضت نادين وقالت: "أفزعتني.. من أنت؟ وكيف تتجسس على حوارات من حولك؟".

رفع ديفيد النظارة عن عينيه وقال: "نادين؟ ماذا تفعلين هنا؟".

رمقت نادين ديفيد بنظرة مصدومة. "ديفيد هذا أنت! غير ممكن أنت من كلمنا ونحن في الصين؟!".

"نعم أنا، لنغادر".

تبع آدم ونادين ديفيد الذي كان يركن سيارة صغيرة في عتمة زقاق ضيق بجانب شارع أورتشارد الذي بدأت أضواؤه تخبو شيئًا فشيئًا حتى غاصوا جميعًا في عتمة ليل حالكة لم تعتقد نادين أنها ستجدها في بقعة من بقاع سنغافورة يومًا ما. ركب الجميع السيارة؛ كانت نادين تجلس في الكرسي الخلفي حينما كسرت السكون الذي يخيم على السيارة وآدم الذي علاه الصمت منذ لحظة وصول ديفيد بتلك الطريقة، فوصوله ذاك جعله يعلم بأنه واحد من أقوى قراصنة الإنترنت ومبرمجيها على الإطلاق! وهذا ما أكده وشم سيكادا 3301 الموجود على رسغه وهو يشعل السيارة!

وشم سيكادا 3301! في أي فخ وقعت؟

"كيف عرفت مكاننا؟" قالت نادين.

ابتسم ديفيد في المرآة وهو ينظر إلى نادين: "هل تعتقدين أن أمرًا بسيطًا كهذا سيستعصي عليّ؟". صمت قليلًا ثم نظر نحو آدم الذي يجلس بهدوء كعادته ولكن يعلوه توجس لا يشعر به سوى آدم نفسه وقال: "أعتقد أنه حتى آدم يعرف سهولة أن تتعقبي هاتف أحدهم بمجرد أن تجري مكالمة معه، أليس كذلك؟".

صمت آدم للحظات مرت ثقيلة في قلب السيارة حينما قال: "توقف...".

قال ديفيد وهو لا يزال يقود السيارة: "ماذا؟".

أجاب آدم ببرود جليدي جعل ديفيد يرتبك: "قلت لك توقف...".

توقف ديفيد عن القيادة وأطفأ السيارة كاملة وقال: "ما بك؟".

"من أنت؟".

"لقد أخبرتك سابقًا، أنا ديفيد إستي".

وضع ديفيد كفه المنقوش بوشم سيكادا 3301 على مفاتيح السيارة ليشعلها ثانية وقال: "ولا نمتلك الوقت الكافي للتساؤلات؟".

كان آدم يحدق إلى الأفق الأسود الخالي الذي أمامه كتمثال ثم قال بآلية: "كيف عرفت اسمي وأنت لم تكن تعرف من كل شيء سوى وانغ لي وأوراقه؟".

نزل آدم بشكل سريع وتناول مسدسًا من حذائه ووضعه على خاصرة ديفيد وقال بنبرة كالفحيح وهو يستدير نحو نادين: "من أنتِ يا نادين؟ وما هو هدفك من كل هذا؟".

اندهشت نادين قائلة: "ماذا تقصد؟".

ضغط آدم على زناد المسدس وقال لديفيد: "يمكن لأي أحد أن يتتبع مكان هاتف أجريت عليه مكالمة ولكن لا يمكن له أن يعرف تفاصيلي من خلال مكالمة!".

اقتربت نادين من آدم وهي تقول: "آدم، أنا لم أخبره شيئًا". اختفى صوت نادين تدريجيًّا من رأس آدم الذي غاب عن الوعي بعد أن قام ديفيد بحقنه في عنقه فجأة. سحب ديفيد المسدس من يد آدم الذي خارت قواه، أغلق الزناد، نظر إلى نادين المرتعدة خوفًا وقال: "علينا أن نسرع... فلا وقت لدينا".

الفصل السابع والخمسون

سنغافورة – سنغافورة

سار آدم بخطوات غير ثابتة كمن يطفو فوق سحابة، ومزيج الأصوات من حوله بعيد جدًّا كأنه قادم إليه عبر أثير. حاول الارتكاز أثناء سيره ولكن كانت قدماه لا تتحركان حتى شعر بأنه لا يسير أبدًا، فهو لا يزال يقف عند نفس النقطة. وفجأة اختفى الجدار الذي يتكئ عليه ليرى هاوية سوداء عميقة تحت قدميه يقف على حافتها مانعًا نفسه من السقوط. يحاول التشبث باي شيء ولكن لم يكن هناك سوى الفراغ لا أكثر، ومزيج الأصوات الأثيرية من حوله تقترب أكثر وهي تنادي: "آدم....".

شعر آدم بضوء خفيف يتسلل إليه من بعيد والصوت يقترب أكثر لينادي: "آدم....".

بدأ الضوء يصبح أكثر وضوحًا والهاوية العميقة تتلاشى عندما اتضح الصوت أكثر وهو يقول: "آدم... هل أنت بخير؟".

كانت نادين تسلط الضوء على عينيه المتحجرتين وقالت: "أجبني هل أنت بخير؟".

وقف ديفيد بجانبها قائلًا: "هل أنت متأكدة بأنه على ما يرام؟".

"نعم.. فمن المفترض أن مفعول الحقنة قد بدأ بالزوال". سارت نادين باتجاه المكتب وأحضرت بعض الماء وقامت بمسح وجه آدم الذي بدأ يستعيد وعيه وقالت: "هل تسمعني؟".

زاغت عينا آدم فيها وقال بنبرة ثقيلة: "لم أتوقع منك الخيانة".

نظرت نادين إلى ديفيد: "لقد استعاد وعيه".

جلس آدم على الأريكة التي كان مرتميًا فوقها ووضع رأسه بين كفيه وقال وهو يصك على أسنانه: "رأسي يؤلمني...".

"لا تقلق ستصبح بخير في غضون ساعة... اشرب الماء".

نظر إليها بعينين متثاقلتين وهو يستعيد ما حدث معهما بالسيارة. فوجود نادين بكامل قوتها أمامه مع ديفيد يعني أن ما تسرب إليه من شكوك لا بد وأنه صحيح فقال بنبرة ساخرة: "ماذا أشرب هذه المرة أيتها الطبيبة؟".

حاول آدم الإمساك بالكوب ولكن كاد أن يسقط منه، فأمسكت نادين كفه التي تحمل الكوب وساعدته ليشرب الماء وقالت وهي تنظر إليه: "إنه ماء يا آدم لا أكثر...".

ضحك آدم بتقطع وببطء وهو يقول: "وهل عليّ أن أصدقك؟".

"نعم".

ابتسم آدم ابتسامة باردة ثم شرب الماء دفعة واحدة. ناولته نادين علبة سجائره. "التدخين في المناطق العامة في سنغافورة ممنوع ولكنه مسموح هنا، أليس كذلك يا ديفيد؟".

أجاب ديفيد شاردًا وهو يقلب كل ما يمتلكون من وثائق تركها وانغ لي: "بالطبع..".

قالت نادين وهي تشعل السيجارة لآدم الذي تناولها منها ببطء بعد أن شعر أنه بدأ يستعيد وعيه: "لماذا تشك بي يا آدم؟ أنا هي نادين الصهباء التي شاركتك كل ما مررنا به في الصين دون أن أعرف ما الهدف منه".

نهض آدم وهو يحاول ألّا يفقد اتزانه وقال بعصبية: "هل تعتقدين أن حيلتك هذه ستنطلي عليّ؟".

وقفت نادين بجانبه لتسنده. "أي حيلة؟ لم أكن أعلم شيئًا فأنا مثلك تمامًا، تفاجأت بما فعله ديفيد في السيارة".

"ولكنك تعرفتِ إليه بمجرد أن رأيتِه".

"أعرفه لأنه ديفيد، صديقي أنا ولؤي منذ زواجنا". صمتت نادين للحظات ثم تنهدت وقالت: "صدقني، هذا كل ما في الأمر". اقترب آدم منها وهو يرفع وجهها نحوه قائلًا: "ولهذا أخبرت ديفيد كل ما يتعلق بي ثم قمت بتخديري؟".

قاطعه ديفيد قائلًا: "توقف عن التحقيق معها بهذه الطريقة، أنا من عرف تفاصيل معلوماتك، الآن بات عليك أن تهدأ فنحن لا نملك الوقت الكافي لهذا النقاش...".

جلس آدم على الأريكة محاولًا استيعاب الأحداث التي مر بها وأكمل ديفيد كلامه وهو يحمل الأوراق والوثائق: "لقد كان عليّ أن أستلم كل هذه الوثائق ولكن موت وانغ لي حال دون ذلك فكان الاتفاق بيننا أن يتم إرسالها مع من يتصل بي في حال وفاته. لذا عليك أن تعلم أن وانغ لي هو واحد منا".

"ومن أنتم؟".

سار ديفيد باتجاه الشاشات التي تملأ الغرفة وقال: "ذلك غير مهم".

وضع آدم رأسه بين يديه وقال: "وماذا بعد؟".

"ما بعد هو الأخطر على الإطلاق، ربما انتهت مهمتك ونادين هنا ومهمتي قد بدأت!".

نظر آدم إلى ديفيد بنظرة يشوبها الشك، ورغم ذلك كان يعلم بأنه لا يملك خيارات أخرى!

الفصل الثامن والخمسون

ميلانو - إيطاليا

كانت مارتينا تقود سيارتها بسرعة جنونية تطوي الطرق المؤدية إلى إقليم لومبارديا حيث والدها الراقد في المستشفى هناك منذ أيام في ميلانو تتراجع حالته يوميًا. وأما اليوم بالذات فقد اتصلت بها إحدى الممرضات لتخبرها أن والدها قد تم نقله إلى قسم العناية المركزة لتدهور حالته الصحية فأنفاسه المتقطعة لم تعد تستطيع مد جسده بالطاقة اللازمة لصموده ضمن غرف العزل الطبيعية وبات عليه المكوث تحت جهاز التنفس الاصطناعي. في تلك الأثناء صدح ضجيج هاتفها ليشرخ هدوء المكان حولها بقوة ما جعلها تمسكه وتفتح نافذة السيارة لتلقي به خارجاً علّ ضجيجه يتوقف عن إزعاجها وهي تمضي على قارعة الطريق. توقفت فجأة على حافة الشارع وعادت بسيارتها إلى الوراء بسرعة دون أن تولي أي اهتمام للسائقين المتجهين في طريقهم المعاكس لها ما جعل أحدهم يصرخ عليها من نافذته قائلًا: "ماذا تفعلين يا مجنونة؟ أنت تقودين بطريقة معاكسة لخط السير".

لم تعره انتباهًا وعادت حتى وصلت إلى حيث ألقت هاتفها، ركنت سيارتها جانبًا ثم قامت بإشعال الضوء الرباعي للسيارة ونزلت منها بسرعة أخذت تجول في المكان بحثًا عن هاتفها الذي ألقته ولكنها لم تجده. سارت بين الأعشاب والأتربة ولكن بلا فائدة. هذت بصوت مرتبك وهي

تضرب بكفها فوق رأسها وتمرر أصابعها بين خصلات شعرها المبعثرة تحت ياقة المعطف: "يا إلهي! من الذي كان يتصل؟ هل هو المستشفى؟ ماذا فعلت بنفسي؟ هل جننت؟".

سارت وهي تتخبط في التراب المرتمي تحت قدميها وأكملت تمتمتها قائلة: "لو أنني لم ألقه من النافذة، لا بد أنه تحطم، هل حدث لوالدي شيء؟ ألهذا لم يتوقف الهاتف عن الرنين؟" وفجأة رن هاتف ملقى على الأرض بصوت ضعيف فأخذت تجري اتجاهه بسرعة. أخرجته من بين العشب وكان الغلاف الجلدي المحيط به قد ساعده على الصمود بعد أن قذفته من النافذة. أصبح يرن ولكن بشاشة مكسورة لا تستطيع استعمالها، فتناولت هاتفها ووضعته في السيارة قامت بتفعيل خاصية البلوتوث في سماعات السيارة رغم كرهها الشديد لضجيجها أثناء قيادتها. رن الهاتف مجددًا فأجابت بسرعة "ألو، نعم".

"أين أنت؟".

"روبرتو هذا أنت؟ هل أنت من كنت ترن طيلة تلك المدة؟".

"ألم تشاهدي سجل المكالمات لديك؟ لقد رننت ما يقارب الثلاثين مرة!".

"أجعلتني أتوقف وسط الطريق وابحث عن هاتفي في كل مكان من أجل ثلاثين اتصالًا لا أرغب بالرد عليها! ماذا تريد؟".

"أخبريني أين أنت؟".

"أنا في طريقي إلى ميلانو، لقد اقتربت من إقليم لومبارديا".

"ألم أخبرك ألا تذهبي إلى هناك؟ لن تصلي ميلانو فالإقليم كله محظور".

"لا يهمني، سأذهب لأرى والدي".

"لماذا لم تنتظريني لآتي معك".

"لأنك لن تفعل".

"عودي الآن فما تفعلينه ضرب من الجنون".

"لـن أعـود، وداعًـا الآن ولا تتصـل لأنـني لـن أرد". أقفلـت مارتينـا الهاتف دون أن تترك مجالًا للنقاش بينها وبين روبرتو.

وصـلت مارتينـا مـدخل إقليـم لومبارديـا حيـث معـالـم الحيـاة كانـت مختفية تمامًا هناك، فالشوارع مهجورة من كل شيء عـدا دوريـات الشـرطة التي تستوقف كل قادم وتعيده من حيث أتى. وما أن أوقفت سيارتها حتى قال لها الشرطي من بعيد: "سيدتي عليك العـودة مـن حيـث أتيـت فـالإقليم تحت الحظر".

صمت قليلًا ثـم أشـار لأحـد الضبـاط الـذين معـه أن يحضـروا كمامـة وقفازات وجهاز تعقيم ليعقموا السيارة فقالت له: "سيدي الضابط، والـدي في المستشفى وعليّ رؤيته لقد تم نقله إلى العناية المركزة".

استدار الشرطي نحوها وقال بنبرة آسفة: "أعتـذر يـا سيدتي ولكـن لا يمكن لنا السماح لكِ بالدخول".

"أنـا لا أطلـب الإذن بالـدخول، أنـا سـأذهب إلـى ميلانـو الآن فـأرجو منك الابتعاد عن طريقي".

"أنا أقدّر ما تمرّين به من ظرف صعب ولكن لا يمكنني السـماح لـك بذلك فهذه أوامر عليا".

"لا تهمني أوامرك العليا يا حضـرة الضـابط، فأنـا أريـد الـذهاب لأرى والـدي". في تلـك الأثنـاء بـدأ هـاتف مارتينـا بـالرنين ففتحـت بـاب السـيارة

ونزلت منها ليبتعد الشرطي عنها مسافة لا تقل عن مترين وقال بصوت مرتفع: "سيدتي أرجو أن تتقيدي بتعليمات السلامة فذلك خير لكِ ولنا". اقترب شرطي آخر يرتدي ملابس وقائية وحاملًا جهاز التعقيم. ناولها كمامة وقفازات وقال لها من خلف القناع الواقي: "أرجو منك أن ترتدي هذه".

أمسكت مارتينا الكمامة والقفازات ووضعتهما في جيبها فقال لها الشرطي: "ارتديها، أرجوك".

قامت بوضع الكمامة على وجهها وقالت "أريد الدخول إلى ميلانو الآن".

"لا نستطيع أن نفعل شيئًا حيال ذلك". اقترب الشرطي من سيارتها وقام بتعقيم السيارة وقال بعد أن انتهى: "أرجو منك المغادرة الآن". نظرت إليه مارتينا بهدوء ثم بحركة خاطفة أخرجت المسدس الموجود في معطفها ووضعته على رأس الشرطي وقالت: "أنت مغلف بثيابك وأنا ارتدي هذه الكمامة التافهة، لذا أعتقد أنه لا كسر لتعاليم السلامة إن قتلتك بهذه الطريقة".

رفع الضابط الذي يقف قبالتها مسدسه فأشار له الضابط بالهدوء وإنزال السلاح: "أنا لا مانع لديّ من دخولك لميلانو ولكنه غير مسموح قانونيًا فالإقليم كله تحت الحظر الكلي".

قالت مارتينا وهي لا زالت تضع السلاح على رأسه: "وأنا بعد التعقيم الذي بخخت به سيارتي أعتقد أن دخولي إلى ميلانو بات آمنًا".

"سيدتي.." قاطعته مارتينا بصوت بارد اقشعر بدنه له من تحت ثيابه الواقية: "والدي يحتضر ولن أسمح لقانون غبي أن يمنعني من وداعه".

فجأة اقترب رجل من خلفها اختطف السلاح من يدها وقال "هل جننتِ؟".

سحبها روبرتو جانبًا وقال بعصبية: "ماذا تفعلين؟".

"سأرى والدي".

وضع روبرتو السلاح على جنبه وتوجه نحو الشرطيين وقال بنبرة رسمية "أعتذر يا سيدي، أنا روبرتو جوفاني".

اقترب أحد الضابطين قليلًا من روبرتو: "سيد جوفاني، سعيد برؤيتك. لقد سمعت عنك كثيرًا، ولكن هل تربطك أي علاقة بهذه السيدة؟".

"نعم، أعتذر منكما ولكنها تحت تأثير صدمة الخبر، فوالدها مصاب بفيروس كورونا لذا أرجو منكما ألّا تفهما الموضوع بطريقة خاطئة".

"لا بأس يا سيدي".

"أشكر تفهمكما وأعتذر عما حصل".

أشار الرجل الذي يرتدي ثيابه الواقية بلا بأس عندها أكمل روبرتو قائلًا: "هل تسمحان لي بترك سيارتها هنا وأنا سأرسل أحد رجالي لنقلها إلى روما".

"لا تقلق سيد جوفاني، بالطبع اتركها". حيا روبرتو الضابطين من بعيد وهو يرتدي كمامته وقفازاته وأشار لمارتينا بركن سيارتها جانبًا والصعود معه.

"هيا بنا".

"سنذهب إلى ميلانو".

"لن نستطيع دخول ميلانو".

"سأدخل ميلانو لأرى والدي".

"لن يحدث ذلك، هيا بنا الآن"، جرّها إلى السيارة وفتح الباب ثم أدخلها بسرعة. أغلق باب السيارة وانطلق عائدًا إلى روما. صرخت مارتينا بصوت عصبي: "ما الذي تفعله؟ قلت لك أريد رؤية والدي، سأدخل ميلانو ولن يمنعني أحد أتفهم، أعدني الآن". أكمل روبرتو قيادة السيارة وهو صامت ومارتينا لا تزال تصرخ هاذية بكل ما جال في خاطرها. فقالت لروبرتو بصوت متحشرج "عليك أن تعيدني إلى ميلانو، عليّ أن أكون إلى جانبه لحظة رحيله، عليه أن يرحل وأنا أنظر إلى عينيه فهو يخاف أن يموت وحيدًا".

صمتت قليلًا ثم نظرت شاردة إلى النافذة التي كانت تطوي المناظر أمامها وقالت بصوت علاه اليأس: "والدي لن يدفن في سيينا يا روبرتو، فالعجوز لوكا لن يشيعه حي الكايتشولا وسكانه، ولن تودعه أحصنة الباليو بصهيلها وحوافرها التي كانت تنهب الأرض يوم السباق لينتعش هو وتحتضر الأتربة، العجوز لوكا غادر الحي والباليو وها هو يغادرني بلا وداع بعد أن أمضى عمره كله لأجلي... ولن يكون له حتى شاهد قبر أضع الزهور فوقه لحظات اشتياقي إليه". تنهدت وسط دموعها الحارقة وقالت: "عليّ أن أراه". استدارت نحو روبرتو بوجه يائس وقالت: "أرجوك يا روبرتو توقف، أعدني إليه".

أوقف روبرتو السيارة فجأة ثم استدار نحو طريق العودة إلى ميلانو. حدقت مارتينا إليه من بين الدموع لتدرك أنها تحبه بكل تفاصيله، بعنفوانه وقوته وحتى فساده، تحبه بكل ما فيه لأنه يعرف كيف يحبها ولكن دون أن يدرك لماذا يحبها؟!

وقف روبرتو أمام دورية شرطة أخرى غير التي كانت هنا فقال وهو يقترب من الضابطين الجديدين "عمتما مساء يا ". وضع يده المغلفة بالقفاز في جيبه وأخرج منها شارته قائلًا "أنا روبرتو جوفاني" وما أن أكمل جملته حتى رن هاتفه. أجاب على الهاتف بأنفاس متقطعة من خلف الكمامة. أغلق هاتفه. توجه نحو سيارته حيث خرجت مارتينا من السيارة وهي تسير مسرعة باتجاهه قائلة: "هل سندخل ميلانو؟".

اقترب روبرتو منها وأمسك كتفيها بذراعيه وقال بنبرة هادئة: "مارتينا حبيبتي... لم يعد هناك حاجة لدخول ميلانو". تنهد وهو ينظر إلى عينيها الدامعتين: "العجوز لوكا رحل".

رمقته مارتينا بعين ممزقة وسقطت بين ذراعيه غائبة عن الوعي دون أن تدرك أنها مع سقوطها هذا سقطت كل التفاصيل التي جمعتها بالعجوز لوكا يومًا ما.

الفصل التاسع والخمسون

سنغافورة – سنغافورة

وقف آدم أمام مغسلة صغيرة معلقة على جدار الغرفة يحاول غسل وجهه ببعض الماء بعد أن استعاد وعيه تمامًا، اقتربت منه نادين وهي تسأله "هل ما زلت تشعر بدوار؟".

"لا.."، صمت قليلًا وهو يستمع للأصوات من حوله. "يبدو أننا تحت شوارع سنغافورة...".

أجاب ديفيد وعيناه لا تزالان معلقتين بالورق والوثائق "هذا صحيح".

جلس آدم على الأريكة وقال مستفسرًا والشك لا يزال يساوره "ما دامت مهمتنا انتهت فلماذا نحن هنا الآن؟".

"سأحاول تهريبكما غدًا إلى الصين ثانية ولكن علي التأكد أنكما في مأمن".

قال آدم وهو ينفث الدخان عاليًا: "مأمن مِمّن؟".

أجاب ديفيد وهو يقترب من آدم "أنت محق فكيف ستعرف ما نحن فيه وأنت لا تملك سوى بضع وثائق غير مكتملة".

"إذن أكملها..." قال آدم ببرود ونادين تقترب منه لتجلس بجانبه.

اتكأ ديفيد على حافة مكتبه حينما قال: "إن فيروس كورونا ليس وباء سيغزو الأرض كما هو معتقد...". صمت قليلًا ثم أكمل: "إنه البوابة الجديدة للثورة الصناعية الرابعة".

قالت نادين: "ماذا تعني؟ إن الثورات الصناعية الثلاثة هي من غيرت ملامح التاريخ ووجود ثورة رابعة يعني أن الكرة الأرضية ستنفجر إلى ما يغير ملامحها من جديد".

كانت نادين تعلم جيدًا أن الإنسان بمراحل تطويره المتعددة قد غير ملامح هذا العالم عدة مرات، ففي بداية حياته البسيطة لم يكن سوى مخلوق بشري لا يتقن أكثر من الحراثة والزراعة، لذا كانت الأرض لا تزال تحيا بسلام بين شطآنها وأتربتها وأراضيها الخصبة. وما أن انفجرت الثورة الصناعية الأولى لتعلن ظهور أول آلة بخارية في التاريخ حتى بدأ الإنسان يدرك أنه لن يكون لعلمه حدود، فطوّر كل المجالات من حوله لينطلق إلى الثورة الصناعية الثانية. عندها بدأ يتعامل مع الكهرباء والوقود والنفط وتلاشى شعور الأرض بالحياة تدريجيًا وأصبحت أنفاسها المنتعشة مجرد دخان مصانع وآلات باتت هي القوة المسيطرة على كل شيء؛ المال والشوارع وحتى البشر.

بدأ البشر ينصهرون في عجلة الثورة الصناعية الثانية ثم انطلقت الثورة الصناعية الثالثة لتسحق كل ما هو حي تحت مسمى العالم التكنولوجي فظهر الكومبيوتر ليصبح ظهوره الأول في بداية السبعينات معجزة وقف الجميع أمامها مذهولًا دون أن يدركوا أن هذا الاختراع المهول سيصبح في الألفية مجرد اختراع ضئيل أمام الأجهزة الذكية كالهواتف الخلوية وغيرها. ولتبدأ مع ظهورها رحلة غياب الأرواح عن أنفسها في غياهب العالم الافتراضي بكل تفاصيله من هواتف وتطبيقات ومنصات تواصل اجتماعي وغيرها. فماذا سيحدث أكثر من كل هذا التشتت بعد الثورة الصناعية الرابعة؟

قال ديفيد بلكنته الأمريكية الممزوجة بالإيطالية: "إن الثورة الصناعية الرابعة لن تغير ملامح الأرض يا نادين بل ستبدلها تمامًا" صمت ديفيد قليلًا ثم قال بهدوء "فهي عصر الذكاء الاصطناعي... أو ما يسمى بالذكاء الاصطناعي الخارق".

رفع آدم نظره نحو ديفيد وقال "إن هذا يعني انهيار المخلوق البشري!".

"نعم، لذا قام وانغ لي بكل هذا".

كان الخوف الذي ارتسم على وجه آدم كفيل بأن يجعل نادين تدرك بأن الذكاء الاصطناعي الخارق هو أكبر بكثير من الذكاء الاصطناعي الذي يعرفونه ويتردد على مسامعهم دومًا، فهو ليس مجرد أجهزة ذكية أو سيري Siri في جهازها الأيفون أو أليكسا Alexa التابعة لأمازون، وعلى ما يبدو أنه ليس مجرد رجل آلي بسيط كالذي يستقبلهم في المطارات لتنظيف المكان والذي حتى هذه اللحظة لا يزال يخضع للتجربة.

قالت نادين: "ماذا تعنيان بالذكاء الاصطناعي الخارق؟ ما بال ملامحكما تحمل من القلق ما لا أستطيع فهمه؟".

أجاب ديفيد: "الذكاء الاصطناعي الخارق هو علم يعتمد على صناعة الرجال الآليين والأجهزة القادرة على التحليل واتخاذ القرارات وحدها".

"وكيف يمكن لذلك أن يحدث؟".

أجاب آدم نادين: "كلما تم تجميع معلومات أكبر أصبحت قدرة الذكاء الاصطناعي الخارق على تحليل المعلومات وفهمها أفضل".

أكمل ديفيد: "إن مؤسسي الثورة الصناعية الرابعة يعلمون أنها قادمة وحان وقت إطلاقها، لذا بات عليهم جمع أكبر قدر ممكن وهائل من

المعلومات الخاصة بك وبتفكيرك واهتماماتك وكل ما يتعلق بجانبك الشخصي والفكري والعملي، وبهذه الطريقة سيستطيع الذكاء الاصطناعي السيطرة على قراراتك بكل سهولة بمجرد تحليل معلوماتك الخاصة".

"إنني غير قادرة على فهم ما تحاول قوله يا ديفيد!".

اقترب ديفيد منها وأزاح كرسيا ووضعه أمامها هي وآدم وقال "سأعطيك مثالًا بسيطًا، كم مرة ظهر لك إعلان على جوجل أو فيسبوك أو إنستغرام له علاقة باهتماماتك؟".

"العديد... فهذا بات أمرًا اعتياديًا".

"أرأيت، هذه هي الكلمة، الأمر بات اعتيادي! إنها خطة مدروسة منذ زمن فالشركات العالمية لم تضع منصات التواصل الاجتماعي والتطبيقات المختلفة كالواتس أب والويبو وغيرهما بلا هدف، لقد كانت وسائل سهلة ومغرية لتجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن ميولك وأفكارك وحتى آرائك واهتماماتك، الخطة بدأت منذ ظهور تلك المنصات والبرامج ولكن وباء الكورونا سيطرحها علنًا بموافقة الشعوب والدول على حد سواء!".

قال آدم وهو ينظر إلى الشاشات المعلقة في غرفة ديفيد: "لهذا وسّعت شركات الكلاود العالمية سعتها بشكل مفاجئ وفي نفس التوقيت... الآن باتت الصورة واضحة".

"نعم، فوباء الكورونا بعد انتشاره سيجبر الدول كافة بمختلف أنواعها على الإقفال الكامل كإجراء احترازي أمام انتشار الوباء وبالتالي سيظهر مفهوم العمل عن بعد، والتواصل عن بعد حتى في أهم القطاعات المختلفة كالقطاعات الحكومية والأكاديمية وغيرها".

فقال آدم وهو يكمل كلام ديفيد "وبالتالي ستكتشف الدول أنها لا تمتلك الأجهزة الكافية لتخزين كل تلك المعلومات وسيتم ترحيل كل المعلومات الخاصة بالدول وسكانها إلى سيرفرات الكلاود الموجودة في الشركات العالمية كجوجل، وعلي بابا وأبل ومايكروسوفت وغيرها". صمت آدم قليلًا ثم تناول سيجارة ليشعلها وقال: "وبذلك يصبح العالم كله تحت مظلة ما يسمى بالكلاود ولكنهم فعليًا تحت سيطرته".

نهض ديفيد من مكانه وتناول كوبًا من القهوة الموجود منذ مدة وشرب منه قليلًا ثم قال: "نعم هذا صحيح وخاصة أن حرب الـ G5 كانت في أوجها قبل ظهور الكورونا بين أمريكا والصين".

قال آدم: "بالطبع، فخطة كهذه تحتاج لسرعة إنترنت عالية كسرعة الـ G5، سرعة قادرة على استيعاب وجمع أكبر قدر من المعلومات الهائلة والمتنوعة التي سيتم ضخها في السيرفرات بشكل سريع جدًّا". صمت آدم قليلًا ثم نهض باتجاه ديفيد وقال: "وبهذه الحال سنصبح غير قادرين على امتلاك قراراتنا ويصبح الذكاء الاصطناعي الخارق هو المسيطر لامتلاكه أكبر قدر من المعلومات الخاصة بنا".

"ولكن لا أرى جديدًا في ذلك، فنحن نضع كل معلوماتنا في الإنترنت ومنصاته"، قالت نادين غير مقتنعة.

شرح ديفيد موضحًا أكثر: "كلمة معلوماتنا هذه لا تعني أكثر من الجانب الشخصي من حياتنا مثل هواياتنا ورحلاتنا، معتقداتنا السياسية والدينية ومقر أعمالنا، أصدقائنا أو صور عائلاتنا وغيرها". صمت قليلًا ثم أكمل: "ولكن ما ستسعى الثورة الصناعية الرابعة إليه هو الإجبار المغلف بالإقناع لتوثيق كل ما يتعلق بك بالكامل من جانب عملي وأكاديمي وغيره

فأنت ستصبحين غير قادرة على ممارسة عملك وتعليمك إلا عن بعد، وهذا ما يحصل الآن بسبب وباء الكورونا".

قالت نادين: "ما تقوله مجرد مشاهد نراها في أفلام الخيال العلمي ولا يمكن أن تتحول إلى واقع".

عقّب آدم على كلامها: "ألم تتساءلي لماذا يتم التركيز دومًا على هذه الفكرة في الأفلام؟ إنها نوع من التغذية السرية للدماغ من خلال زرع الفكرة على المدى الطويل وما أن تظهر حتى يكون عقلك الباطن والواعي بات متقبلًا للفكرة تمامًا ولا يرفضها".

قالت نادين لآدم "وهل هذا تحليلك الشخصي للأمر أم أنها حقيقة؟".

"لا فرق المهم أنه واقع...".

وما كاد آدم يكمل جملته الأخيرة حتى سمعوا صوت حركة خفية عند مقبض الباب. ركض ديفيد باتجاه الباب مسرعًا وحاول إغلاقه بيده قبل أن يفتح. نهض آدم ونادين واتجها نحو ديفيد الذي قال: "آدم جهازك اللاب توب في درج المكتب الأول أحضره بسرعة".

توجه آدم مسرعًا نحو المكتب ونادين تقف في وسط الغرفة تحت تأثير الصدمة، فجأة رفعت فرش الأريكة وتناولت مسدس آدم الذي كان معه قبل تخديره. وضعته في جيب بنطالها الجينز وتوجهت نحو ديفيد الذي قال: "ستجدان باب هروب في الغرفة المجاورة، اذهبا وسألحقكما فورًا" وما أن أكمل جملته حتى كانت الرصاصة تخترق مقبض الباب لتفتحه بقوة رطمت ديفيد بالحائط والدم ينزف من يده ليظهر دياسايد أمامهم جميعًا بثيابه السوداء المعهودة.

كان آدم ونادين يقفان في قلب الغرفة حينما وجّه دياسايد مسدسه في وجه ديفيد الذي قال وهو ينظر نحوهما "ستجدان التتمة في حضارة الإنكا ابحثا في الفيد...."ولم يكمل ديفيد جملته لأن رصاصة دياسايد كانت أسرع إليه لترديه قتيلًا!

وها هي الحقيقة تختفي معي كما اختفت مع موت وانغ لي! ليت الوقت أسعفني يا لؤي وأخبرتك بالمكان!

رحلت الحقيقة غارقة في دماء ديفيد المنسابة فوق أرضية الغرفة الممتلئة بالأجهزة والحواسيب التي أمضى حياته بين شاشاتها وبرامجها فسقط صريعًا فوقها حتى بلا لحظة اختراق سريعة يصل فيها إلى قلب أمه مودعًا، لتبقى لورا تمضي سنوات عمرها عالقة بوعدٍ قطعه لها في مكالمة أخيرة أنه سيعود يومًا ولا يرحل... ولكنه ها هو يرحل كمفقود دون حتى أن تعلم بأنه قد مات!

الفصل الستون

سنغافورة – سنغافورة

وضع آدم حقيبته فوق ظهره ورمى كل الأجهزة الموجودة فوق المكتب أرضًا ثم ألقى بالكرسي الخشبي نحو دياسايد الذي أزاح رأسه مبتعدًا بينما ركض آدم ونادين في تلك الأثناء نحو الغرفة المجاورة ليفتحا باب الهروب الحديدي الذي أمامهما وينطلقا مسرعين فوق سلسلة من الأدراج الخرسانية الصاعدة نحو الأعلى. فتح دياسايد الباب ليجدهما يصعدان الأدراج القابعة فوقه بسرعة فقام بتوجيه السلاح نحوهما.

"سيطلق الرصاص... أسرعي" ركضت نادين بسرعة الريح فوق الأدراج، انطلقت الرصاصة. ارتطمت بالحائط. سقطت نادين متعثرة ولكنها بخير.

رفع آدم نادين بسرعة. وقفت للحظة. ناولته المسدس الذي في جيبها "حان الوقت لتستعمله".

وقف آدم على حافة الدرج. دياسايد يصعد بخطوات سريعة. سحب آدم فوهة المسدس، وأطلق الرصاص. استقرت الرصاصة في الدرابزين الحديدي للدرج، دياسايد لا يزال يركض.

"علينا أن نسرع أكثر" أمسك ذراعها. صعدا كل درجتين معًا ولكن دياسايد لا يزال خلفهما يفصله عنهما بضع درجات.

توقف آدم، أنفاسه تكاد تمزق صدره المثقل بالنيكوتين، رفع رأسه ليتنفس.

نادين ما زالت تصعد حينما لاحظت بأن آدم غير موجود. وقفت على الدرج لتجد آدم لا يزال يحاول التقاط أنفاسه.

"لقد وصلنا إلى باب الخروج... هيا أسرع" قالت نادين بصوت عالٍ من الأعلى.

أحتاج إلى نفس عميق.

استنشق آدم هواءً عميقًا كاد أن يمزق رئتيه. عاد ليجري فوق الأدراج. دياسايد اقترب منهما. لن يصلا إلى باب الخروج!

رفع دياسايد السلاح وأطلق رصاصة أخرى! نزلت نادين الأدراج سريعًا نحو آدم.

هناك دم يسيل..!

وقف آدم للحظات، الدم ينساب من كتفه. وضع كفه فوقه ليوقف النزيف ولكن بلا فائدة.

عليّ أن أوقفه فلن نخرج أحياء إن وصل إلى باب الخروج.

التفت آدم حوله باحثًا عن حل. نظر إلى باب الخروج، على الجدار في الأعلى بجانب الباب جرس إنذار حريق.

هذا هو الحل.

صعد آدم بخطوات تستجدي الحياة. انطلق بقوة ثم التقى بنادين على الدرج حتى شعر بأن ما تبقى من الأدراج مجرد درجة واحدة ولكن ذراعه لا يزال ينزف.

عليّ ألّا أفقد وعيي.

نظرت نادين إليه مذعورة "إنك مصاب!".

رد آدم بإنهاك: "علينا أن نصل إلى باب الخروج قبله".

دياسايد لا يزال يصعد بسرعة. مزقت نادين كم قميصها ثم ربطت الجرح بقوة وقالت: "كيف تشعر؟".

"هذا أفضل.. لنصعد" ركضا رغم التعب. دياسايد لا يزال يحاول الوصول إليهما. وصلا إلى جهاز الإنذار. تناول آدم المسدس من جيبه... رفعه. أطلق رصاصة. دوى المكان بأصوات صفارات الإنذار. انفجر الماء فوق دياسايد فجأة. توقف للحظة، لكنه لا يزال يصعد!

فتحت نادين الباب سريعًا "هيا لنخرج".

خرجا. دياسايد وصل إلى باب الخروج مبللًا. حمل مسدسه استعدادًا. فتح الباب مسرعًا ولكن نادين وآدم اختفيا.

***

نادين كانت تقود السيارة الصغيرة الخاصة بديفيد بسرعة على الطريق الخالي وأخذت تستدير نحو آدم قائلة: "هل أنت بخير؟".

هز آدم رأسه بنعم.

قالت نادين بنبرة متوترة: "آدم ابقَ معي، حاول ألّا تفقد وعيك أرجوك، هل تسمعني؟ كلمني الآن".

قال آدم بنبرة ضعيفة "أسمعك، لا تقلقي".

"سأتوقف بعد بضعة كيلومترات فأرجوك حاول أن تبقى واعيًا حتى ذلك الوقت".

"حسنًا سأفعل".

دخلت نادين طريقًا ضيقًا يقودها إلى أرض ترابية وشجر. سارت فوقها بسرعة غير مكترثة بسيارة BYD e6 الكهربائية الصغيرة التي ربما لن تستطيع مقاومة الأحجار التي تدوس فوقها. غرقت في قلب الغابة الصغيرة تلك أكثر. توقفت فجأة في مكان مظلم لا تكاد ترى إصبعها من خلاله. نزلت مسرعة وفتحت الصندوق الخلفي للسيارة ثم رفعت بطانة الصندوق.

علبة الإسعافات الأولية أين هي؟

قلبت الصندوق كله، رفعت العجل الاحتياطي وأخيرًا وجدت العلبة.

توجهت نحو آدم. رفعت هاتفها الخلوي نحوه ثم أضاءته لتتأكد أنه لا يزال واعيًا فقال: "حتى إن كنت فاقدًا للوعي سأصحو وأنت تسلطين الضوء في قلب عيني هكذا".

"جيد، هذا يعني أنك في كامل وعيك".

اقتربت نادين منه وقالت وهي تزيل الكم الذي ربطته فوق الجرح: "سأفحص الجرح الآن".

تناولت مقصًا صغيرًا من علبة الإسعافات الأولية. قصت كم قميصه ثم سلطت الضوء على الجرح وقالت: "الرصاصة مستقرة في ذراعك، ليست عميقة ولكن عليّ إزالتها".

هز آدم رأسه بنعم. تناولت نادين مشرطًا صغيرًا من العلبة ووضعت بعض الكحول فوق الجرح. أخذت وسادة صغيرة في الخلف. ناولتها لآدم وقالت "تستطيع أن تعض عليها إن شئت".

ابتسم آدم قائلًا "لا تقلقي أكملي...".

فتحت نادين الجرح بالمشرط وآدم يكتم صرخته. قالت نـادين وهـي تحدق إلى الجرح بكل تركيز: "سينتهي الأمر بسرعة فلتتماسك".

بقي آدم صامتًا ونادين بـدأت تحـاول استخراج الرصاصـة بـالملقط. حركت الرصاصة قليلًا ثم قالت بنبرة متمرسة: "شارفت على الانتهاء".

غرسـت نـادين الملقـط في الجـرح. أخرجـت الرصاصـة ليصـرخ آدم متألمًا بقوة فقالت وهي ترفع الرصاصة "أنا آسفة ولكن انتهيت... ها هي". وضعت الرصاصة أمام آدم الذي كـان جبينه يتصبّب عرقًـا، فقامـت نـادين بتناول بعض المناديل الورقية الموجودة في السيارة ومسـحت وجهه قائلة "ستشعر براحة أكبر بعد أن أخيط الجرح".

"حسنًا لننهِ الأمر".

كان آدم الهادئ ينهكه التعـب حتى باتـت ملامحه ممزقـة أمـام ضـوء الهاتف الذي تحمله نـادين التي قالـت: "عليك أن تساعدني... أحتـاج أن تحمل الضوء لأستطيع فعل ذلك".

تناول آدم الهاتف منها وسلّط الضـوء نحوهـا ويـده تـرتعش بضـعف، بدأت نادين تخيط الجرح وآدم يتأوه بشدة مع كـل غـرزة ومـا أن مـر بعـض الوقت حتى أنهت نادين المهمة وقالت لآدم "ستكون بخير، سأجلب لـك بعض الأدوية من إحدى الصيدليات، لا تقلق".

نظر إليها آدم بعينين نصف مقفلتين ثم سقط منه الهـاتف علـى أرض السيارة وغاب عن الوعي.

الفصل الحادي والستون

سنغافورة - سنغافورة

كانت نادين تنظر تائهة إلى آدم الذي أمضى يومين وهو شبه غائب عن الوعي. جلست قبالته في الفندق القديم الذي استأجرته في الحي الهندي الذي يعج بالناس والفوضى. لقد شعرت بأن غيابها وسط هذا الكم الهائل من الحركة سيجعلها تغيب هي وآدم عن عيني أي أحد يراقبهما. كانت رائحة البهارات والأطعمة الهندية تخترق المكان وتملأ الأجواء لتشعرها بالجوع رغم تعبها الشديد وسهرها المتواصل بجانب آدم المنهك، لذا قررت أن تخرج لشراء وجبة طعام لها ولآدم.

سارت نادين في شوارع الحي الهندي الذي كان يُسمى بالهند المصغرة والآن أدركت لماذا سمي بذلك؛ فهذا الحي بسكانه وعمائمهم الملتفة فوق رؤوسهم والسواري التي تغطي بعضًا من خصور نسائهم ذوات الشعر الطويل اللامع المتدلي بعفوية فوق ظهورهن يشعرك بأنك في قلب نيودلهي. في بعض المحلات الصغيرة الموجودة على الناصية علقت عقود الزهور والياسمين التي كان معظم الهنود يشترونها لاستكمال طقوس عبادتهم في أحد المعابد الهندوسية، بينما هناك على الناصية الأخرى تجد محلات تبيع سجاد الصلاة والمصاحف الخاصة بالهنود المسلمين ليتعبدوا في مساجدهم، وهذا هو مزيج مدينة سنغافورة الساحر بمختلف أطيافها وجنسيات ساكنيها فقد كانت مدينة الحياة بلا مسميات أو حتى معتقدات.

جالت نادين شاردة بين الشوارع والبيوت الملونة تحاول وسط الضجيج منح ذاكرتها بعض الراحة من كل ما حدث فحتى هذه اللحظة لا يزال ديفيد بصورته الملطخة بالدماء يلوح أمام ناظرها بين حين وآخر.

تناولت نادين الوجبتين من صاحب المطعم، شكرته ثم غادرت. سارت باتجاه الفندق القديم الذي فضّلت أن تختاره على فندق فخم من فنادق سنغافورة. لم تستطع حفظ اسمه حتى هذه اللحظة! ولكنها حفظت طريقه ولون جدرانه الحمراء. دخلت نادين الفندق ثم اتجهت نحو الغرفة. فتحت الباب ووضعت الطعام على الطاولة وما أن استدارت حتى تملكها الخوف.

أين آدم؟

كان السرير المبعثر خاليًا لا يعلوه سوى الغطاء الذي كان يغطي جسد آدم النحيل والمنهك، تلفتت حولها مسرعة. توجهت نحو الخزانة التي خبأت فيها مسدس آدم ولكنها لم تجده!

سمعت صوتًا في قلب الغرفة. توجهت نحو الباب لتخرج وما أن أمسكت بمقبض الباب لتفتحه حتى أغلق سريعًا ليقول لها صوت من خلفها "إنه أنا".

استدارت نحو آدم ووجهها الشاحب خالٍ من أي ملامح تذكر حتى شعر أنها أقرب إلى خيال مآتة في حقل فأمسك ذراعها وقال بصوت ضعيف "لا تخافي...".

حدقت نادين إليه للحظات ثم عانقته باكية. تأوه آدم حينما ضرب رأسها ذراعه المصاب فابتعدت وهي تمسح دموعها. "آسفة، لم انتبه لمكان الجرح".

مرّر آدم كفه فوق شعرها الأحمر المشعث بدفء وقال: "لا بأس أيتها الصهباء.. يحق لك ذلك ما دمت أنت من أنقذ حياتي".

قالت نادين وهي تنظر إليه بعينين دامعتين: "كيف تشعر؟".

"بخير... الآن عرفت لِمَ طلبتك الصين لتعملي لديهم". صمت آدم قليلًا ونظر إليها بدفء لم تعتد نادين على رؤيته في وجه آدم الإنجليزي البارد الذي أكمل قائلًا: "من تستطيع أن تجري جراحة في غابة وفي عتمة ليل حالك على ضوء هاتف خلوي ليست مجرد طبيبة صدرية".

ابتسمت نادين من بين الدموع التي كانت تمسحها وقالت: "وأنت ساعدتني بذلك كثيرًا".

سارت نادين بجانب آدم وهي تسنده فقال لها: "لا تقلقي أنا بخير وذراعي أفضل بكثير".

"هذا جيد، ستشعر بتحسن أكبر في الساعات المقبلة ما دمت قد استعدت وعيك".

كان آدم يجلس على الكرسي البسيط الموجود في الزاوية أمام الطاولة حيث علبة سجائره وقداحته فقال لنادين وهو يضع السيجارة بين شفتيه "أعتقد أنه مسموح أن أشعلها ما دمت استعدت وعيي".

اقتربت منه نادين وتناولت السيجارة التي هرستها في منفضة السجائر وقالت: "بالطبع لا، امنح صدرك بعض الراحة".

"حسنًا، أنت الرئيس هنا".

توجهت نادين نحو أكياس الطعام ووضعتها على الطاولة أمامه وقالت: "عليك أن تتناول بعض الطعام لتستعيد قوتك، لم أحضر لك طعامًا ثقيلًا... مجرد حساء دافئ".

"أشكرك".

فتحت نادين علبة الحساء وبدأت تحاول مساعدة آدم في تناولها فقال لها وهو يأخذ الملعقة منها: "لا تقلقي، أستطيع تدبر الأمر، تناولي طعامك أنت الآن..". صمت قليلًا وهو يتأمل ملامح وجهها المجهدة وقال: "أنت التي تحتاجين لبعض الطاقة، فوجهك الشاحب يعلن كم ليلة أمضيتها وأنت ساهرة بلا نوم".

ابتسمت نادين ثم جلست قبالته وفتحت علبة طعامها التي كانت تحتوي على رز البرياني وقطع التندوري التي يشتهر بها الحي، بينما أمسك آدم الملعقة بيده اليسرى ليتناول حساءه.

"هل أنت متأكد أنك لا تحتاج لمساعدتي في تناول الحساء؟".

"نعم، لا تقلقي أنا أتقن استعمال يدي اليسرى.." بدأ آدم يشرب الحساء ببطء وشرود بينما نادين كانت تأكل بلا شهية رغم لذة الطعام. قال آدم وهو يضع الملعقة جانبًا وحي *ليتل إنديا* أمامه بألوانه المختلفة وأضوائه وحتى آلهته: "أشعر بأننا نطفو فوق حلم أثيري لا حقيقة له، وأشعر أنني إن عدت إلى ووهان سأجد وانغ لي بدعاباته السخيفة والعم تشن بنبرته الآمرة".

"تمنيت أن يكون حلمك هذا حقيقة، ولكن كلما تذكرت ديفيد أدركت أننا في واقع مرير".

تناول آدم علبة سجائره وأشعل سيجارة دون أن تعترض نادين على ذلك "ليت ديفيد أخبرنا قبل موته ماذا علينا أن نفعل؟".

"لم يخبرنا ولكنه ترك لنا سر الحلقة المفقودة من المخطط في جملته الأخيرة وهو يلفظ أنفاسه".

"ماذا تعنين؟".

"هل نسيت ما قاله ديفيد قبل أن يُقتل؟".

مرّر آدم أصابعه فوق جبينه "في الواقع لا أذكر ما قاله!".

"كان يقول *(ستجدان التتمة في قلادة الإنكا ابحثا في...)* ولكنه..." صمتت نادين قليلًا ثم أكملت بصوت متحشرج "لكنه لم يكمل جملته بعد أن..." لم تكمل جملتها ثم تناولت ملعقتها وأكملت تناول طعامها بصمت.

كان آدم شاردًا كمن يحاول لملمة التفاصيل "نعم تذكرت، ولكن لماذا قلادة الإنكا ثانية؟".

"فكرت كثيرًا في الأيام الماضية وحاولت أن أبحث عن أي علاقة بين حضارة الإنكا وتطوراتها وبين ما كان يشرحه ديفيد قبل وفاته ولكن بلا فائدة، وقد قمت بالدخول إلى الموقع الذي فتحته قلادة الإنكا ولكن بلا فائدة أيضًا، ليس هناك أي مؤشر إلى ما كان يقصد وربما لم أستطع فهم ما فيه لأنه صفحة برمجة".

"أين اللاب توب؟".

أشارت له نادين نحو الأريكة المخملية الصغيرة، توجه نحوها. أخرج اللاب توب منها وبدأ يدخل على الموقع محاولًا فهم البرمجة التي تظهر على الشاشة ولكن لم يكن هناك ما قد يساعده على فهم ما كان يقصده ديفيد ثم قال وهو ينظر إلى الشاشة: "هلا كررت ما قاله ديفيد ثانية".

"ستجدان التتمة في قلادة الإنكا".

نظر إليها آدم من خلف الشاشة وقال: "يبدو أن وانغ لي لم يكن وحده فديفيد كان شريكه في كل شيء من البداية، لذا كان من الممكن أن

يقول ستجدان التتمة في موقع الإنكا بدلًا من قلادة الإنكا".

"وما الفرق؟" قالت نادين وهي تقترب منه.

"الفرق أن ديفيد كان يريدنا أن نستخدم حل القلادة لا الموقع الذي فتحته القلادة".

"نستخدمه أين؟".

فتح آدم اللاب توب ووقفت نادين خلفه لأنها عرفت أن الحيوية التي دبت في جسد آدم فجأة تعني انه قد وجد حلًا، قام آدم بنسخ الرقم الذي كان فكه هو ونادين من قلادة الإنكا سابقًا.

62 1040 1554 4649 31 24 459 9089 8646 4143

وضعه في موقع جوجل ثم أجرى البحث فلم يجد أي شيء قد يساعده على فك ما قاله ديفيد، ولم يجد حتى معنى لسلسلة الأرقام الطويلة تلك، بدأ آدم يكرر محاولات البحث فتارة يلغي الفراغات الموجودة بين بعض الأرقام، وتارة يجمع الأرقام كلها معًا كمتتالية واحدة بلا فراغات ولكن.. بلا فائدة.

62104015544649312445990898646 4143

غير ممكن! لا بد أن هناك أمرًا ما في أرقام هذه القلادة!

كتب آدم الرقم أمام نادين وقال: "هل لا زالت القلادة معنا؟".

"نعم".

أخرجت نادين القلادة وضعها آدم أمامهما وقال وهو يشير لها: "لقد غير وانغ لي لون الحبال عند الرقم 24" صمت آدم قليلًا وهو يزيح الحبال الخضراء وقال: "لنبحث إذن عن الأرقام الناتجة عن الحبال الزرقاء أولًا فكل محاولات البحث السابقة باءت بالفشل".

أمسك آدم بالقلم ورسم خط فوق الأرقام من 24 لنهاية السلسلة

6210401554464931~~2445990898646414 3~~

قام آدم بنسخ الأرقام الأولى في السلسلة

6210401554464931

وضعها في جوجل وما أن ضغط زر البحث حتى وجد ما لـم يتوقعه، فيديو الإحداثيات الشهير الـذي ظهـر في عـام 2014 في موقـع اليوتيـوب ومـا زال يعد من أكثر ألغاز الإنترنت غموضًا حتى يومنا هذا!

الفصل الثاني والستون

سنغافورة – سنغافورة

وقف لؤي في بهو فندق الأنتركونتيننتال ينهي إجراءات مغادرته الفندق سريعًا. سار بخطوات ثابتة أمام حرس الفندق وما أن ابتعد قليلًا حتى أسرع من إيقاع خطواته غير مدرك أين عساه أن يذهب. فغياب ديفيد الطويل هذا يعني أن هناك أمرًا ما قد حدث! وقف لؤي للحظات بعد أن ابتعد مسافة طويلة عن المنطقة التي كان يسكن فيها. رفع الحقيبة عن ظهره، تناول منها جواز سفر ثانيًا من الجوازات المزيفة التي يحملها لظروف كهذه.

حاول التفكير سريعًا؛ ماذا يمكن له أن يفعل الآن؟ لا يمكن له أن يقيم في منطقة المارينا ولا يمكن له أن يبقى هنا! عليه البحث عن بديل. كان يسير باتجاه شارع بوغيس المكتظ دون أن يشعر أنه أمضى ما يقارب الثلاثين دقيقة أو أكثر سيرًا على أقدامه وهو يفكر. توقف للحظات عندما مرت سيارة شرطة من جانبه فلقد حاول ألّا يلفت انتباههم بتوقفه المفاجئ فهو الآن بات محصورًا في "خانة اليك"؛ فالشرطة السنغافورية تبحث عنه وبالتأكيد رتزل لا يزال يريد قتله! وما أن مرّ اسم رتزل في خاطره حتى وجد دياسايد يحدق إليه من بعيد.

كان دياسايد يقف على طرف الشارع المقابل له. توقف الشارع عن الحركة. قطعه دياسايد مسرعًا باتجاه لؤي الذي وضع حقيبته على ظهره

وركض بالاتجاه المعاكس له. في تلك الأثناء اقترب لؤي من أحد الشوارع الجانبية فدخله ليرتطم بأحد الأطفال الذي يسير بجانب والدته ممسكًا بيدها. دخل دياسايد الشارع راكضًا فحملت الأم طفلها بين يديها وأخذت تصرخ على الاثنين من بعيد.

شارع بوغيس يكتظ بالناس. التاجر رصّ بضاعته حتى يعرضها على السياح للبيع والمارة يسيرون بهدوء مستمتعين بصوت الموسيقى وضجيج ألعاب الأطفال الموجودة في الكشك المجاور. أحدهم يتناول الآيس الكريم البارد من المحل الذي أمامه.

عليه أن يغير طريقه فدياسايد لا يزال يلحقه. إنه يشعر بخطواته.

كم هو سريع!

التف لؤي يمينًا ليجد نفسه في قلب الشارع المفتوح. الحركة هنا أسهل من قبل. عليه أن يسرِّع خطواته أكثر. بائع الورد هنا يعيق طريقه والعاشقان اللذان يتبادلان باقات الزهور والقبل يصرخان عليه من بعيد لأنه أتلف الصورة السيلفي التي كانا يلتقطانها ذكرى مع البائع.

لا يزال خلفي.. أشعر بذلك

لمح لؤي دياسايد يجري بين المارة. تمثال بوذا في المعبد تجمهر حوله الحضور فمنهم من يعلق الباقات، ومنهم من ينير الشموع، وأخرى تتمسح بالتمثال علّه يبارك يومها.

عليه أن يسلك الدرب المجاور للمعبد فطريقه خالٍ. التف الشارع به نحو منعطف أكبر ليجد نفسه في منطقة المطاعم المفتوحة. ركض من بين الطاولات الضيقة. قفز من فوق حقيبة إحداهن حتى ظنت أنه سارق سيخطف حقيبتها. تعثر بأحدهم، وسقط أرضًا.

لا وقت لذلك، عليّ أن أنهض بسرعة!

حاول التوازن ثانية وعاد للجري. صعد فوق الأدراج المقابلة له. الناس يجلسون محاولين تناول وجبة الغداء. عليه أن يسلك اتجاهًا آخر فالمنطقة هنا ستعيق حركته. دياسايد لا يزال خلفه.

أوقع دياسايد الملابس والحقائب المعلقة في طريقه. خرج صاحب المحل صارخًا ولكن دياسايد اختفى بين الحاضرين. عينه تحاول التقاط خطوات لؤي بلا توقف.

أشعر بالاختناق، عليّ أن أتوقف.

قفز لؤي من فوق الحوض المليء بالنباتات والذي يتوسط الرصيف. دخل الزقاق الضيّق لعل دياسايد يفقد أثره. توقف. طوى ركبتيه وأسقط رأسه أرضًا وهو يحني ظهره المثقل بالحقيبة. حاول أن يلتقط بعض الأنفاس المتقطعة علّ الأوكسجين يعبر رئتيه ثانية حتى يستطيع الاستمرار بالهروب. رفع ظهره. عدل حقيبته ثم رفع رأسه للسماء. تنفس بعمق وكأنه يستنشق كل هواء سنغافورة ليحتفظ به في صدره. وفجأة وقف دياسايد أمامه بلا حراك يشير له بأنه بات عليه المضي معه بلا مقاومة. أخرج الأصفاد من جيبه وقيد يده بيد لؤي ليصبح في قبضة رتزل الآن!

أمسك دياسايد هاتفه ليتصل وما أن رن حتى أجابه الطرف الثاني قائلًا: "دياسايد... رتزل يريد لؤي حيًا". وما أن سمع لؤي صوت روبرتو على الهاتف حتى علم بأنه بات عليه الوصول إلى فنلندا مهما كلفه الأمر!

الفصل الثالث والستون

سنغافورة - سنغافورة

جالت عينا آدم بصمت فوق شاشة اللاب توب، وبقي صامتًا في الفيديو الذي كان معنونًا بأرقام قلادة الإنكا تلك، إن هذا الفيديو كان أكثر الفيديوهات حيرة حتى هذه اللحظة، ففي عالم الإنترنت الفيديوهات الغريبة لا بد وأن يكون لها صاحب أو مصدر ولكن هذا الفيديو منذ التاسع من أغسطس 2014 وحتى اليوم مجهول الهوية، أصبحت مشاهداته تفوق الـ 150 ألف مشاهدة ولا يزال صاحبه غير معروف!

لا أحد يدري ما السبب الذي دفع صاحب الفيديو لابتكاره؟ ولكن آدم كان يشعر دومًا أن من ابتكره ما هو إلا مبرمج مجنون، فالمقتطفات والصور المتنوعة والأصوات الغريبة في داخل الفيديو تبث فيك مزيجًا من المشاعر المتناقضة بين الخوف والفضول ما جعل معظم من شاهد هذا الفيديو يحاول تحليله أو فكه أو فهم ما الغاية من ورائه! ورغم ذلك بقي الفيديو لا يحمل أي معنى سوى مجموعة الصور المختلفة فيه.

في بداية الفيديو تظهر صور متقطعة لغابة مجهولة باللونين الأسود والأبيض كأنها ومضات سريعة لعين تجوب في قلبها وطريقها المتعرج الخاوي، ثم فجأة تتبدل الصورة ليظهر قطاران يسيران بالتوازي فوق بعضهما؛ أحدهما سريع حديث والآخر بخاري قديم تتخلّله أصوات تعلو من مايكروفونات مكبرة يعلوها تشويش واضح يجعل الصوت غير مفهوم!

تنقطع الصورة فجأة. وبعد ذلك يظهر قناع أبيض شاحب بلا معالم، تتبدل ملامحه ثم يغيب عن الشاشة بشكل مفاجئ. تتغير الصورة لتصبح مجموعة متقطعة من صور غير مفهومة؛ حيد مرجاني غير واضح، وجوه تظهر على شكل أشعة سينية، شاشة سوداء ثابتة والأصوات لا تزال مشوشة، ينتهي الفيديو بلقطات جديدة أكثر قربًا لطريق الغابة المجهولة!

فيديو مجنون.. إلى أي هاوية نحن ساقطون؟

شكّل عنوان الفيديو (62.10401554464931 24.459908986464143) حيرة لكل متابعيه أكثر من الفيديو نفسه، فمنهم من قال أنه كود ومنهم من قال أنه سلسلة رقمية لعد تنازلي ومنهم من قال إنه إحداثيات GPS لموقع معين، ورغم ذلك كله لا يزال عنوان الفيديو مجهول المعنى والمصدر.

ولكنّه نفس الرقم المخفي في قلادة الإنكا... فلِمَ هو تحديدًا؟

اقتربت نادين من آدم الغارق في الفيديو الذي أعاده عدة مرات بعينين مثقلتين وأنفاس تتدفق من خارج صدره بشكلٍ متوالٍ، ما جعل نادين لا تدرك هل أنفاسه المنهكة تلك كان سببها الجرح الذي في ذراعه أم ما يشاهد؟

تساءلت نادين بشرود "هل هذا ما أرادنا ديفيد أن نجده قبل موته؟ لم أرَ شيئًا كهذا من قبل!".

قال آدم بصوت غائب "ولن تري... إنه أكثر فيديو غرابة عرفه الإنترنت ولكن..".

في البداية سيكادا 3301 والآن هذا الفيديو! إلى أين تحملنا يا وانغ لي؟!

"لا شيء واضح في هذا الفيديو".

قال آدم وهو يوقف الفيديو ويستدير نحوها: "لم يعرف أحد مغزى هذا الفيديو ولا حتى معنى تفاصيله حتى بعد أن تم تحليله وفكفكت صوره".

"وماذا يريد ديفيد من فيديو كهذا؟".

أعاد آدم الفيديو ثانية من البداية وقال وهو يتوقف عند كل صورة "الفيديو معقد وغير مفهوم وحتى اليوم لم ينسب أي شخص الفيديو لنفسه..".

قاطعته نادين: "كلغز سيكادا 3301".

"نعم، ولكن لا علاقة بين هذا وذاك، هذا الفيديو يشعرني بالانقباض حينما أراه فهو أقرب لعقل مريض نفسي، مبرمج على شاشة". أشعل آدم سيجارة جديدة وهو يكمل قائلًا: "صور من غابة مجهولة المكان، صورة لقطارين متناقضين تمامًا بالشكل والزمن..".

أشار آدم إلى صورة القطارين وقال والدخان يعبق فوق الشاشة ليرتطم بها ثم يتلاشى: "القطار في الأعلى قطار الـ Maglev المغناطيسي الحديث ذو السرعة الفائقة، بينما يقابله في الأسفل نقيضه قطار أشبه بالقطار البخاري القديم أو حتى قطار الألعاب الخاص بالأطفال".

"وما هذه الأصوات الغريبة؟".

"مجموعة مختلفة من الأصوات، فهذا الصوت.." رفع آدم مستوى الصوت قليلًا ثم قال: "اسمعي إنه أقرب لصوت النداء الأخير لرحلات السفر، هل تسمعين؟".

دققت نادين في الصوت أكثر وقالت لآدم: "هلّا أعدت هذا المقطع؟".

أعاد آدم الصوت فقالت بعد أن سمعته جيدًا: "نعم، الصوت أقرب لنداء عبر مايكروفونات مكبرة كتلك الموجودة في المطارات".

"ولكن الكلام غير مفهوم".

"توقف..". أشارت نادين فجأة على الفيديو فتوقف آدم عند الثانية 00:47 من الفيديو وقال: "ماذا هناك؟".

قالت نادين: "هذا وجه شخصية الشيطان في فيلم مغامرات مارك توين الشهير.. ما الذي يحاول ديفيد قوله من خلال هذا الفيديو الغريب".

"ليس ما في داخل الفيديو هو المهم، بل هذان الرقمان اللذان كانا على قلادة الإنكا واللذان يظهران الآن أمامنا عنوانًا للفيديو على شاشة اليوتيوب".

62.10401554464931 24.459908986464143

"إنها ليست سلسلة أو متتالية عددية كما ظننت".

اقترب آدم من اللاب توب وقام بفتح موقع خرائط جوجل Google Maps وقال: "لا، إنها ليست كذلك، بل هي إحداثيات لمنطقة ما في فنلندا..." وضع آدم الإحداثيات لتظهر لهما صورة منطقة خضراء مزدحمة بالأشجار في فنلندا!

"هل هذا المكان الذي أرادنا ديفيد الوصول إليه؟" قالت نادين بدهشة.

"غير ممكن فالمكان معروف لكل شخص فتح الفيديو وشاهده!".

"ماذا إذًا؟".

"أتريدين أن تشعري بدهشة أكبر..."، استدار آدم نحوها وقال: "ألم أقل لك أن هذا واحد من أغرب الفيديوهات التي تم تحميلها على شبكة الإنترنت ولم يتم فهمه حتى هذه اللحظة؟".

أومأت نادين رأسها بنعم وهي تترقب كل كلمة تصدر من فم آدم الذي بدا يقظًا تمامًا وكأنه نسي كل ما مر به في اليومين الماضيين، فأشار لها

إلى اسم القناة الخاصة بالفيديو لتجد أنها سلسلة رقمية جديدة تشبه عنوان الفيديو ولكن تنتهي بخط عمودي ورقم (1)

62654498494985498485894 8 | 1

قال آدم: "القناة نفسها اسمها يتكون من إحداثيات أخرى ولو دخلتِ القناة...." ضغط آدم على القناة وقال وهو يستدير نحو نادين "لن تجدي سوى هذا الفيديو!".

نظرت نادين في القناة الخالية من كل شيء عدا الفيديو الغريب ذاك، وأرقام الإحداثيات التي تعنون الفيديو وقناته، لم تستطع ترجمة شعورها في تلك اللحظة فالفيديو وحده بفوضاه وصوره المركبة بطريقة عشوائية مجنونة يجعلك تفقد شعورك بالاتزان، فكيف يمكن لها أن تترجم شعورها بعد كل ما قاله آدم عن موضوع الإحداثيات هذا!

اقتربت نادين من الشاشة أكثر وهي تتمعّن في اسم القناة وقالت: "إنه يبدأ بنفس الرقم 62".

أجاب آدم وهو يكمل الشرح كخبير "هذا صحيح... فلو افترضنا أن عنوان الفيديو هو إحداثيات لموقع ما، فيكون الرقم الذي يبدأ بـ 62 هو الإحداثي العمودي بينما الرقم الذي يبدأ بـ 24 هو الإحداثي الأفقي. عندها لو استبدلنا الإحداثي العمودي في عنوان الفيديو باسم القناة سنحصل على إحداثيات لموقع آخر جديد".

"ولِمَ نستبدل اسم القناة بالإحداثي العمودي من عنوان الفيديو؟".

"لأن اسم القناة يبدأ برقم 62 وبجانبه الخط العمودي يعني أن هذه الإحداثيات عمودية لا أفقية".

كتب آدم أرقام عنوان الفيديو على ورقة:

62.10401554464931 24.459908986464143

ثم كتب اسم القناة على نفس الورقة:

6265449849498549848589481 | 1

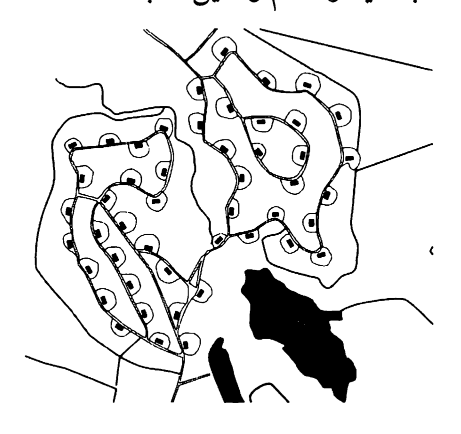
وقام بإلغاء الجزء الأول من عنوان الفيديو:

~~62.10401554464931~~ 24.459908986464143

ثم استبدله باسم القناة:

62.6544984949854984858948 24.459908986464143

نسخ آدم الإحداثيات الجديدة ووضعها على Google map ثانية لتظهر أمامهما خريطة غريبة في فنلندا تحتوي على مجموعة من الخطوط المنحنية بشكل متكرر غير متناسق، يتخللها خطوط أشبه بالطرق محاطة بمجموعة من المستطيلات المتشابهة ولكن لا تعطي انطباعًا بوظيفتها. كانت خريطة لا تشبه شيئًا رآه آدم ونادين مسبقًا!



"هذا ما كان يقصده ديفيد حينما قال: ستجدان التتمة في حضارة الإنكا... كان يقصد أننا سنجد بقية المخطط في فنلندا!"، علّق آدم بعد مشاهدة الخريطة التي أمامه.

كانت نادين عاجزة عن الرد، فهل ما يقوله آدم صحيح أم أن الإصابة جعلته يغرق في خيالات هذا الفيديو الغريب لا أكثر؟ أما آدم فلم يكن يعلم هل عليه الوثوق بديفيد الذي ضحى بحياته من أجل الوثائق التي تركها لهم وانغ لي أم أنه يغرق في فخ نصبه له كل من حوله بما فيهم وانغ لي نفسه؟ ليصل إلى تلك الوثائق ويوصلها حيث لا يدري ويصبح هو مجرد الرسول الذي قُتل بعد تسليم الرسالة! وعندها ستنطبق عليه مقولة مارك توين الشهيرة *(احصل على الحقائق أولًا، وبعد ذلك يمكنك تدميرهم كما تشاء)*.

وليكن ما يكن... فوجهتنا القادمة هي فنلندا!

الفصل الرابع والستون

روما - إيطاليا

وضبت مارتينا حقيبتها استعدادًا للذهاب إلى المطار حيث ستنطلق رحلتها المقلعة إلى سنغافورة بعد ساعات. كان الصمت يخيم على قلب مارتينا المشتعل حتى شعر روبرتو أن قلبها قد شُيّع مع خبر وفاة والدها على حدود لومبارديا هناك. اقترب منها وناولها باقي حاجياتها وقال: "هل ما زلت ترغبين باختطاف الطائرة التي ستعودين على متنها من سنغافورة؟".

فقالت وهي تحزم حقيبتها بصوت يشوبه الحقد: "نعم سأختطفها".

وضعت باقي حاجياتها دون أن تنظر إلى روبرتو وأغلقت حقيبتها لتجرها متجهة خارج الغرفة حينما استوقفها روبرتو قائلًا: "هل ترغبين بأن نراجع بعض النقاط في الخطة سويًا؟".

ابتسمت مارتينا ببرود: "لا، لأننا قد نحتاج إلى الارتجال إن اضطررنا".

"الأمر لا يحتمل ارتجالًا، عليكِ اتباع كل الخطوات بحذافيرها حتى تعودي لي بسلام". صمت روبرتو قليلًا وقال بنبرة تائهة كمن لا يزال يبحث عن مارتينا: "دعيني أوصلك إلى المطار على الأقل".

"دعني أرحل بسلام، إن كنت تريدني أن أعود لك بسلام".

ابتسمت مارتينا وهي ترتدي كمامتها التي باتت قانونًا ووقفت أمام باب المنزل بصمت. جالت عينا روبرتو في عينيها وأيقن من نظراتها الباردة أن حبيبته مارتينا قد رحلت في حنايا إقليم لومبارديا بحثًا عن والدها الميت

ذلك اليوم ولم تعد. وقفت أمامه للحظات ثم خرجت من المنزل دون وداع. اتجه روبرتو نحو الشرفة ليراها من فوق وهي تسير بخطى هائمة باحثة عن سيارة أجرة في شارع منزله المطل على البانثيون حيث رقصا سويًا يومًا تحت المطر. رفعت رأسها باتجاه الشرفة لتجده، فلوّحت بيدها اتجاهه وركبت سيارة الأجرة التي أقلتها وغادرت.

تسمّر روبرتو للحظات ثم نزل خلفها سريعًا دون أن ينتظر، فكيف يمكن له أن يترك مارتينا ترحل عنه هكذا بلا وداع؟ كان يقود سيارته بسرعة حتى وصل إلى مطار دافينشي وركن سيارته بعجل ليتوجه نحو بوابة المغادرين. أخذ يجول بعينيه في الأرجاء بحثًا عنها. دخل المطار مسرعًا ولكنه لم يجدها! كيف استطاع أن ينصاع لجنونها ويتركها تغادره بلا وداع في رحلة محفوفة بالمخاطر كهذه؟ الآن فقط أدرك ذلك الوجع الذي غلّف روحها برحيل لوكا بلا وداع. الآن فقط عرف لماذا سقطت أمام حدود لومبارديا مودعة كل ما فيها من حياة لحظة رحيل والدها. الآن فقط أدرك أين هي مارتينا وكيف يمكن له أن يجدها ثانية؟ فكم هو مؤلم ذلك النوع من الرحيل بلا وداع؟ وكم هو مؤلم إحساس الفقدان بلا ذكريات؟

كان يسير بخطوات مبعثرة وسريعة بحثًا عنها ولكنه لم يجدها فخرج ثانية وما أن سار بضع خطوات حتى توقف فجأة ليجد سائق التاكسي يُنزل الحقيبة من السيارة ومارتينا تغلق باب السيارة وتناوله الأجرة، وهي تجرّ حقيبتها باليد الأخرى. وفجأة التفت ذراع روبرتو حولها لتقربها إليه قائلًا: "أحبك ولا أريد لهذا المخطط أن يتم يا مارتينا".

غابت فيه مارتينا بعين مطفأة وابتسمت من خلف الكمامة: "كيف وجدتني؟".

"رائحة عطرك تعبق في الجوار".

"عليّ أن أغادر فالطائرة على وشك الإقلاع".

"ابقي.. ولا ترحلي، وأنا سأكلم سابيني وألغي المخطط".

"عليّ الذهاب، فإيطاليا بكل شوارعها وأزقّتها الأثرية وحتى تاريخها لم تعد تسعني، لذا دعني أرحل أرجوك".

حدق إليها روبرتو بنظرة حانية متألمة وقال: "سامحيني إن جعلته يرحل بلا وداع".

ابتسمت قائلة: "لا بأس، فهو بكل الأحوال قد رحل". فكّت خصرها من ذراعه ثم جرّت حقيبتها وسارت باتجاه البوابة وهي تدير ظهرها لروبرتو الواقف مكانه بلا حراك ولا حتى وداع. سارت بخطى باردة حتى وصلت إلى مدخل المطار الرئيسي. توقفت للحظات، استدارت للخلف نحوه حتى تراه من بعيد. تنهدت بعمق وما أن لمحت بريق عينيه حتى رمت حقيبتها جانبًا وركضت نحوه مسرعة لتغرق بين ذراعيه قائلة بنبرة يائسة وهي تنظر إليه بعينين تحترقان ألمًا وشوقًا: "أرجوك، أخبرني ولو كذبًا أنك لم تكن تعلم بمخطط انتشار الفيروس في لومبارديا وأنك كنت سببًا بموت والدي؟".

حدّق إليها روبرتو بذعر وقال بنبرة عرفت مارتينا فورًا أن الكذب يغلّفها: "لا علاقة لي بالأمر".

عانقته بقوة رغم كذبه، اختفت بين ذراعيه بحثًا عن كل شيء ولا شيء. رفعت رأسها تارة نحو وجهه المشتعل شوقًا ودفنته فوق صدره المتقد تارة أخرى. نظرت فيه ساهمة وقالت: "كنت أعلم".

عانقها روبرتو بقوة وبدأت أنفاسه الدافئة تمر فوق وجهها البارد ليموج شعرها فوق صفحة وجهه المبعثرة فيسري بينهما دفء اطفأ برودة

شتاء روما وخواء أرواح قاطنيها التي باتت هائمة في خوف الكورونا منذ إعلانه. عانقها لتعلم أنها فقدت والدها في ميلانو بسببه ولكنها لا زالت تملك الحب في روما بسببه أيضًا. اقتربت منه أكثر وقالت بأنفاس مكتومة "أحبك رغم غياب كل شيء، نعم أحبك، ففتاة سيينا العابثة هذه لم تعرف من روما إلا حبك يا روبرتو". جذبها روبرتو إليه بقوة، عانقها ثم غرقا سويًا في قبلة طويلة من خلف كمامتين ربما حجبت أنفاسهما المتقطعة، ولكنها لم تستطع حجب قلبيهما عن الحنين.

الفصل الخامس والستون

سنغافورة - سنغافورة

كانت أخبار الوباء تنتشر في العالم، فإيطاليا أصبحت البؤرة الثانية لوباء كورونا بعد الصين التي ما زالت تجابه المرض بمعركة غير مفهومة المعالم، وعدو لا تستطيع أن تترجم أسلحتها ضده سوى بالبحث المستمر ومحاولة معالجة ما يمكن علاجه.

احتاج آدم ونادين عشر دقائق للوصول إلى مطار شانغي أفضل مطار في العالم لسنوات متعددة.

"ما زال هناك وقت طويل لموعد الرحلة". قال آدم وهو يتفقد موعد إقلاع الطائرة.

"لا يمكن لنا أن نفوت زيارة جوهرة شانغي، فمنذ أن أعلنوا عن افتتاحها وانا أرغب برؤيتها على أرض الواقع"، أجابت نادين بحماس أنساها إلى أين تتوجه هي وآدم بعد كل ما مر عليهما من أحداث في الآونة الأخيرة. فكل ما تريده الآن الاستمتاع بكل ما يدور من حولها من تفاصيل حياة صغيرة في قلب هذا المطار.

كان المطار أضخم بكثير مما تخيّلته نادين فهو أقرب لمول تجاري كبير، أما جوهرة شانغي فكانت ككل شيء في سنغافورة مدينة مستقبلية في قلب المطار. تحتوي على أطول شلال اصطناعي في مطارات العالم، حيث بلغ ارتفاعه 40 مترًا. يسقط من قلب سقف زجاجي تم تصميمه كجوهرة

ألماس حرة ليرتطم بالطابق الأرضي فتبتلعه الأرض وتعيد إحياءه من فوق سقف الجوهرة من جديد. وحوله غابة تتألف من خمسة طوابق مرتفعة وجسور معلقة وقطار ينقلك من مكانك إلى بوابتك حتى لا تفوتك متعة النظر حتى وإن كنت مستعجلًا.

وقفت نادين على الجسر المعلق المقابل للشلال وقالت بشرود "كم هي جميلة...".

"لم أتوقع أنني سأجد شيئًا كهذا في قلب المطار"، قال آدم وهو ينظر إلى القطار المار من بين الأشجار "كنت محقة أيتها الصهباء، فالمكان يحتاج إلى أكثر من بضع ساعات للتجول فيه".

تناثرت المطاعم والمحلات في كل مكان من حولهما، لذا كان سكان المنطقة الذين أتوا للاستمتاع بفعاليات المطار أكثر من المسافرين! فعلى ناصية المقهى المطل على شلال جوهرة شانغي الضخم هناك شاب سئم من الدراسة وحيدًا فحمل جهازه الكومبيوتر وبدأ يكمل دراسته في قلب المطار فقط ليمتع عينيه بأجواء المكان. وعلى الطرف هناك بين الزهور وعلى رائحة الماء الساقط من الجوهرة فتاة تلتقي بحبيبها متأملة بأن يكون اليوم هو اليوم المنشود فيطلب يدها للزواج وسط الحاضرين. أما الأم وأطفالها هناك فكانوا يتجولون في الحديقة بين الأشجار المنحوتة على أشكال الحيوانات المختلفة ولا زالوا ينادون على أمهم: "نريد أن نذهب إلى حديقة الفراشات".

حديقة الفراشات لم تكن مجرد مسمى في قلب مطار شانغي، ففي الصالة الثالثة من المطار كانت تقع حديقة الفراشات بأشجارها وفراشاتها المتنوعة. تتجول بين تفاصيلها والفراشات من حولك تحلق بأمان فهذه الحديقة موطنها، دون أن تدري أنها مجرد مخلوقات تآلفت مع موطن

اصطناعي داخل حجرة في مطار لخدمة الزائرين! نعم فكل شيء ممكن هنا فأنت في سنغافورة!

كان آدم ونادين يتجولان في المطار بلا ملل. لم يعرفا كم أمضيا من الوقت قبل العودة إلى جوهرة شانغي وشلالها، ولكن ظلال الليل التي كانت ملقاة فوق الشلال بدأت تعلن لنادين وآدم عن اقتراب موعد الإقلاع. نظرت نادين إلى ساعتها وقالت: "لدينا بعض الوقت قبل أن نكمل إجراءات السفر". وكما في حدائق الخليج في قلب مدينة سنغافورة هناك كانت جوهرة شانغي التي أنيرت فجأة بأضواء ممتزجة بين الأزرق والبنفسجي تنقلك إلى عالم أثيري ساحر.

غرقت نادين في تفاصيل المكان الأشبه بعالم سرمدي قادم من المستقبل. "هل سنستطيع فعل ذلك يا آدم؟".

"ماذا تقصدين؟".

"هل سيبقى للعالم حقيقة؟ فسنغافورة عالم ممتزج بين الحقيقة والخيال تمامًا كامتزاج سكانه بكل طوائفهم. هي منتظمة لدرجة لا يمكن لك أن تتناول فيها قطعة لبان صغيرة حتى وإن اشتهيتها! ونظيفة إلى حد لا تصدق، أليس هناك طفل قد يرغب في إلقاء ورقة مهملة على قارعة الطريق كأي طفل عابث؟!".

صمتت نادين للحظة ثم أكملت: "لا، لن ترى هذا المشهد أمامك أبدًا! لأنها سنغافورة. كل شيء فيها مبرمج حتى وإن لم يكن تكنولوجيًا. فعقول البشر هنا بُرمجت تحت مسمى القوانين، ورغم ذلك ساحرة هي للحد الذي تتمنى لو أن التكنولوجيا تسيطر على العالم كله إن كان بهذا التوازن والجمال مع الطبيعة".

مر القطار من أمامهما حيث لا يزالان يقفان على الجسر المعلق.
صمتت نادين للحظات ثم أردفت قائلة: "ولكنها بكل تلك الطبيعة التي تتخللها ما إن تتأمل للحظات تفاصيلها حتى تكتشف أنها طبيعة ولكنها مبرمجة!".

حدّق آدم إلى وجه نادين المتلألئ تحت أنوار جوهرة شانغي الساحرة ليكتشف بأن شعرها الغجري الأحمر ووجهها الندي يعبران عن طفلة تعشق الحياة رغم رزانتها فقال وهو لا يزال ينظر إليها: "هل أنت خائفة؟".

استدارت نادين نحوه بعينين مثقلتين وهائمتين وقالت: "وأنت؟ ألست خائفًا؟".

أشاح آدم بوجهه نحو الشلال وقال وصوته لا يزال يمتزج بأثير المكان: "لم أعرف الخوف يومًا بقدر ما عرفته الآن!".

أصاب نادين الذعر حينما سمعت إجابة آدم الذي قال: "لقد حان الوقت... علينا الذهاب إلى قاعة المسافرين لإنهاء الإجراءات".

ركبا القطار الذي أوصلهما إلى منطقة المسافرين. دخلا المكان، وكان خاليًا من الموظفين وممتلئًا بأجهزة البوردينج ذات الخدمة الذاتية. وضع آدم تذكرة سفره هو ونادين ثم قام بعمل مسح لجواز سفريهما. ناولها ورقة البوردينج الخاصة بها وقال: "سنكون على متن الرحلة رقم 312 ووجهتها الأخيرة روما".

"هل سنمكث في روما بعض الوقت؟".

"لا، سنحجز تذاكر رحلة فنلندا من هناك مباشرة".

"ذلك جيد".

قال آدم وهو يتجه إلى البوابات برفقة نادين: "لقد اخترت لكِ مقعدًا بجانب النافذة".

هزت نادين رأسها وهي تشكر آدم وغادرا المنطقة. بدأت أصوات المضيفات الأرضية تعلو في أرجاء المطار طالبين من كل الركاب على اختلاف وجهاتهم التوجه لبوابات رحلاتهم استعدادًا للإقلاع.

"النداء الأخير للرحلة رقم 707 الرجاء من جميع الركاب التوجه إلى البوابة F20".

"النداء الأخير للرحلة رقم 410 الرجاء من جميع الركاب التوجه إلى البوابة C12".

"النداء الأخير للرحلة رقم 312 الرجاء من جميع الركاب التوجه إلى البوابة A15".

توجها نحو باب الطائرة لتستقبلهما مارتينا بابتسامتها الباردة والمغرية حيث كانت تتمنى لكل مسافر يدخل الطائرة عائدًا معهم إلى روما رحلة سعيدة رغم أنها كانت تعلم بأن ما تقوله ما هو إلا جملة عبثية لا معنى لها. فمارتينا ستنفذ خطتها مع روبرتو على متن هذه الطائرة!

كان آدم ونادين يدخلان من باب الطائرة الصغير بينما وقفت مارتينا بزيها الرسمي تهز رأسها بابتسامة قائلة: "أهلًا بكما على متن خطوطنا، هل أساعدكما؟".

ناول آدم مارتينا ورقته هو ونادين لتسير أمامهما قائلة: "تفضّلا معي فأنتما من ركاب الدرجة الأولى".

وصل آدم ونادين إلى المقعد، جلست نادين بجانب النافذة وما أن تأكدت مارتينا من أنهما جلسا براحة حتى قالت: "أتمنى لكما رحلة سعيدة".

أما في الدرجة الأولى فكانت نادين تجلس باسترخاء فوق الكرسي الوثير تتأمل من النافذة. أدارت وجهها نحو الممر لترى كم تبقى من المسافرين بعد لتبدأ الطائرة بتجهيز نفسها للإقلاع. وفجأة تسمرت نادين مكانها وتشبثت بذراع آدم الذي شعر بوخز أظفارها تحت قميصه فتمتم قائلًا: "نادين... ما بك؟".

أدارت نادين وجهها نحو النافذة بسرعة والعرق يتصبب فوق جبينها المغضن باللون الأحمر من شدة الانفعال فاقترب منها آدم قائلًا: "هل أنت بخير؟ هل أطلب لك مساعدة من طاقم الطائرة؟".

حاول آدم أن ينهض فثبتته نادين التي كانت تتكلم هامسة "اجلس، ولا تتحرك من مكانك".

جلس آدم بجانبها وقال وهو يحاول مسح جبينها فتناولت المنديل منه سريعًا. استدارت كليًا نحو النافذة كمن يحاول الاختباء في جوف تلك النافذة الصغيرة ولكن بلا فائدة ثم قالت بنبرة لا تكاد تسمع: "استمع لما أقول جيدًا ولا تتلفت حولك أبدًا مهما كان ما سأقوله صادمًا، هل فهمت؟".

لم يحاول آدم مجادلتها فكل ما كان يسعى إليه تهدئتها لأنه شعر بأنها تلتهب كجمرة محترقة أمامه من الخوف وهو لا يدري ماذا يفعل فقال: "حسنًا أخبريني".

"قاتل ديفيد وبرفقته لؤي معنا على متن الطائرة، إنهما خلفنا بأربعة مقاعد على الرواق الأيمن للطائرة في الدرجة الاقتصادية".

استدار آدم ببطء وهو يضع رأسه أرضًا محاولًا اختلاس النظر فوجد لؤي يضع حقيبة صغيرة في خزانة الركاب التي تعلو مقعده وبجانبه دياسايد بجثته الضخمة وثيابه السوداء الحالكة يجلس بلا حراك!

كان لؤي يعلم جيدًا بأنه ما دام يحمل المايكروشيب في باطن يده فلم يعد هناك واقع سوى الواقع الافتراضي على هذه الأرض. وما دام دياسايد بجانبه فلا زالت موازين القوى تتأرجح. كل ما كان يعرفه أن عليه التوجه الآن إلى حيث تحمله المايكروشيب هذه فهو وحده من يملك مفاتيح كل شيء. وما دام ديفيد لم يلوح له ولو من بعيد، فلا بد أنه ميت الآن وقاتله يجلس بجانبه!

أقفلت أبواب الطائرة وأعلنت مارتينا بأن الطائرة على وشك الإقلاع، عندها تأكد آدم أنه بات عليهما السفر برفقة دياسايد، حتى وإن كان هو ورقة الموت التي رماها القدر في طريقه على متن هذه الرحلة!



الفصل السادس والستون

كان الملل يسود الطائرة فوق وجوه المسافرين الذين كانوا ينظرون بشرود إلى مارتينا التي وقفت وسط الممر المقابل لهم بوجهٍ مبتسم حاملة حزام الطائرة ذا المشبك المعدني بين يديها بصمت بينما الصوت الآلي لإرشادات السلامة يعلو في الطائرة: "يجب ربط حزام المقعد عند إضاءة إشارة ربط حزام الأمان أثناء الرحلة، وذلك عن طريق.." رفعت مارتينا الحزام بآلية وأخذت تشرح للمسافرين كيفية ربطه ليكمل الصوت "وذلك عن طريق إدخال الطرف المعدني في فتحة التثبيت وإحكام الربط عن طريق شدّ الحزام" رفعت مارتينا الحزام وقامت بشدّه أمام المسافرين.

في تلك الأثناء كانت نادين تحاول ارتشاف بعض الماء بعد أن جفّ حلقها تمامًا، أما آدم حاول تهدئتها قائلًا: "لا تقلقي... علينا فقط الابتعاد عن مرأى أعينهم لا أكثر".

قالت نادين بصوت خافت ونبرة مستهجنة: "الابتعاد عن مرأى أعينهم في قلب طائرة واحدة؟! كيف؟".

"وهل بالضرورة أن يلتقي جميع ركاب الطائرة إن كانوا في طائرة واحدة؟ كل ما علينا التصرف بشكل طبيعي لا أكثر، الطائرة مليئة بالركاب".

قالت نادين والخوف بارز بوضوح في عينيها حتى استطاع آدم رؤيته: "لؤي برفقته! هل تعتقد أن لؤي لن يستطيع تمييز زوجته السابقة من بين آلاف المسافرين؟".

"المهم ألا يلمحنا قاتل ديفيد، وجود لؤي لا يهمني".

"وإن لمحنا؟ ماذا ستفعل حينها؟".

أمسك آدم يد نادين ورمقها بعين دافئة مغايرة لبرودته المعتادة "ألَمْ ننجُ في المرة الأولى؟".

هزت نادين رأسها بنعم فقال وهو لا يزال يمسك بيدها: "إذًا، سننجو هذه المرة".

مرت مارتينا من جانبهما مبتسمة وهي تنظر إلى كفيهما المتعانقين بصمت وتوجهت إلى مقصورة المضيفات استعدادًا لتحضير وجبات المسافرين.

تدّعي الخوف من تحليق الطائرة لترتمي في أحضانه وكأن الحب جرم، اعشقي أيتها المجنونة بلا حجج، فالعشق لا هوية له ولا مكان.

بدأت مارتينا ترص الوجبات في عربة نقل الطعام وقامت بتحضير القهوة وتجهيز الماء والعصير والأكواب البلاستيكية بينما اقتربت منها إحدى المضيفات قائلة: "ستكون هذه الرحلة منهكة فالطائرة شبه ممتلئة".

وستكون طويلة الأمد يا عزيزتي فوق الإنهاك!

ابتسمت مارتينا لها وقالت: "ساعديني في تحضير الشاي الآن فكل الرحلات تشبه بعضها".

"نعم أنت محقة".

توجهت المضيفة إلى إبريق الشاي ثم وضعته فوق عربة الطعام، في تلك الأثناء كانت الطائرة قد أصبحت معلقة في السماء على ارتفاع خمسة وثلاثين ألف قدم ما جعل لؤي يفتح حزام الأمان ليشعر بنوع من الراحة في كرسيه. نظر إلى دياسايد الجالس بجانبه بصمت كعادته ليلوح أمامه وجه

صديقه ديفيد وهما في حدائق الخليج تلك الليلة حينما قال: *"تذكّر أن كل ما أعرضه عليك هو الحقيقة ليس أكثر"*. وجود دياسايد بجانبه وغياب وانغ لي وديفيد يعني أنه لا وجود حتى هذه اللحظة لحقيقة سوى الموت!

سارت المضيفة في ممر الطائرة الطويل وهي تجر عربة الطعام بابتسامة معتادة وبدأت تمر على المسافرين لتقدم لهم وجبتهم مع كأس من العصير، بينما قامت مارتينا بالتوجه إلى مقصورة الكابتن قائد الطائرة الذي قال لها بصوت متفاجئ" "ما بك يا مارتينا؟ لِمَ أنت هنا؟ هل من مشكلة؟".

اقتربت منه مارتينا بهدوء وقالت: "كابتن جانلوكا إن هذه الطائرة مختطفة وهي تحت التهديد الآن".

"هل هذه مزحة من مزحاتك المعتادة يا مارتينا؟".

أجابت مارتينا ببرود سرى في جسد الكابتن: "لا يا كابتن، إن الطائرة هذه مختطفة وجميع ركابها هم رهائن حتى يتم تنفيذ طلبات المختطف".

أمسك الكابتن المساعد مقود الطائرة بينما نهض الكابتن جانلوكا من مكانه وهو يقول: "ما هذا العبث الذي تقولينه يا مارتينا؟".

"لا عبث في الأمر يا كابتن"، صمتت مارتينا للحظات ثم ناولت الكابتن السماعة الخاصة بالطوارئ والموجودة في غرفة القيادة وقالت: "تفضل ها هي السماعة".

تردد الكابتن جانلوكا في أخذ السماعة منها فبرودها كان يوحي بأنها مجرد مزحة سمجة أكثر من حقيقة ولكنه تناول السماعة ليقول: "نعم، أنا قائد الطائرة".

"كابتن فلتعلم أن الطائرة مختطفة وتحت التهديد"، قال الخاطف بصوت آلي على الطرف الثاني من المكالمة.

حدق الكابتن إلى مساعده بنظرة أثبتت للمساعد أن ما قالته مارتينا ما هو إلا حقيقة كاملة. حاول ضبط أعصابه والسيطرة على مقود الطائرة بينما أكمل الكابتن جانلوكا مكالمته مستمعًا للخاطف وهو يقول مكملًا كلامه: "أعدك بأنه لن تثار أي فوضى إن قمت بتنفيذ الأوامر والسعي لتحقيق طلباتنا، وأولى هذه الطلبات أن تكون المضيفة مارتينا هي حلقة الوصل بيننا وبينك لذا لا تحاول التواصل إلا من خلالها، وإلا ستُعتبر أي محاولة أخرى إخلالًا بالاتفاق المبرم بيننا" صمت الخاطف ثانية وقال: "هل كلامي واضح؟".

نظر الكابتن جانلوكا إلى مارتينا وقال: "نعم، واضح".

"كل ما هو مطلوب منك الآن التحليق بالطائرة وانتظار اتصالي الثاني".

أقفل الكابتن جانلوكا السماعة وهو حائر كيف سيتصرف حيال هذا الموقف الذي لم يتعرض له في مسيرته المهنية من قبل.

الفصل السابع والستون

بدأت الطائرة تعج بالحركة بعد أن فك المسافرون أحزمة أمانهم وبدأوا يشعرون بالراحة والحرية من ثقل الحزام رغم خفته، بينما توزيع الوجبات في الطائرة جعل الحياة تسري فيها بين مسافر أنهى وجبته، وآخر يطلب نوعًا آخر من الطعام، وطفل ينادي والدته بأن العاملين في الطائرة لم يعطوه الهدية التي وعدوه بها.

في تلك الأثناء كانت مارتينا لا تزال في غرفة القيادة عند الكابتن جانلوكا الذي جلس على كرسيه يمعن النظر إلى مارتينا بلا معالم واضحة.

هل أنت الخاطفة أم إنك مجرد حلقة وصل؟

قالت مارتينا ببرود وكأنها سمعت تساؤلاته الخفية: "لا علاقة لي باختطاف الطائرة كابتن. أنا مجرد رسول".

فقال المساعد وهو لا يزال يحدق إلى السماء العارية أمامه من كل شيء عدا السحب "ولِمَ أنت بالذات؟".

كانت مارتينا تنظر إلى لون طلاء الأظافر الذي بدا باهتًا على أظافرها وقالت: "هذا الطلاء غير متقن..". صمتت قليلًا ثم أكملت: "لا أملك إجابة لسؤالك ولكن ربما لأنني خطيبة روبرتو جوفاني".

قال جانلوكا مقاطعًا حديثهما: "كل هذه الأمور غير مهمة الآن.. كل ما يهمني ألّا يشعر الركاب بالأمر. هل هذا مفهوم يا مارتينا؟ وكونك أنت المضيفة الوحيدة المطلعة على الأمر فهذا الموضوع يقع على عاتقك وحدك".

"لا تريدني أن أطلع الطاقم على الأمر؟".

قال جانلوكا آمرًا: "لن يخرج الموضوع من حدود هذه الكابينة.. هل هذا مفهوم؟".

أجاب المساعد "نعم".

هزت مارتينا رأسها بنعم وغادرت الغرفة دون أن تترك لجانلوكا أي مجال لفرض أوامر أخرى. توجهت نحو الحمام الخلفي للطائرة، أغلقت الباب ونظرت إلى صورتها المنعكسة في المرآة مطولًا. كان لون الطلاء الباهت أكثر وضوحًا على المرآة وإنارتها.

كم كانت غبية العاملة في الصالون. لقد أخبرتها أن هناك خللًا باللون ولكنها أصرّت على أن جميع الأظافر لونها واحد... أوف كم هي غبية!

فتحت صنبور المياه وغسلت يدها مرارًا ثم تركت الماء يجري فوق كف يدها بصمت. بقي الصنبور مفتوحًا تحاول بصوته إسكات صوت نبضات قلبها المرتفع. وضعت كفها فوق صدرها لتهدأ قليلًا.

هل أنت خائفة أيتها المجنونة!

أقفلت مارتينا صنبور المياه وتوجهت نحو الخزانة. مرّرت يدها خلف حافة الخزانة المخفية. حاولت أن تمد يدها أكثر وفجأة أخرجت مغلفًا ورقيًا مقفولًا. فتحته لتطمئن. أخرجت المسدس الموجود فيه. تأكدت بأنه محشو بالطلقات الست. أعادت عجلة طلقاته مكانها ثم وضعته في المغلف وأقفلت عليه ثانية وخبأته مكانه.

وقفت أمام المرآة. عدلت ثيابها وشعرها. حدقت إلى كفها للحظات. شعرت برعشة تسري في أصابعها. جففت يدها بمناديل ورقية ثم توجهت نحو مقبض باب الحمام لتفتح الباب ولكن ارتعاشة يدها كانت تزداد.

إنه الطلاء الباهت، لا شيء آخر... عليّ الخروج من هنا الآن.

خرجت مارتينا من الحمام ووقفت في كابينة الطاقم عندما رن هاتفها الخلوي: "ماذا هناك؟".

قال روبرتو بنبرة آمرة: "مارتينا أوقفي مخطط الخطف... على الطائرة ما هو أهم من مخططنا أنا وأنت".

الفصل الثامن والستون

جلس لؤي بجانب دياسايد الشارد في النافذة المفتوحة بجانبه. كانت المرة الأولى التي يتفحّص فيها تفاصيل دياسايد الدقيقة، عضلات مفتولة، وجه أسمر يدل على أنه قد يكون من أي عرق في هذا العالم دون تحديد، فليس هناك علامة أو ميزة قد تحدد مكان نشأته. لذا يمكن أن يكون هو شاب تربّى في حنايا الكرة الأرضية كلها، فربما كان بغابات الأمازون تارة وربما في قلب نيويورك تارة أخرى. فدياسايد كان ولا يزال الشخص الوحيد الذي لا يمكن لك أن تحفظ ملامحه لأنك ما إن تراه حتى بتّ في عداد الموتى!

أما الآن فكان هناك هذه الفرصة ليراه لؤي بوضوح أكثر. تُرى هل يعلم دياسايد لماذا يقتل كل هؤلاء أم أنه ينفذ لمجرد صدور الأمر ليس أكثر ككل قاتل مأجور لا يعرف من المهنة سوى أتعابها؟ هل شعر يومًا بالغثيان أو الدوار عندما قتل أحدهم أم أن الأمر عابر ككأس النبيذ ذاك الذي ناوله للفتاة في الحانة تلك الليلة لتسقط ميتة بدلًا منه؟ قطع صوت هاتف دياسايد أفكار لؤي التي كانت تمر بين حنايا عقله بصمت.

"هناك أمر جديد عليك تنفيذه" قال روبرتو لدياسايد بنبرة واضحة تسللت إلى أذني لؤي الذي أخذ يراقب خطوات دياسايد. نهض دياسايد حاملًا هاتفه بينما كان روبرتو يكمل قائلًا: "لقد صدر أمر بقتل لؤي، ونادين وآدم؛ الفتاة والشاب اللذين كانا حاضرين لحظة مقتل ديفيد، أتذكرهما؟ إنهما معك على نفس الطائرة ضمن ركاب الدرجة الأولى".

سار دياسايد بخطوات هادئة وثقيلة في الممر المؤدي إلى الدرجة الأولى ووقف أمام الستارة الفاصلة بينهم. أكمل روبرتو كلامه قائلًا "ستجد مسدسًا في الحمام الخلفي للطائرة مخبأ في كيس ورقي خلف المرآة في الزاوية عند الخزانة، تستطيع استعماله".

أزاح دياسايد الستارة محاولًا الدخول. في تلك الأثناء كان آدم قد نهض من مكانه ليتوجه نحو حمام ركاب الدرجة الأولى فوجد دياسايد يقف قبالة إحدى المضيفات، التقت نظراتهما بحدة، ليتأكد آدم أن قاتل ديفيد بات يلاحقهما الآن في قلب الطائرة! أما المضيفة التي وقفت أمام دياسايد فقالت بنبرة ودودة: "عفوًا يا سيدي هل من خدمة؟".

رمقها دياسايد بنظرة باردة بعد أن تأكد من وجود نادين وآدم ثم عاد إلى الحمام الخلفي. أغلق هاتفه ووضعه في جيبه وحاول أن يدخل الحمام ولكن كان الحمام مغلقًا لوجود أحدهم في داخله. اقتربت منه مارتينا قائلة: "تستطيع استعمال الحمام الأمامي يا سيدي" لم يجبها دياسايد ولكنه توجه إلى مقعده أما هي فكانت تراقبه جيدًا، ففي أمر هذا الرجل ما يثير الشك!

جلس آدم بجانب نادين وقال بنبرة باردة وهامسة "سأخبرك شيئًا ولكن عليكِ ألّا تلفتي الانتباه إلينا ولا حتى بكلمة".

التفتت نادين نحو آدم بوجه خاوٍ وقالت: "هل عرف مكاننا؟".

قال آدم وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: "نعم، لقد كان يبحث عنا تحديدًا".

صرخت نادين بصوت مكتوم: "ماذا؟".

"قلت لكِ عليكِ أن تتمالكي نفسك يا نادين فنحن وهو في حيز أضيق من حدود التفكير، وعلينا أن نجد حلًا لهذا".

"كيف ونحن معًا على متن طائرة؟ أتدرك ما معنى طائرة؟".

"أدرك. لهذا اهدئي ودعينا نفكر ما دمنا حتى هذه اللحظة يفصلنا عنه هذا الستار".

استدارت نادين للخلف فوجدت المضيفة تغلق الستارة التي تفصل بينهم وبين ركاب الدرجة الاقتصادية. شعرت نادين بطمأنينة لحظية وقالت: "حسنًا..." ضغطت على زر المضيفة التي وصلت إلى مقعدها فورًا قائلة: "هل من خدمة يا سيدتي؟".

"نعم أرغب ببعض الماء".

غادرت المضيفة المكان ونادين تنظر إلى آدم الذي بدا غارقًا في مكان آخر.

كان لؤي يحدق بنظرات استتر خلفها خوف كاد يمزقه، فنادين على متن الطائرة برفقة آدم! ودياسايد توجه نحوهما بعد مكالمة روبرتو! مما يعني أنهما باتا في دائرة الخطر، ولكن ماذا يفعلان هنا؟ هل هما من كانا يحملان الوثائق لديفيد؟ أم أنهما هنا بمحض الصدفة؟ ولكن إن كانا بمحض الصدفة لماذا توجه دياسايد نحوهما فجأة بعد مكالمة روبرتو.

نعم إنهما الأمر الذي على دياسايد تنفيذه!

كاد الخوف يمزق قلب لؤي الذي لا يزال يجلس بهدوء إلى جانب دياسايد الذي كان يراقب الحمام الخلفي من بعيد، لم يستطع لؤي ترجمة الخوف الذي اعتلاه ولكنه كان يعلم أن وجود نادين يعني أن قلبه سينبض حتى ولو كان تحت الركام!

نظر لؤي إلى خلجات وجه دياسايد التي كانت تتحرك لاإراديًا وقال: "هل تساءلت يومًا ما هو شعور الموت يا دياسايد؟".

بقي دياسايد صامتًا لا يحرك ساكنًا ليكمل لؤي: "هل هو شعور بالسعادة أم المتعة؟ أم شعور بلا شيء؟".

كان لؤي يطوي منديلًا ورقيًا عدة طويات مختلفة على الطاولة التي أمامه: "أتعلم أن هناك في الطب فرقًا كبيرًا بين السعادة والمتعة، ونحن البشر لا نستطيع التفريق بينهما".

كان دياسايد لا يزال يجلس بهدوء ولكنه اشاح نظره نحو النافذة حينما أكمل لؤي كلامه والمنديل الورقي يُطوى بين يديه: "المتعة قصيرة المدى، بينما السعادة طويلة المدى، لأن المتعة أمر حسي ملموس فربما كأس من النبيذ يشعرك بالمتعة ولكنه لن يشعرك بالسعادة، فالسعادة روحية لا يمكن لها أن تكون ملموسة أبدًا".

كان لؤي قد توقف عن الكلام عندما أشار للمضيفة بأنه يحتاج شيئًا فقالت المضيفة بابتسامة: "نعم سيدي".

"أريد كوبًا من الماء الساخن".

"ساخن؟ أم تقصد أنه بارد؟".

"لا، ساخن".

"نعم بكل تأكيد".

نظر لؤي إلى دياسايد الذي كان لا يزال يحدق في النافذة بصمت، لم يكن يتوقع أن دياسايد ممن يتمتعون بالتحديق إلى السماء الخالية وسحبها، ولكنه ها هو يحدق بصمت!

قال لؤي: "المتعة تأتي دومًا بالأخذ بينما السعادة بالعطاء...".

أكمل لؤي طوي المنديل ليظهر أمامه شكله النهائي، مثلثات عمودية متقاربة يجمعها مثلث أفقي طويل، استدار دياسايد نحوه ليجد

لؤي غارقًا في ترتيب المنديل الموضوع أمامه ليصبح أكثر دقة. لم يكن يعلم لؤي إن كان يشعر بالمتعة أو السعادة وهو يطوي المنديل؟ رغم إدراكه التام بأن الفرق بين المتعة والسعادة كبير، ففي العلم الدوبامين هو المسؤول عن المتعة والسيروتونين عن السعادة، ولكن الكثير لا يفرقون بينهما. نعم المتعة حالة قصيرة المدى أما السعادة فحالة طويلة المدى، المتعة حسية أما السعادة فروحية، لذا عند العطاء نشعر بالسعادة وعند الأخذ نشعر بالمتعة، فالمتعة يمكن لها أن تتحقق بامتلاك الأشياء ولكن امتلاك الأشياء لا يمنحنا السعادة، المتعة قد تسبب الإدمان ولكن لا يمكن لنا أن ندمن السعادة، لذا هو يشعر بالمتعة الآن وهو يطوي المنديل لا السعادة!

ابتسم لؤي وهو يرتب الطرف الأخير من المثلث وقال لدياسايد: "إنها زهرة طائر الجنة؛ اعتدت أن أطوي المناديل الورقية لشغل وقتي أثناء العمل وهذه الزهرة أحب الأشكال المطوية إليّ". صمت قليلًا وهو ينظر إلى المنديل المطوي أمامه بإتقان بينما وصلت المضيفة حاملة كوب ماء ساخن تقدمه للؤي. نهض دياسايد متوجهًا نحو الحمام الخلفي بعد أن أصبح خاليًا دون أن ينظر إلى لؤي!

وضع لؤي المنديل الورقي على الصينية التي تحمل الكوب وقال للمضيفة "هل أطلب منك هذه الخدمة؟".

ابتسمت المضيفة وقالت: "نعم يا سيدي بكل تأكيد".

"هلّا قدمت كوب الماء الساخن هذا للفتاة ذات الشعر الغجري الأحمر في الدرجة الأولى؟".

"بالطبع...".

توجهت المضيفة نحو الدرجة الأولى واقتربت من مقعد نادين وآدم وقالت: "سيدتي، السيد في المقعد D4 في الدرجة الاقتصادية أرسل لكي هذا الكوب الساخن من الماء".

"عفوًا؟ هل تكلمينني؟" أجابت نادين.

"نعم سيدتي".

التفتت نادين للخلف لتجد الستارة التي تفصل بينها وبين دياسايد ولؤي لا تزال مقفلة، وضعت المضيفة الصينية أمام نادين وغادرت.

أمسك آدم كفها قبل أن تتناول الكأس: "إياك أن تلمسي الكوب".

"لا تقلق، هذا الكوب من لؤي وليس القاتل. إنه يحذرني منه فهو يعلم أنه يريد قتلنا".

قال آدم بدهشة: "ماذا؟".

رفعت نادين الكوب وتناولت من تحته المنديل الورقي المطوي على شكل زهرة طائر الجنة، وضعته فوق كف يدها أمام آدم وأخذت تقلب مثلثاته المرتبة بإتقان وقالت "طوي المنديل على شكل زهرة طائر الجنة... طريقة علمني إياها لؤي للتخلي عن توتري والحذر مما هو قادم، وبما أنه أرسلها إليّ مع هذا الكوب فهو يحاول تحذيري من أمر وأعتقد أنه يحذرنا من القاتل".

في تلك الأثناء كان دياسايد يسير باتجاه الحمام الخلفي ومارتينا تراقبه عن كثب دون أن يشعر فالحمام الأمامي كان فارغًا ولكنه أصر أن يدخل هذا الحمام، لذا لا بد من سبب لذلك! دخل دياسايد الحمام. وقف أمام المرآة ولكنه لم ينظر إلى نفسه ولا حتى ملامح وجهه. فهو لم يعتد أن يقف أمام مرآة! لم يكن يدري لماذا ولكنه كان متأكدًا أنه غير مهتم أبدًا

بذلك. وضع يده بجانب الخزانة. حاول أن يمدها أكثر ليصل إلى المغلف الذي أخبره عنه روبرتو. أخرج الكيس الورقي. قلبه بين يديه، فتحه، تناول المسدس من داخله. تأكد من أنه محشو بالطلقات ووضعه في جيبه ثم توجه نحو الباب. فتح الباب. وجد مارتينا تقف أمامه بابتسامة باردة، ومسدس كاتم للصوت!

ارتد رأس دياسايد للخلف، كانت طلقة مارتينا الصامتة استقرت في رأسه سريعًا، ككل ضحاياه الذين ماتوا على يديه بسرعة دون ألم! كان لا يزال واقفًا كأنه حي فهو لم يكن يعتقد أنه لا شعور للموت! والآن بات يعرف أن الموت بلا شعور... ساكن.. هادئ... ثقيل الخطوات... لا شعور له ولا حتى صوت! نعم، إنه يشبهه تمامًا لهذا كان هو دياسايد *قاتل الآلهة*! أما ملامح وجهه التي لم يلمحها يومًا حتى على مرآة الحمام هنا، فها هي غابت بين سماء وأرض فهل كان عليه أن يلقي نظرة؟

استدار نحو المرآة للحظة عابرة لم يستطع أن يحفظ ملامحه فيها فهو ككل ضحاياه إن رأى نفسه بات في عداد الموتى!

نعم، ربما الروح تصعد إلى السماء سريعًا من هنا!

الفصل التاسع والستون

كانت مارتينا تقف أمام الحمام وجثة دياسايد ملقاة أمامها حينما أزاحت ساقه الطويلة داخل الحمام ثم تناولت الهاتف واتصلت بروبرتو قائلة: "رجلك ذو اللباس الأسود جثة هامدة فوق أرضية حمام الطائرة".

كان روبرتو على الطرف الثاني من المكالمة غير قادر على استيعاب ما قالته مارتينا حينما صرخ قائلًا: "هل جننتِ؟ كيف فعلت ذلك دون أن تعودي لي بهذا الأمر؟ هل قتلت دياسايد فعلًا؟".

قالت مارتينا وهي تتمعّن في طلاء الأظافر الذي لا يعجبها وقالت: "نعم، لا أدري إن كان ذلك اسمه". رمقته بنظرة سريعة قبل أن تقفل باب الحمام جيدًا عليه وقالت: "إن كان ذلك اسمه فهو يليق به مع ثيابه تلك".

كان روبرتو يكاد يلقي بالهاتف ليكسره حينما سمع ردّها ببرودة وقال: "هل أنت متأكدة من أنك قتلت دياسايد؟".

"إن كان هو صاحب الملابس السوداء؛ فنعم لقد قتلته".

كان الخوف يسري في جسد روبرتو حينما سمع صوت مارتينا البارد يخبره بقتل دياسايد، فمن هي تلك المرأة التي نبض لها قلبه واستطاعت قتل أعظم قاتل مأجور في عالم الجريمة بكل برود وفي قلب طائرة تجارية صغيرة؟! هل حقًا هذه هي من يحب؟! هز رأسه قليلًا محاولًا طرد الأفكار من رأسه ثم حاول أن يتماسك بصوت ثابت وقال: "أتعلمين أنه بات عليك قتل من هم مطلوبون على متن الطائرة؟".

"لا مشكلة، ولكن ستبقى خطة خطف الطائرة قائمة حتى يتم إيداع المبلغ في حسابنا البنكي كما اتفقنا".

"هذا يعني...".

قاطعته مارتينا قائلة: "نعم، هذا يعني أنني لم أوقف المخطط كما طلبت ولا يزال الكابتن جانلوكا يعتقد أن الطائرة تحت التهديد". سكبت مارتينا لنفسها كوبًا من القهوة وأكملت "عليك أن تقوم بدورك على الأرض هناك. حاول إقناعهم بتحويل المبلغ وأنا سأكمل دوري هنا. أعتقد أن هذا ما هو متفق عليه بيني وبينك يا روبرتو".

"حسنًا يا مارتينا، سأطلب من الجنرال التواصل مع رئيس الحكومة لحل تلك المسألة".

رشفت مارتينا ما تبقى من القهوة دفعة واحدة حتى شعرت بحرارتها تلسع جدار المريء في عنقها وقالت: "جيد، وداعًا الآن".

وضعت مارتينا الكوب جانبًا حينما وجدت أحدهم يقبل نحو الحمام لاستعماله فقالت وهي تقترب منه: "الحمام مشغول يا سيدي، تستطيع استعمال الحمام الموجود في المقدمة".

هز لؤي رأسه بنعم وتوجه في الممر الطويل نحو الحمام الأمامي ولكن بقي ينسخ ملامح مارتينا في ذاكرته ومكالمتها غير المفهومة مع روبرتو. فوجودها يعني أن روبرتو لا يزال بينهم وإن غاب دياسايد حتى هذه اللحظة!

كانت نادين تسير في الممر نحو الحمام حينما لمحها لؤي من بعيد، فسار بخطوات أسرع بقليل. دخلت نادين الحمام وقبل أن تقفل الباب فتحه لؤي بسرعة ودخل معها قبل أن يلاحظ أي راكب من الغافين فوق كراسيهم ذلك! حدقت نادين فيه مرتعدة وقالت: "لؤي...!".

اقترب لؤي منها وأغلق باب الحمام وقال بصوت متقطع مكتوم: "لم أتوقع أن ألتقيك هنا ومع من... آدم؟!".

حاولت نادين الابتعاد عنه في المساحة الضيقة المحيطة بهما وقالت بنبرة يعتليها بعض الخوف المغلف بالهدوء المصطنع: "الأمر ليس كما تعتقد".

أمسك لؤي بذراعها بقوة وقام بليِّها خلف ظهرها لتصبح تحت سيطرته وقال: "لا يهم ما أعتقد، المهم أنك معي هنا الآن".

حاولت الالتصاق بالمغسلة التي خلفها حتى شعرت بحافتها تنخر خاصرتها فقالت بنبرة متألمة: "ابتعد عني يا لؤي".

اقترب لؤي منها أكثر ووضع شفتيه فوق أذنها هامسًا "لماذا؟".

كانت نادين تحاول الابتعاد لا تدري إلى أين، والخوف والشوق اللذان يمتزجان في عينيها بوضوح يستطيع لؤي قراءتهما جيدًا لذا قال وهو يبتسم ببرود: "لا أزال أرى كل شيء في عينيك يا نادين".

"لا شيء في عيني سوى الرغبة في الخروج من هنا".

"بل الرغبة لما كان يجمعنا سابقًا".

غابت نادين في تفاصيله التي لم تُمحَ من حنايا ذاكرتها أبدًا وقالت وهي تشيح بوجهها عنه: "أنت مخطئ".

قال لؤي بنبرة واثقة "قد أخطئ في أي شيء..."، ثم أمسك بذراعها الملوي بين يديه ووضعه أمامها قائلًا: "أي شيء! عدا هذا النبض الذي يسري فوق أصابعي الممسكة بذراعك الملتوي في كفي الآن".

حاولت نادين فك ذراعها منه فأمسكها بقوة ودفعها نحو الحائط المقابل لمغسلة الحمام الصغير حتى شعرت بأن ظهرها التصق بالجدار من شدة دفعه لها وعظامها كانت على وشك التحطم.

لا زلت كما أنت بكل عنفوانك المغري، وعشقك المؤذي يا لؤي!

كانت نبضات نادين القابعة بين أصابع لؤي تزداد قوة لم تستطع فهم سببها، فهل كانت خوفًا أم كانت شوقًا؟ ولكنها كانت متأكدة بأنها بين هذا وذاك لم تعد تريد أن تحب لؤي بطريقته الوحشية تلك!

فقالت بنبرة يائسة لطالما عشقها لؤي في بحة صوتها الممزوجة بالخوف: "دعني يا لؤي فأنت تؤلمني...".

"ومنذ متى لم تعودي تعشقين الألم الممزوج بالحب؟".

فأجابته نادين بقوة هذه المرة محاولة الفكاك منه: "منذ أن رحلت..". لم تستطع فك ذراعها فلطالما لؤي كان قادرًا على أن يجعلها تستسلم لقوته بكل سعادة حتى وإن راودها الخوف من ردود أفعاله دومًا ولكنها رغم كل ذلك كانت تحيا معه بين حيرة العشق وحيرة الرفض حتى قررت يومًا أن ترحل بصمت دون أن تعلن قرارها!

استسلمت نادين للؤي ونظرت إليه بشوق لم تستطع أن تخفيه وهي تتساءل قائلة: "لماذا أرسلت لي ذلك التحذير؟".

"لأنه كان عليّ ذلك".

"كم هي الأمور التي كان عليك فعلها دومًا..". صمتت نادين للحظات ولؤي لا يزال يقترب منها حتى بات يلتصق بجسدها المنهك وقال بنبرة مسيطرة: "ولا أزال أفعل ما دمت موجودة..".

"أعلم أنه من يجلس بجانبك يريد قتلي أنا وآدم".

"إذًا لم تكوني بحاجة لتحذيري".

نظرت إليه نادين بنظرة اخترقت كل جسده حتى وصلت إلى جلده الساكن تحت قميصه الكتاني الأزرق فقال بنبرة متهكمة سعيدة: "ما دمت

تحدقين إليّ هكذا إذًا كنت تحتاجينه!".

ليتني أعرف لما لا أزال أحتاجك رغم كل هذا البعاد!

فقالت وهي تحاول إبعاد وجهها عنه: "لا لم أكن بحاجته، فديفيد قُتِل أمامي على يده، وأعلم أنه يريد التخلص مني أنا وآدم لأننا الشاهدان على جريمته". ما إن أنهت نادين جملتها حتى لمحت الخوف للمرة الأولى في عيني لؤي وهو يتساءل بنبرة مصدومة "ديفيد قُتل؟!".

"نعم..".

"هل أنتما من كنتما تحملان الوثائق لديفيد؟".

اعتلى الخوف وجه نادين ثانية حينما وجه لؤي سؤاله لها وعندما لم تجب تكلم بصوت مرتفع كمن يخاطب نفسه: "إذًا، على دياسايد قتلي الآن!".

حدقت إليه نادين بنظرة ذعر مغلفة بالحب، ولكن نبرة صوتها كانت واثقة وهي تقول: "قتلك أنت؟ ومن يستطيع التخلص منك يا لؤي؟".

اقترب منها لؤي بدفء هذه المرة دون أن تعلو قسوته لمساته، لم يكن يعلم لماذا شعر بأنه عليه أن يقترب منها حتى يمتزج في حناياها كمجرى الروح! فهل هذه اللحظة ستكون الأخيرة التي يعانق فيها جسدها ثانية؟! اقترب أكثر حتى زالت ارتعاشتها من برودة الهواء المار في المكان.

كم كان حضنك دافئًا رغم كل قسوتك!

مرّر أصابعه فوق عنقها العاجي الممشوق وقال "أنتِ...".

ابتسمت نادين بجفاء وهي تقترب منه فكل ذلك الخوف لا يزال يعلوها كلما ارتمت في أحضانه ورغم الزمن الذي مر بينهما ما زال جسدها يعاني من قسوة عقوباته بين عناق عنيف ممزق وبين صفعات مؤلمة تنتهي

ربما بقبلة محترقة تحرق روحها، فتجعلها أسيرته حتى وإن كانت تتمنى الرفض!

ارتعد جسد نادين حينما لاحت ذكرياتها القاسية معه أمامها وقالت بمرارة: "ورغم ذلك ما زلت أراك حتى في كوابيسي".

رفع ذراعيها على الحائط بقوة فأصبحت تحت سيطرته تمامًا حينما اقترب منها واستنشق نفسًا عميقًا وقال "غيرت عطرك؟".

"كثيرة هي الأشياء التي تغيرت".

كان لا يزال لؤي يستنشقها كزهرة برية وهو يقول: "كل الأشياء إلا أنت!". وما أن أنهى جملته حتى سقطت نادين بين ذراعيه بقبلة طويلة حارة يعتليها الشوق والخوف والرفض معًا، ويا ليتها كانت تستطيع الرفض!

* * *

توجهت مارتينا نحو كابينة القيادة وقالت للكابتن جانلوكا "الخاطف على الهاتف ومطالبه كالآتي، إيداع 150 مليون دولار على الحساب التالي...".

بدأت مارتينا في نقل أرقام الحساب لجانلوكا الذي كان يكلم برج المراقبة قائلًا: "نعم يا سيدي هذه مطالبه..". صمت جانلوكا قليلًا ثم قال: "الخاطف ليس فقط في قلب الطائرة حتى نسيطر عليه فهو قام بمحادثتي في بداية الإقلاع من مكان ما فوق الأرض والآنسة مارتينا تخضع للتهديد مثلنا تمامًا".

ناول الكابتن جانلوكا السماعة لمارتينا وقال: "يريدون التحدث معك".

أخذت مارتينا السماعة وقالت بهدوء: "نعم يا سيدي لقد كلمني منذ لحظات على هاتف الطوارئ وطلب مني أن أبلغكم بذلك، نعم 150 مليون دولار مقابل أرواح الرهائن". صمتت مارتينا قليلًا ثم أجابت: "لا أدري لِمَ اختارني أنا تحديدًا ولكن على ما يبدو أنه يعرف الطائرة جيدًا ولديه معاونون على متنها وأنا أراقب الأمر بصمت".

كانت مارتينا تهز رأسها وهي تقول: "نعم يا سيدي أشكرك هذا واجبي اتجاه عملي ووطني". أقفلت مارتينا السماعة وقالت لجانلوكا "رئيس المفاوضين يريد مني التواصل مع الخاطف والتفاوض معه على مطالبه".

قال جانلوكا: "هل تستطيعين فعل ذلك؟".

"سأحاول، أريد بعض الماء. لا أستطيع المكوث أطول هنا".

خرجت مارتينا بينما نظر جانلوكا إلى مساعده قائلًا: "يبدو أنها تشعر بالضغط، عليّ أن ألحق بها لأطمئن عليها فهي تمر بظرف صعب".

خرج جانلوكا من الكابينة وتوجه نحو غرفة الطاقم ليلحق بمارتينا فوجدها تضع مسدسها على رأس أحد زملائها المضيفين لترديه أرضًا! حاول جانلوكا الهرب ولكن كانت رصاصة مارتينا أسرع إلى قلبه من غرفة قيادته. اقتربت منه وهي تنظر إليه قائلة: "سامحني يا جانلوكا كان علي فعل ذلك!" أطلقت رصاصة ثانية نحو رأسه ليموت.

الفصل السبعون

سار لؤي باتجاه الحمام الخلفي حيث دخل دياسايد، فغيابه المفاجئ كان بلا تفسير بالنسبة إليه. لذا حاول الاقتراب من الحمام بحذر. فتحه فوجده مغلقًا. تلفت يمنة ويسرة حتى لا ينتبه له أحد فهو يدرك تمامًا أن دياسايد لم يغادر الحمام أبدًا. وقف للحظات كمن ينتظر دوره ثم أسقط قلما من جيبه فنزل ليبحث عنه. اقترب من عقب الباب أكثر ووضع رأسه على عتبة الباب عله يستطيع التقاط أي شيء مما يحدث في الداخل ولكن فجأة شعر بسائل بارد يغطي جزءا من أنفه وشفته السفلى. مرر إصبعه فوقهما ليجده دمًا!

غطى لؤي وجهه بيده وتوجه نحو كرسيه ثم فتح كاميرا الهاتف الأمامية ليقوم بمسح بقع الدم التي علقت فوق وجهه بهدوء. في تلك الأثناء كان الستار الفاصل بينه وبين نادين قد فتح لوصول إحدى المضيفات تلبية لطلب أحد الركاب فاستدارت لتلمحه من بعيد، لؤي زوجها الذي عشقته حتى الجنون وغادرته في لحظة بكل سكون، لؤي الذي غابت الآن بين ذراعيه بكل شوقها ورفضها، ها هي وحتى هذه اللحظة تسقط في براثن حبه المؤلم بصمت!

بحثت عنه بين المارين وما أن لمحته حتى وجدته يمحو الدماء التي غطت وجهه بحذر محاولًا ألّا يلمحه أحد عندها شعرت بأن قلبها بات في جوفها خوفًا وعانقت ذراع آدم بقوة الذي قال بنبرته الهادئة: "ما بك هل أنت بخير؟".

وما أن نظر إلى عينيها حتى رأى فزعًا لم يره مسبقا عندها رفع رأسها نحوه بكفيه وقال: "نادين هل أنت بخير؟".

"نعم... ولكن لا تغادر مقعدك أبدًا ولا تتركني وحدي".

نظر إليها آدم بنظرته الثابتة دومًا كعادته والتي تبعث الطمأنينة فيها رغمًا عنها وقال: "لا تقلقي...".

في تلك الأثناء كان لؤي يسير باتجاه غرفة الطاقم الأمامية مرورًا بآدم ونادين التي أشاحت بوجهها عنه بسرعة حينما لمحته ليعرف آدم عندها أن خوف نادين لم يكن مقتصرًا على وجود قاتل ديفيد فقط! أما لؤي فقد كان يسير هائمًا شارد الذهن دون أن ينتبه حتى لوجود نادين، فموت دياسايد المفاجئ يعني أن عليه اللحاق بتلك المضيفة التي تدعى مارتينا والتي كانت تكلم روبرتو هناك في الطرف الخلفي من الطائرة. وصل لؤي إلى مقدمة الطائرة وما أن اقترب منها حتى استقبله أحد المضيفين قائلًا بارتباك: "عفوًا سيدي... المكان هنا للطاقم فقط إن كنت تحتاج أي خدمة يمكنك الضغط على الزر ونحن سنحضر، لك في الحال".

قال لؤي وهو يحاول تفحص غرفة الطاقم: "في الواقع كنت بحاجة إلى....".

توقف لؤي عن الكلام عندما أُزيحت الستارة بشكل عفوي، أخذت عيناه تتفحصان المكان بدقة سريعة فشعر بالفوضى التي تعم المكان والخوف الذي اعتلى وجوه الطاقم كله، حينما لمح جثتين ملقاتين في أرضية الغرفة ومارتينا غير موجودة بين الحاضرين!

قال المضيف للؤي وهو يقفل الستارة سريعًا: "سيدي أرجو منك التوجه إلى مقعدك وأنا سأحضر لخدمتك في الحال".

سار لؤي عائدًا نحو كرسيه بصمت شارد جعل نادين تشعر بأنه لم يلمح وجودها فشعرت بالراحة. جلس لؤي في كرسيه وعقله لا يتوقف عن التفكير بكل ما سمع ورأى.

دياسايد مات... والطائرة تحتوي على جثتين! فما الذي يحدث هنا؟

جفل لؤي حينما سارت مارتينا أمامه متوجهة نحو كابينة القيادة وهي تتصل بروبرتو قائلة: "أرسل لي صور المطلوبين".

"نعم بكل تأكيد".

أغلقت الهاتف ثم دخلت غرفة القيادة مسرعة وقالت للمساعد بصوت مرتعد: "لقد قام أحد معاوني الخاطف بقتل جانلوكا وأحد أعضاء الطاقم".

حدق المساعد فيها برعب، مرت اللحظات ثقيلة بينهما ويداها غارقتان بالدماء ثم تناول السماعة وقال: "بلاغ إلى برج المراقبة، الكابتن جانلوكا قائد الطائرة قد فارق الحياة مقتولًا على يد الخاطفين!".

ضجت الأصوات من قلب السماعة ليضعها المساعد بصمت متيقنًا بأنهم باتوا جميعًا تحت قبضة الموت! أما مارتينا فكانت تقف أمامه مرتعشة بحالة هلع وهيستيريا جعلتها تتقن الدور بكل صدق وهي تردد "لقد قُتل جانلوكا" فاقترب منها مساعد الطائرة قائلًا: "مارتينا، اهدئي".

وقعت على الأرض وهي ترتعد وبصوت متقطع قالت: "لقد مات جانلوكا... هذا غير ممكن".

أجهشت بالبكاء وأخذت تردد: "غير ممكن... أشعر بالاختناق، لا أستطيع التنفس".

اقترب المساعد منها وقال: "ابقي هنا للحظات".

خرج المساعد من غرفة القيادة وأشار لأحد أفراد الطاقم قائلًا بصوت خافت: "أحضر لنا طبيبًا إلى هنا بسرعة".

"نعم كابتن في الحال".

سار المضيف في الممر الطويل مارًا على الركاب وهو يتساءل إن كان أحدهم طبيبًا وما أن وصل إلى لؤي حتى قال له: "نعم أنا طبيب..".

ابتسم المضيف وقال: "نحتاج لوجودك سيدي".

"بكل تأكيد".

أمسك أحد الركاب المضيف المجاور للؤي متسائلًا: "هل من خطب ما؟ لماذا تحتاج لطبيب؟".

ابتسم المضيف وقال: "لا يا سيدي لا تقلق، فقط إحدى المضيفات مصابة بدوار ونحتاج لطبيب ليعاينها ليس أكثر".

هز الرجل رأسه وقال: "ها فهمت.. أتمنى لها الشفاء".

"أشكرك سيدي".

أكمل المضيف طريقه وقال وهو يشرح للؤي: "إحدى زميلاتنا متعبة يا سيدي".

"نعم لا بأس، سأراها في الحال".

سارا نحو غرفة القيادة وما أن دخل حتى وجد معظم الطاقم في الغرفة يقف حول مارتينا الساقطة فوق الأرض بإنهاك وهي ترتعد يعتليها الخوف من كل صوب. بعضهم يحاول مساعدتها على النهوض للجلوس على كرسي الكابتن وآخرين يحاولون مسح وجهها ببعض المناديل المبتلة ولكنها بقيت ساقطة على الأرض بإنهاك فهي لا تزال مصابة بنوبة هلع كما تدّعي! خرج لؤي للحظات في وسط تلك الفوضى. توجه نحو غرفة

الطاقم وتناول كأسًا من الماء ثم دخل الغرفة بهدوء وقال: "اشربي كوب الماء هذا".

تناولت الكوب بيد مرتعشة. أمسك لؤي بيدها. ناولها الكأس لتشربه بهدوء. شربته كاملًا ثم قالت بنبرة متقطعة: "أشكرك..".

"العفو".

اقترب المساعد من مارتينا قائلًا: "كيف تشعرين؟".

"أفضل ولكنني أشعر بالاختناق".

اقترب لؤي من المساعد وقال "من الأفضل أن نمنحها بعض المساحة".

"نعم أنت محق" نهض المساعد من جانبها وقال "فلتغادروا الكابينة الآن".

خرج الجميع، عندها أمسك المساعد المضيف وقال له: "أين الطبيب؟".

"إنه الذي طلب منك إخلاء المكان".

"حسنًا هذا جيد، اخرجوا الآن ودعوها تتنفس".

أصر بعض الطاقم البقاء بينما خرج الباقون لخدمة الطائرة. كانت مارتينا تجلس على أرضية غرفة القيادة بإنهاك وتعب شديد لم تكن تعلم إن كانت قد تقمصت الدور حتى تشبّعت منه كاملًا أم أنها منهكة فعلًا بسبب كل ما يحدث. ولكنها تشعر فعلًا بالإنهاك وهي بحاجة لأن تتكئ على جدار الغرفة. حاولت النهوض ولكنها لم تستطع عندها زحفت للخلف حتى أسندت ظهرها إلى الجدار بهدوء.

قال المساعد وهو يقترب منها: "ما بك يا مارتينا؟ بِمَ تشعرين؟".

"لا شيء، أحتاج أن أسند ظهري إلى الجدار فقط".

"حسنًا.. لا بأس بذلك".

رن هاتفها فجأة فتناولته بين يديها التي بدأت بالارتعاش.

لا بد أنها الصور التي سيرسلها روبرتو...

فتحت مارتينا الشاشة التي كانت غير واضحة أمام عينيها، فقامت بمسحها ولكنها لم تتضح، عندها قامت بمسح عينيها.

إنه العرق... يبدو أن العرق يدخل عيني، المكان حار جدًّا هنا!

فتحت الرسالة التي وصلتها من روبرتو، بدأت الصورة تتضح أمامها ثم أخذت تقلب الصور الخاصة بالمطلوبين، الصورة الأولى كانت لنادين، ابتسمت ببرود وهي تنظر إلى الصورة.

تلك الفتاة التي تدّعي الخوف في الدرجة الأولى!

كانت الصورة التي تليها صورة آدم الشاب الذي كان يعانق ذراع الفتاة لتطمئن أثناء الطيران. أما الصورة الثالثة فكانت لرجل ببذلة سوداء رسمية يقف الآن أمامها يراقبها بصمت وهي تدّعي الإنهاك والخوف! بقي لؤي هادئًا ينظر إليها بنظرة لم تستطع مارتينا تفسيرها.

ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟

حدقت إلى الصورة المشوّشة أمام عينيها ثم رفعت نظرها إلى لؤي. كانت ارتعاشات يدها تزداد حدة حتى شعرت بأن الهاتف سيسقط من يدها. أمسكته بقوة.

لا تقلقي إنك غاضبة بسبب طلاء الأظافر!

بدأ جسدها كاملًا يتصبّب عرقًا أكثر. كان يشتعل حرارة كأنها تقف أمام فرن العم إنزو تنتظر بيتزا الموتزريلا الشهيرة! اقتربت إحدى زميلاتها

منها تحاول مسح العرق المتصبب من جبينها قائلة "مارتينا... هل أنت بخير؟".

نظرت إليها للحظات ثم نقلت نظراتها إلى لؤي الذي كان يقف كتمثال منحوت بلا معالم أمامها ثم قالت بصوت واهن: "لا، أنا لست بخير... لا أدري ما يحدث".

اقترب المساعد منها وهي لا تستطيع فهم أي شيء مما يحدث. هل حقًا هي في نوبة هلع؟ ما الذي يحدث لجسدها؟ لماذا هي ترتعش بهذا الشكل وها هما عيناها بدأتا تفقدان الرؤية للحظات ثم تعودان. حاولت مارتينا النهوض ولكن جسدها كان ثابتًا كلوح خشب تتلاطمه الأمواج، إنها لا تستطيع الوقوف على قدميها. بدأت أنفاسها تتقطع ببطء. الإنهاك أصبح أكثر وضوحًا في وجهها الشاحب المتعرق ولكنها ما زالت تحدق إلى لؤي بشدة محاولة فهم ما يحدث. فهذا الرجل كان يجلس بجانب الرجل الذي قتلته في الحمام ذي الثياب السوداء. وها هي صورته الآن بين يديها مطلوبًا للموت! فماذا عساه أن يفعل هنا؟ فجأة صرخت مارتينا بصوت مختنق: "لا أستطيع التنفس جيدًا".

اقترب منها المساعد قلقًا وقال: "ربما تعانين من نوبة هلع جديدة يا مارتينا".

"احضر لي طبيبًا الآن".

"إنه الطبيب.." أشار المساعد للؤي الواقف أمامها.

حدقت مارتينا إليه بخوف وقالت: "أنت الطبيب؟".

دنا منها لؤي وجلس بجانبها ممررًا كفه فوق جبينها المتعرق ومحاولًا قياس نبضها ثم قال: "نعم أنا الطبيب...".

قالت مارتينا بصوت ممزق: "أشعر بجسدي يحترق وأنفاسي تخبو".

"نعم.. أعلم هذا".

نظرت مارتينا إلى عينيه مباشرة بنظرة ممزقة ثم قالت "تعلم هذا؟!".

همس لؤي ببرود في أذنها: "نعم يا عزيزتي... إنها الرغبة في الحياة، فمكالمتك مع روبرتو لا تعني سوى أمر واحد... قتلي!".

نهض من أمامها وغادر الغرفة بعد أن أخبر المساعد أنه لا يملك حلًا لحالتها. أما مارتينا فعرفت في تلك اللحظات لماذا هو المطلوب الأول بالنسبة لروبرتو على متن هذه الطائرة!

كان جسد مارتينا يهوي عندما بدأت أصوات زملائها ومساعد الطيار تتلاشى، بينما كان كل ما يجول من حولها في تلك اللحظات صوت حوافر أحصنة الباليو وهي تجري مصارعة الزمن للفوز. تبسمت برفق حينما لاح وجه لوكا العجوز أمامها وهو يحمل علم حي الكايتشولا مناديًا: "الفوز للكايتشولا..." بينما على الناحية الأخرى كانت السلطات تحرق جثته في إقليم لومبارديا خوفًا من العدوى!

اقترب صوت المساعد منها رغم صداه البعيد وهو يقول: "مارتينا... هل...".

لم تستطع مارتينا سوى سماع صوت خطواتها الراقصة فوق أمطار البانثيون تلك الليلة وهي تبكي بحرقة. فيا ليتها لم تخن وعدها لروبرتو، نعم عليها أن تكلم روبرتو! امتدت يدها المرتعشة نحو الهاتف الذي كانت صورته غير واضحة أمامها. قلبت الأسماء التي كانت تتماوج بين دموعها وقطرات العرق التي تتصبّب من رأسها. ضغطت على الاسم. وضعت السماعة على أذنها. رن الهاتف طويلا ولكن روبرتو لم يجب!

إنها لا تزال ترقص تحت المطر! رفعت رأسها للسماء تستنشق رائحة التراب الممزوجة بالماء.

إنها الأرض تحيا من جديد بعد شتاء طويل!

أما هي فلا تزال أمام بوابة البانثيون ترقص. كانت مارتينا تجيد الرقص ككل شيء في حياتها. فهي المجنونة التي عشقت الحياة حتى أتقنت تفاصيلها، لذا عشقها روبرتو حتى الثمالة! عشقها بكل جنونها وتقلباتها، عشقها رغم إدراكه أنها لا تحمل من الحياة سوى بربريتها، ورغم عقلانيته كان دومًا يسقط أسير هوسها! وها هي الآن تدفع ثمن هوسها! علت ابتسامة ميتة فوق شفتيها، نعم! فكم كانت هي متمردة وكم كان هو صادقًا، ليتها آمنت به وبأفكاره كما آمنت بعشقه ولكنها كانت دومًا تتمرد على كل ما كان يطلب ربما لأنها كأحصنة الباليو يمكن لها أن تكسب السباق بلا فارس!

كنت محقًا يا روبرتو!

كان جسدها متصلبًا رغم الارتعاشات، لماذا لم تفعل ما طلبه منها روبرتو؟! لماذا خانت وعدها له تلك الليلة وقتلت أندريه؟ ولماذا لم توقف مخطط اختطاف الطائرة ولم تقتل ذلك الرجل ذا الثياب السوداء؟ لماذا كعادتها لم تنصت لروبرتو الذي كان دومًا محقًا؟ نعم! هو دومًا كان محقًا لهذا أحبته، لأنه كان عقلها في لحظات جنونها، وكان هدوءها في لحظات هوسها، وكان تحضّرها في لحظات بربريتها، أحبته لأنه كان هو نقيضها واكتمالها! ولأنها مجرد نصف تائه على متن هذه الطائرة، فها هي تتخبط تحت وطأة جسدها المشروخ بالتقلبات.

ليتك كنت هنا يا روبرتو!

اقتربت منها إحدى زميلاتها تمحو لها قطرات العرق المتصببة فوق أنفاسها المتقطعة وصدرها الذي يعلو ويهبط بشدة، أما هي فقد كانت هناك على شرفة روبرتو تهيم فيه من بعيد وهو يقترب، تغيب في أحضانه بتعب، تغرق في عينيه التائهتين، لتبحر بين يديه اللتين تمرّان فوق عنقها البارد بهدوء، كم أمضيا العمر بحثًا؟ وحتى هذه اللحظة لم يجدا الإجابة! ولم تكن تعلم أن كل تساؤلاتها وعبثها سينجليان في بضع لحظات! فيا ليتها كانت صبورة! كم تشاجرت وغضبت وسقطت بين عواصف ذهنها المتكهرب بثنائي القطب، كما يسمونه، ولم تكن تعلم أن كل ما كانت تحتاجه لحظة تأمل على حافة الزمن! فحتى الزمن رغم طوله كان قصيرًا جدًّا. فهل كان يستحق منها كل هذا العناء؟ ليتها لم تعاند القدر فهو حتمي حتى وإن لم تكن تراه وها هو ينجلي أمامها رغم غياب بصرها عن الوجود بالتدريج، فهل حقًّا مضى العمر وهي تصارع في معركة خاسرة! ليتها آمنت بكل شيء كما آمنت بلا شيء. لربما استطاعت أن تقي نفسها من هذه اللحظات، لكنه الموت! الحقيقة الوحيدة التي آمنت بها وطبقتها، وها هي تلوذ تحت وطأته الآن ككل من ماتوا تحت تقلباتها المجنونة!

نعم يا حبيبي إنه الموت...

رفعت كفها لتمررها بين خصلات شعره المتموجة ولكنها لم تمر! كانت شفافة حتى شعرت بأن الأجساد تمر من خلالها، لتسري في جسدها ارتعاشة باردة أوقفت العرق عن الانهمار!

البرد شديد! وكأن احدهم فتح باب الطائرة! ألم يلحظوا ذلك؟

حدقت بخوف إلى المحيطين بها.

باب الطائرة مفتوح... احذروا!

بدأت أسنانها تصطك وشفتاها ترتعشان بشدة، أحاط بها كل الطاقم والمساعد ولكن كان وحده صوت روبرتو ينادي من بعيد "مارتينا حبيبتي...".

حنين، شوق، حب، وفجأة... لا شيء... ثم تمضين... وها أنا أمضي يا روبرتو وكلي شوق إليك.. لقد صدقت نبوءة العرافة الفرنسية!

كان روبرتو لا يزال يصرخ على الطرف الثاني من المكالمة "مارتينا حبيبتي... هل تسمعينني؟".

رفعت مارتينا السماعة قائلة بصوت بات يتلاشى: "سامحني يا حبيبي، فأنا لم أستطع أن أفي بوعدي يومًا".

سقط الهاتف من يد مارتينا التي لم تعرف الخوف يومًا ولكنه احتل كل أوصالها حينما واجهته على هذه الطائرة ليغتالها في لحظة صمت باردة كبرودة جسدها المرتمي بين زملائها الآن. فمارتينا الإيطالية المتعصبة لحيها وللباليو رحلت بجنونها وهوسها وأقطابها المتنافرة في حنايا دماغها العابث. رحلت وهي محلقة فوق إيطاليا التي عشقتها. رحلت في سمائها لا أرضها. فمارتينا لا يمكن لها أن تموت على الأرض. نعم كان عليها أن تموت في حضن السماء فروحها لم تعرف الأرض يومًا... لذا كان عليها أن تموت هنا!

هل أنا أموت فعلًا؟! نعم إنه الموت.

هو ليس مؤلمًا كما كانت تعتقد، إنه سريع وبارد كالزمن وكبرودة السماء هنا، باتت الأجواء أكثر هدوءًا. صخب الطاقم بدأ يتلاشى. صوت المساعد بدأ يخبو. السحب تحيط المكان بهدوء وصوت العرافة بدأ يتلاشى تدريجيًا في الفراغ. *"رحلة ستحمل على متنها كل الأحلام وفي قلبها سترحلين بين راحة تمنيتها وخوف لم تعرفيه مطلقًا".*

صدقت نبوءتها فها هي مارتينا ترحل بسلام...!

الفصل الواحد والسبعون

روما - إيطاليا

كان ركاب طائرة الرحلة رقم 312 يسيرون في حنايا مطار دافينشي بهدوء دون أن يعلموا أنهم كانوا تحت تهديد خطف كان سيودي بحياتهم! هذا توجه ليغرق في عناق طويل مع حبيبته وآخر محاط بأحضان عائلته بعد فراق قصير، أما جانلوكا فكانت عائلته كعادتها تنتظره حتى دون إجراء اتصال، فهو قادم إلى البيت لا محالة، وعشاؤه بات جاهزًا على الطاولة فلا بد أنه جائع!

كان آدم ونادين يسابقان الزمن محاولين الهروب بعيدًا عن أنظار كل من يحيط بهما من ركاب الطائرة أو حتى طاقمها فهما لا يعرفان إن كان قاتل ديفيد يتعقبهم ولكن كل ما يعرفانه أنهما عليهما الخروج من محيط هذه الرحلة بأسرع طريقة ممكنة. سارت نادين بسرعة محاولة اللحاق بآدم الذي كان يسير بخطى واسعة جعلته بعيدًا نوعًا ما عن فوضى المكان. عندها استنشق نفسًا عميقًا وتناول سيجارة من جيبه ليشعلها فاقتربت منه نادين وهي ترميها أرضًا وتدوسها قائلة: "لا نملك وقتًا لهذا، فلنرَ حجز الطائرات أولًا ثم افعل ما شئت".

"مطار دافينشي هو المطار الوحيد الذي يعتبر وجهة الدول الأوروبية كافة، لذا لا تقلقي سنجد طائرة إلى فنلندا وبأكثر من موعد".

"وهو من أقل المطارات دقة في المواعيد، فرحلاته دائمًا مؤجلة، لذا قد تفوتنا الطائرة إن لم نكمل الإجراءات سريعًا".

تناول آدم سيجارة جديدة وقلبها بين يديه وهو ينظر إليها قائلًا ببرود: "أتدركين ما هو شعور مدخن حرم من سيجارة غارقة بالنيكوتين كهذه على مدار رحلة طويلة ومحفوفة بالمخاطر كالتي كنا فيها؟!".

"لا أدرك ولا أريد أن أدرك، كل ما أعرفه... أن قاتل ديفيد قد يكون خلفنا الآن".

استدار آدم ببرود وقال وهو يقلب نظراته بين المسافرين: "في فوضى مطار دافينشي لا أعتقد ذلك، لكن..".

رمى السيجارة في المكان المخصص لها وقال: "إذا كان هذا يريحك.. هيا بنا".

كان مطار دافينشي يشبه كل ما اعتادوا عليه عدا حالة التأهب للعدو الخفي الملقب بفيروس (كوفيد - 19) فالكمامات كانت تخفي ملامح الوجوه ولكنها أبقت على جمال بعضها ليلوح من تحتها، وتركت خطوط الزمن وتجاعيدها تظهر بوضوح في وجوه أخرى!

رغم اعتياد نادين على مشهد الكمامات في الصين، إلا أن مشهدها في إيطاليا كان غريبًا وغير اعتيادي، فهنا في أرض السياحة الأولى لك أن تعانق الأرض دون خوف وتلامس الجدران دون خوف وتشم عبق روما وتاريخها العتيق دون خوف، وترمي قطعتك المعدنية في نافورة الأمنيات ثم تجلس بين كل الموجودين فوق الدرجات الصغيرة المحيطة بها لتتناول قطعة بيتزا أو لتأخذ صورة سيلفي أو حتى لا لشيء فقط لتستأنس بصوتهم الفوضوي ولغتهم الإيطالية الثرثارة دون خوف! فكيف يمكن لثرثرة إيطاليا أن تصمت وسط كل هذا الخوف؟!

كان موظفو المطار يقومون بتعقيم القادمين والمغادرين والجدران

والكراسي وأماكن الحجوزات ولو استطاعوا تعقيم الأنفاس لما توانوا عن ذلك! أوقفت نادين أفكارها عن الضجيج في رأسها، ففوضى مطار دافينشي وإحساسها بوجود قاتل ديفيد يتبعها كانا يكفيان لخلق ذلك الصداع، لذا أسرعت بخطواتها نحو منطقة الحجوزات لتقف بجانب آدم الذي كان يشير لها أن تسرع.

"ألستِ أنتِ من كان مستعجلًا لدرجة لم يحتمل فكرة إشعال سيجارة؟!" قال آدم متهكمًا.

أجابت نادين دون أن تترك مجالًا للتعليق: "هل عرفت مواعيد الرحلات؟".

"لا... ليس بعد". توجها نحو الموظف بعد أن انتهى دور من كان يقف قبلهما ثم قال آدم: "نريد الحجز على متن أول رحلة مقلعة إلى فنلندا".

"نعم، بكل تأكيد".

قلب الموظف الشاشة التي أمامه ثم قال بعد مرور لحظات "اعتذر سيدي آخر طائرة أقلعت إلى فنلندا كانت منذ ساعة".

قالت نادين بتوتر: "ومتى موعد الطائرة القادم؟".

أجاب الموظف وهو ينظر إلى الشاشة: "غدًا صباحًا".

قالت نادين وهي توجه كلامها لآدم "إذًا نحجز على متنها.. ما رأيك؟".

عندها قاطعها الموظف قائلًا "إذا كنتما مضطرين للذهاب إلى هناك لا أنصحكما بذلك يا سيدتي، فإيطاليا ستدخل في حجر كلي خلال ساعات، وذلك يشمل قطاع الطيران كاملًا بكل رحلاته القادمة والمغادرة حتى إشعار آخر".

"ماذا؟".

"نعم يا سيدتي، لقد تم إعلان إيطاليا بؤرة وباء الكورونا الثانية بعد الصين لذا على ما يبدو أننا سنخضع لحجر غير معروف المدة".

قال آدم "هل هناك رحلات لدول قريبة من فنلندا؟".

"نعم.. أكيد".

نظر الموظف في الشاشة ثم قال: "هناك رحلات إلى النرويج والسويد حاليًا".

قال آدم: "ما هي الرحلة التي ستقلع قريبًا؟".

"الرحلة المتوجهة إلى السويد ستقلع خلال ساعة".

قالت نادين مقاطعة: "هل هناك حجر صحي في السويد؟".

"لا يا سيدتي حتى هذه اللحظة لم تعلن السويد عن أي نية لإخضاع الدولة لأي حجر الصحي".

قال آدم: "إذن احجز لنا تذكرتين إلى السويد لو سمحت".

"بكل تأكيد، لكن عليك اللحاق بها سريعًا".

قام الموظف باستكمال إجراءات الحجز. ناولهما الأوراق ثم غادرا. سارت نادين بصمت في مطار دافينشي الذي عشقته دومًا بحيويته وفوضاه، وكما توقفت عجلة الحياة في مصانع أكبر دولة صناعية في العالم، ها هي الحياة التي لم تودع روما منذ عهد أوكتافيان أغسطس بدأت تودعها الآن لتدخل كل آثارها الحية في سكينة لا تعلم هي ولا حتى سكان إيطاليا وعشاقها إلى متى ستبقى!

الفصل الثاني والسبعون

روما - إيطاليا

كانت أجساد جانلوكا والمضيف ودياسايد ومارتينا تمر ببطء أمام موظفي الأمن والشرطة في البوابات الخلفية لمطار دافينشي بعد أن أخلى الطاقم الطائرة من الركاب بهدوء.

طلب روبرتو من الأمن أن يتركوا خطيبته معه في غرفة خاصة من غرف المطار. وافق رئيس المفاوضين وطلب من الجميع أن يمنحوا روبرتو مساحة مع جثمان خطيبته. وقف روبرتو أمام جسدها المغطى بغطاء خفيف يحدق إليها بصمت. حاول أن يكشف الغطاء عن وجهها، ولكن يده المرتعشة كانت أضعف من أن تساعده على ذلك. توقف للحظات. استنشق نفسًا عميقًا وهو مغمض عينيه. كانت لا تزال هناك على شرفة منزله تعانقه بقوة وتضحك بقوة وتبكي بقوة وتقذف زجاج المنزل نحوه بقوة... لأنها غاضبة!

ألست غاضبة؟ انهضي فأنا من ورطك بكل هذا!

اقترب منها أكثر. مرر يده فوق جسدها المغطى ليحاول رفع الغطاء ثانية لكنه رفع يده بسرعة. لقد كانت باردة! باردة كقطعة ثلج لا تذوب حتى وإن كان جسده يحترق بجانبها! خلع جاكيت بدلته ووضعه فوقها حتى لا تشعر بالبرد أكثر!

ستشعرين بالدفء الآن!

خلع مسدسه المعلق فوق كتفه فسقط منه أرضًا بسبب يده المرتعشة. نزل إلى الأرض ليتناوله ولكن طرف وجهها المكشوف من تحت الغطاء استوقفه. عندها حاول اختلاس النظر إليها لكنه لم يرَ سوى حنك شاحب بلا معالم. كان لا يزال مقرفصًا بجانبها حينما مد كفه المرتعشة وبدأ يرفع الغطاء شيئًا فشيئًا عن جانب وجهها. وما أن رفعه حتى وجدها مارتينا حبيبته الفوضوية الشعثاء تحمل كل شيء من معالمها عدا نفسها! فلقد فقدت سمرتها الممزوجة بشمس إيطاليا واستبدلتها بوجه شاحب لم يحمل في حناياه سوى الموت. نعم مارتينا لم تكن تشعر بالبرد، مارتينا كانت ميتة!

نهض روبرتو فجأة ثم كشف الغطاء كاملًا عنها وبسرعة مما جعل الغطاء وجاكيت بدلته يسقطان أرضًا. زحفت نظراته المحترقة فوق جسدها المتجمد أمامه بخوف ثم اقترب منها بأنفاسه اللاهثة ليمرر يده بين خصلات شعرها التي لا تزال مبتلة من العرق!

شعرك لا يزال مبتلًا... تستطيعين النهوض!

حملها بين ذراعيه ولف ذراعيها المتصلبين حول عنقه ثم ضمها إلى صدره. تنشق رائحة عنقها المتحجر وأخذ يشتم رائحة شعرها المبتل.

لا بد أن هناك حياة في تلك الخصلات لم يلحظها أحد!

ألصق شفتيه فوق شفتيها بقوة وبادلها قبلة أزلية ربما تحمل الحياة في حناياها، فمارتينا فتاة لم تعرف الموت يومًا ولا يمكن لها أن تموت هكذا بلا حب، بلا شوق، بلا جنون، وبلا وداع. اقترب منها بجنون وأخذ يقبّلها بلهفة على جبينها وفوق وجنتيها وعلى عنقها وشفتيها ولكنها لم تبادله شيئًا؛ لا حبًا ولا حتى كلمة عتاب! مرر كفها المتجمدة بين خصلات شعره

المتموج ولكنها كانت صامتة ليس أكثر؛ صامتة كصمت التاريخ فوق أرض روما وعاجية الملمس كجدران كنائسها!

تلك ليست مارتينا حبيبته التي لم تعرف من الحياة سوى الفوضى والجنون، ليست هي التي رقصت معه تحت المطر بجنون وقذفته بمزهرية بيته الأثرية لتتحطم بقطعها المتناثرة من حوله بجنون، ولا من قتلت أندريه بجنون، تلك ليست مارتينا التي عشقته بجنون وكرهته بجنون!

كانت بين أحضانه حينما رفع ذراعها نحوه ووضع مسدسه بين أصابعها المتشنجة لتمسكه. ولكنها لم تستطع الإمساك به. فعلقه ثانية! سقط المسدس أرضا. تناوله وعلقه ثالثة! ضم كفه بكفها حتى لا يسقط! وجه المسدس نحوه ثم قال بصوت ممزق "انهضي فأنت لا تقبلين أن يخطئ أحد في حقك فلماذا تقبلين بذلك الآن؟ هيا انهضي واقتليني".

كان وجه مارتينا المغمض قابعًا في أحضانه وهو يهزها بقوة لتنهض. سقط المسدس من كفها أرضًا. عانقها بألم ليدفن رأسه في شعرها المبتل. لقد بات متأكدا بأن مارتينا قد رحلت. نعم لقد رحلت! فهي لم تقتله حتى الآن رغم كل ما حدث! عندها صرخ روبرتو صرخة مشروخة لم تسمعها سوى جدران مطار دافينشي لتعلن لكل إيطاليا أن حبيبته عاشقة سيينا قد رحلت بلا وداع.

الفصل الثالث والسبعون

روما - إيطاليا

رغم الفوضى التي كانت تملأ مطار دافينشي إلا أن السكون كان يقطن المكاتب في الجوانب الخلفية من كواليس المطار حيث اجتمع رئيس المفاوضين وكل العاملين معه على قضية الرحلة 312 عندما بادرهم قائلًا "إن عملية الاختطاف كانت ولا تزال في طي الكتمان. لم يكن هناك من يعلم بأمرها سوى مساعد الكابتن والمتبقي من طاقم الطائرة، لذا سيتم إغلاق القضية تمامًا وكأنها لم تكن، فالوضع الحالي لا يحتمل المزيد من الفوضى".

قاطعه أحد الضباط قائلًا: "وماذا سنفعل بجثث الموتى يا سيدي؟".

"سنبلغ عائلتي الكابتن والمضيف بأنهما مصابان بالكورونا وهما في المستشفى الآن يخضعان للحجر الصحي وحالتهما تصنف تحت شديدة الخطورة". صمت رئيس المفاوضين قليلًا ثم أكمل قائلًا: "وبعد أيام نعلن وفاتهما بالكورونا فبين كل تلك الإصابات والوفيات لا يمكن لأحد أن يشعر بشكٍّ في ذلك!".

تعجب أحد الضباط من كلام رئيس المفاوضين وقال: "ولكن يا سيدي بعد الخدمة التي قدمها الكابتن وزميله المضيف لوطنه من حقهما أن ينالا ولو نظرة وداع أخيرة من أهلهما".

أجابه رئيس المفاوضين بغضب "وهل تمتلك القدرة على كسر قلب زوجة أو أم دون أن تبلغها من هو قاتل من تحب؟! الموت ضمن الجماعة

رحمة من السماء، فاجعلهم يودّعون أحباءهم كما يودّع كل الإيطاليين أحباءهم هذه الفترة، سيجدون السلوى بآلام الفراق التي ملأت منازل من حولهم!".

صمت الضابط فقد استطاع أن يشعر تمامًا بكمية الألم التي تعتلي نفس رئيس المفاوضين لكل الظروف المحيطة وليس اختطاف الطائرة فقط! عندها خرج الجميع وبقي أحد الضباط وطلب من جميع طاقم الطائرة المتبقي أن يدخل إلى المكتب بالدور واحدًا تلو الآخر ليوقعوا على تعهد يلزمهم بالصمت الدائم لكل ما حدث وإلا التعرض لمحاكمة تحت بند المساس بأمن الدولة!

دخل روبرتو المكتب عند الضابط وقال: "سأتولى أنا هذه المهمة، تستطيع المغادرة الآن".

حدق الضابط إلى روبرتو المنهك وعينيه المحترقتين احمرارًا من شدة البكاء على خطيبته الميتة وقال بارتباك: "هل أنت متأكد يا سيدي من ذلك؟".

قال روبرتو بصوت بارد مختنق: "نعم...". أشعل سيجارة وأزاح الضابط عن المكتب ليجلس مكانه وقال: "أدخلهم الآن".

خرج الضابط ثم دخل مساعد الكابتن جانلوكا وهو بحالة شبه واعية، ملابسه تعتليها الفوضى وعيناه خاليتان من كل شيء كمن يحدق إلى فراغ. عندها بادره روبرتو بالسؤال بشكل واضح وسريع: "هل كنت متواجدًا لحظة موت مارتينا؟".

قال المساعد بصوت متعب: "هل لي بكوب ماء؟".

حاول روبرتو أن يظهر متماسكًا ولكن عضلات وجهه التي كانت تتحرك بطريقة لاإرادية لم تستطع إخفاء توتره فقال بنبرة سريعة وبصوت

عالٍ: "أيها الضابط.."، فتح الضابط الباب ليجيب "نعم سيدي..".

"أحضر كوبًا من الماء وعصير الليمون البارد لمساعد الكابتن".

هز الضابط رأسه بنعم وخرج مسرعًا. انتظر روبرتو وصول الماء والعصير قبل أن يكمل وأخذ ينفث دخان سيجارته في الغرفة بصمت عميق يشبه عتمة الصمت الذي يعتلي نفس مساعد الكابتن! دخل الضابط ووضع الماء والعصير ثم غادر. مرر روبرتو الكوب للمساعد الجالس أمامه ولكنه كان باردًا كجثة مارتينا فأزاح يده بسرعة وقال وهو ينظر إلى سيجارته: "اشرب بعض الماء لتستريح".

تناول مساعد الكابتن جانلوكا كوب الماء وشرب رشفة صغيرة منه ثم شرد في الكوب الذي بين يديه. مرت لحظات صمت ثقيلة بينه وبين روبرتو الذي بادره بالسؤال ثانية: "هل كنت حاضرًا لحظة موت مارتينا؟".

فأجاب المساعد بنبرة خاوية: "نعم".

ارتعش صوت روبرتو وهو يحاول سؤاله: "هل تألمت؟".

أجاب المساعد بنبرة خالية من أي معالم وهو لا يزال شاردًا في كوب الماء: "كانت تهذي...".

فقال روبرتو ثانية بنبرة متوترة: "هل تألمت؟".

"ارتعشت..."، صمت قليلًا ثم أكمل: "لقد تصبّبت عرقًا كثيرًا...".

ضرب روبرتو كفه على المكتب ثم نهض نحو المساعد بغضب وقال وهو يجلس أمامه وعيناه تتّقدان شررًا: "هل تألمت؟".

كان المساعد لا يزال يحدق إلى الكوب الموجود بين يديه بصمت. صمت طويلًا حتى بدأ صبر روبرتو ينفد فاقترب منه بعصبية وهو يمسك بياقة قميصه: "أجبني الآن.. قلت لك أجبني.. هل تألمت مارتينا وهي تموت؟".

سقطت دموع المساعد في قلب الكوب الذي بين يديه وقال وهو يرفع رأسه نحو روبرتو مجهشًا بالبكاء وبصوت صارخ: "نعم تألمت، وبكت وهذت وتسرب الخوف إلى روحها المرتعشة في تلك اللحظات، تألمت كما تألم جانلوكا وصديقي المضيف، نعم كلهم تألموا... إنه الموت كان يزحف فوق أرواحهم فكيف لم يتألموا؟! وأنا أتألم الآن كما أنت تتألم الآن فالموت لا يعربد إلا مؤلمًا ولا يغادر إلا متألمًا".

جلس روبرتو قبالة المساعد المنهار وأنفاسه المتقطعة والممزوجة بالدخان المنبعث من بين شفتيه المرتعشتين تكاد تمزق صدره. حمل كوب عصير الليمون وشربه دفعة واحدة حين سأل المساعد قائلًا بنبرة أكثر هدوءًا: "كيف ماتت؟".

"كانت تشعر بالهلع عندما رأت جثة جانلوكا. طلبنا المساعدة من أحد الأطباء الموجودين على متن الطائرة. ناولها كأسًا من الماء وبعد ذلك بدأت ترتعد وتتهاوى تدريجيًا وحينما طلبنا منه التدخل اقترب منها للحظات ثم قال لي انه لا يمكن له مساعدتها وغادر".

فتح روبرتو هاتفه النقال على صورة للؤي وسأل المساعد: "هل هذا هو الطبيب؟".

حدّق المساعد في الصورة للحظات ثم أجاب: "نعم".

سقط كوب عصير الليمون من يد روبرتو، الذي شحب وجهه كمن توقف دمه عن الدوران، ليتحطم فوق أرض الغرفة ويتناثر زجاجه في كل مكان.

لا أحد سواك يا لؤي يقتل بكوب ماء!

نهض روبرتو من مكانه. سار فوق الزجاج المحطم بلا اكتراث ثم توجه نحو الباب. فتحه ليجد الضابط يقف أمامه فقال له بهدوء "هناك زجاج متناثر في الغرفة، أخبر أحدهم لينظفه ووقعه على التعهد ثم أكمل أنت باقي المهمة".

نظر الضابط إلى روبرتو متعجبًا وهو يسير بخطوات هادئة وثابتة في الممر الطويل متوجهًا نحو الغرفة التي ترقد فيها حبيبته فقد حان لروما أن تودع مارتينا وتدفن في حنايا ترابها الممزوج بالمطر.

الفصل الرابع والسبعون

ستوكهولم - السويد

لم يكن آدم ونادين يفكران في المكوث ولو لليلة واحدة في السويد رغم سحر جزرها الأربع عشرة المرتبطة بسبعة وخمسين جسرًا لتشكل ستوكهولم المدينة المغلفة بالسلام منذ قرنين وأكثر. وكم كانت نادين ترغب حاليًا بالسلام ولو من عبق رحلة مارة فوق أراضي السويد الباردة. ورغم اختفاء قاتل ديفيد وخطواته الثقيلة من خلفها إلا أنها لا تزال تشعر بذلك الضيق الذي يمر خانقًا فوق رئتيها رغم امتلائهما بنسيم الندى المرتمي فوق خضرة ستوكهولم الموجودة في كل الأنحاء بين البيوت وفي الشوارع. نعم تستطيع هنا أن تشتم رائحة الأوكسجين النقي رغم فيروس كورونا الذي يجوب العالم بلا هوادة، تستطيع أن تشتم رائحة رغيف الخبز الساخن الخارج من قلب الفرن لتشعر بالجوع رغمًا عنك!

اقترب آدم منها وهو يرى الإنهاك واضحًا في عينيها الغائرتين فقال موضحًا: "لقد قمت بحجز تذكرتين إلى هلسنكي عبر رحلات فايكنج لاينز البحرية". ناولها عبوة ماء ساخنة كادت أن تفقد سخونتها بسبب برودة المكان وقال: "لقد طلبت من صاحب المحل أن يسخنها لكِ خصيصًا".

نظرت إليه نادين متعبة وابتسمت ابتسامة شاحبة وقالت: "أشكرك، هذا لطف منك" شربت الماء ثم أكملت: "لماذا نغادر بحرًا؟".

مرر آدم أصابعه بين خصلات شعرها الناري المشعث وقال: "حتى تحصل هاتان العينان المنهكتان على بعض الراحة". رأت نادين في عينيه برودة عرقه الإنجليزي التي رافقته دومًا في كل حالاته ولمحة من دفء الشرق الذي شعرت بالحنين إليه، عندها قاطع شرودها قائلًا: "رحلة البحر تستغرق يومًا ولكنها ستنطلق خلال عشرين دقيقة من الآن، لذا علينا الاستعداد للرحيل".

شربت نادين الماء الدافئ الذي بين يديها. وضعت حقيبة ظهرها فوق أكتافها وسارت هي وآدم نحو السفينة الراسية في المرفأ. وصلا السفينة وما أن دخلاها حتى شعرا بأنهما دخلا فندقًا فخمًا من فنادق الخمسة نجوم. السفينة الضخمة تتكون من خمسة طوابق، كل أرضيتها الداخلية مفروشة بالسجاد الفاخر وعلى جوانب السلالم مصاعد تساعدك للوصول إلى الطابق الذي تقع فيه الغرف. وقف آدم في ردهة المكان وقلّب التذكرة التي بين يديه ثم قال لنادين وهو يشير إلى الأرقام المطبوعة فوقها: "الغرف في الطابق الثالث، أنت في الغرفة 23 وأنا في الغرفة 24. لقد حجزت غرفتين متجاورتين لأكون قريبًا منك إذا احتجنا لأي شيء".

"هذا جيد".

كان آدم يشعر بأن هناك ما يجعل نادين مضطربة ويشوّش حواسها وروحها وحتى حيويتها التي اعتادها. لم تكن تلك الفتاة التي غفت فوق طاولة بيته لحل لغز الإنكا بكل طاقتها. ولم تكن هي نفسها تلك الباحثة التي تغنت بالبرج الكركي الأصفر وأسطورته على جدرانه العتيقة. لم تكن نادين هي نادين التي كانت تسير فوق البركة الشرقية مع العم تشن، بل كانت فتاة منهكة تزحف بلا هدف فوق الممرات، خاوية الروح تبحث عن لا شيء

وتخاف من كل شيء رغم أنها هي ذاتها التي اقتلعت تلك الرصاصة من كتفه في قلب غابة خالية ومظلمة، فماذا حدث؟ ماذا حصل هناك على متن الرحلة 312؟ لا يمكن للحياة أن تتسرب من خلاياها بهذه الطريقة فقط بسبب قتل ديفيد ومكوثها في رحلة خاضعة لتهديد قاتل؟! فهل هو وجود لؤي؟

لم يعلم آدم ما سبب انفصال نادين عن لؤي ولكنه رغم كل حياديته في التفكير أدرك أن بريق عينيها الذي يومض كلما رأته لا يدل إلا على حب مدفون في قلبها بالإجبار.

لست أنا من يتدخل في شؤون الآخرين الشخصية.

قاطعت نادين أفكاره الشائكة وقالت بنبرة ممزوجة بنفس عميق: "وصلنا أخيرًا".

ابتسم آدم وقال: "نعم..". فتحت نادين باب غرفتها حيث السرير والحمام يجتمعان في مكان ضيق لكنهما كفيلان بأن يمداها بالراحة لبضع ساعات قبل استكمال المهمة التي لا تدري مصيرها!

قال آدم ممازحًا: "غرفتي بجوارك إن احتجتِ شيئًا كل ما عليك طرق الجدار".

ضحكت نادين وقالت: "حسنًا".

دخلت نادين غرفتها ثم دخل آدم غرفته بعد أن اطمئن أنها قد أقفلت بابها عليها، ارتمى فوق سريره كعادته ببنطاله وحذائه وأخذ يحدق إلى السقف فوقه بألواحه الخشبية. كانت صورة وجه نادين المتعبة تلوح أمامه.

ليتني فقط أستطيع فهم ما يجول في عينيك الصامتتين!

تحركت السفينة بثقل فوق الأمواج العميقة لبحر البلطيق لذا شعر آدم أن رحلة كهذه لا يمكن أن يضيعها فوق السرير. نهض من غرفته وتوجه

إلى ظهر السفينة حيث الشمس الملبدة بالغيوم تعلن أن سماء الدول الإسكندنافية كلندن لا تعرف الشمس بلا عناق بارد! وقف على حافة السفينة وأخرج سيجارة من جيبه وأشعلها لعلها تبث بعض الدفء بين أصابعه المتجمدة فاقتربت منه يدٌ تناوله كفًا صوفيًا. استدار ليرى نادين تقف أمامه قائلة: "كنت أعلم أنك ستكون هنا ترشف دخان سيجارتك فوق أمواج البحر فلا بد أن طعمها هنا مختلف".

مد علبة سجائره نحوها قائلًا: "هل ترغبين بتجربتها؟".

نظرت في العلبة بدهشة وقالت: "أنا؟!".

"نعم.. فكل ما نمر به غير اعتيادي يا نادين، فلتستمتعي للحظة لأننا نحن البشر لا نندم على ما فعلنا بل نندم على ما لم نفعل!".

تناولت نادين سيجارة وأشعلتها، استنشقت نفسًا عميقًا كمن يرغب بأن يجعل شعلة السيجارة تحرق أنفاسه بدلا من أن تحرق لفافتها البيضاء الباهتة. سعلت بقوة عندها أخذ آدم منها السيجارة وقال: "بهدوء، فالعناق بين السيجارة ومرتشفها لا ينتهي إلا عند الرمق الأخير".

وضعت نادين السيجارة بين أصابعها المغطاة بكفوف جلدية وبدأت ترتشفها بهدوء. كانت جزر أولاند المرتمية فوق بحر البلطيق حائرة بين السويد وفنلندا تحمل من الجمال ما يجعلك تقف ساكنًا رغم الهواء البارد الذي يصفق وجهك بين الحين والآخر. في أحضان تلك الجزر تقبع القرى الصغيرة التي امتزجت فيها كل المراعي والمروج محاطة بالبحر من جهة والصخور من جهة أخرى لتعلم بأنه يمكن للطبيعة أن تمتزج مهما اختلفت خصائصها. كانت الأمواج تسير بالمركب الضخم ونادين تستمتع بالهواء البارد فقالت: "إلى أين نحن ماضون يا آدم؟".

"إلى فنلندا".

"أتتهكّم؟".

"أليست هذه هي الحقيقة؟".

"ألا تشعر بالتعب؟".

"أشعر بالإنهاك".

قلبت نادين السيجارة المحترقة بين يديها ثم رشفت منها رشفة جديدة وقالت بنبرة يائسة: "وأنا أشعر بالخوف".

أدارها آدم نحوه وحاول أن يرفع وجهها المختبئ بين شعرها المشعث والذي أطلقت له الحرية في قلب هذا الهواء العاصف ثم قال "ممّ أنت خائفة؟".

"وهل هناك أي شيء لا يدعو للخوف؟".

"لا.. ولكن الخوف الذي يسكن عينيك خوف بعيد تمامًا عما مررنا به".

نظرت إليه نادين نظرة مليئة بالتعب والإنهاك وممزوجة بالألم. "هل جربت الحب الممزوج بالخوف يومًا؟".

صمت آدم دون إجابة فحدقت إليه نادين وقالت: "هل أحببت يومًا يا آدم؟".

ابتسم آدم وقال: "ربما...".

"وأنا عشقت وعُشِقت كما لم تعشق امرأة على هذه الأرض يومًا.. ولكن...". تنهدت نادين بينما اقتربت موجة عالية معانقة جدران المركب بهدوء رغم جنونها فأكملت "عشقني كما يعشق البحر راكبيه، يمتّعهم بجنون أمواجه لحظات ثم يثور عليهم في لحظات أخرى. وبين عشقه

وثورانه كنت أنا الغارقة أختنق وأحاول العوم فلا أجد سوى موجه المجنون من جديد...".

تنهدت بعمق كمن يحاول التقاط كل أنفاس الدنيا في صدره لعله يتنفس من جديد. بدأت يدها ترتعش ثم بكت بدموع سقطت بصمت فوق حافة الباخرة الباردة وقالت: "وها هي كل تلك الفوضى تعود من جديد". توقفت عن الكلام فجأة ثم أكملت بنبرة غاضبة: "أنا لا أريد كل هذا... نعم، لا أريد الذهاب إلى فنلندا ولا إنقاذ العالم فأنا مجرد طبيبة صدرية فرّت من أتلانتا لتحيا بسلام".

اقترب آدم من نادين بعد أن لامس الحيرة التي تعتلي نفسها من لؤي والتي كان يحاول فهمها على مدار الساعات الماضية، مرر ذراعه ببطء فوق كتفيها فقالت وهي ترمي بسيجارتها في الماء وصوتها يرتعش: "أنا لا أريد الموت... لا لي ولا لك ولا حتى للؤي... فيكفينا كل من فارقنا حتى الآن".

"لماذا تفكرين بكل هذا الموت يا نادين، فلتهدأي.. قاتل ديفيد لا يمكن له الوصول إلينا هنا".

انهارت نادين بكاء دون أن تعلم هل كانت تبكي خوفًا أم يأسًا! عندها اقترب منها آدم وعانقها بدفء سرى في جسدها المرتعش البارد لتهدأ، ثم قال بنبرته الثابتة: "ربما لم أحب يومًا..."، صمت قليلًا ثم مرّر كفه بحنان فوق وجهها المنهك ليقول بابتسامة دافئة: "ولكنني أعلم أنني أحبك أيتها الصهباء... فاهدئي".

حدقت إليه نادين بنظرات مشوشة غير مدركة ماذا عساها أن تفعل الآن؟! ولكنها قررت أن تغيب في أحضانه بصمت لعلها تجد السكينة وتهدأ

بين جزر أولاند الحائرة التي كانت الشاهدة الأولى والوحيدة على قلب آدم الذي لم ينبض سوى فوق أمواجها وروح أراضيها الهائمة بين السويد وفنلندا!

الفصل الخامس والسبعون

هلسنكي - فنلندا

غادر آدم ونادين الباخرة التي أقلتهما من السويد إلى فنلندا ليصبحا على أطراف خليج هلسنكي، تلك المدينة التي جمعت روح روسيا والسويد في جدران مبانيها الضخمة وبقيت تحمل بصمة فنلندا رغم كل ذلك. كان شعب فنلندا البارد ودودًا جدًّا كقهوته الساخنة التي تعبق رائحتها دومًا في الأجواء لتجعلها من أكثر الدول استهلاكًا للقهوة في العالم، لذا تستطيع التلذذ بالحديث مع سكانها حتى وإن كانوا صامتين أغلب الوقت، فهم ينصتون لك جيدًا حتى وإن لم يجيبوك بشيء!

بلد الألف بحيرة كان باردًا تعصف به الرياح من كل جانب ما جعل آدم يخرج من الأكياس الورقية التي يحملها معطفين ثقيلين أحدهما لنادين والآخر له. قالت نادين وهي ترتدي المعطف: "هذا يعني أنك لم تنم جيدًا".

أجابها آدم وهو يحاول تدفئة يديه قائلًا: "بل نمت ولكنني ذهبت إلى المحال التجارية الموجودة في الباخرة قبل مغادرتها وقمت بشراء ما قد نحتاج إليه في رحلتنا هذه".

"وماذا الآن يا آدم؟".

باغتها صوت ثقيل من خلفها قائلًا: "الآن سنقطع القصة الرومانسية التي جمعتكما فوق متن السفينة وتنتقلان معي إلى حيث يجب أن نكون!".

استدارت نادين بذعر لترى لؤي يقف أمامهما، عندها اقترب آدم منه قائلًا: "لؤي! لا يفاجئني وجودك، ولكن ما يفاجئني حقًا أنك قررت أن تعلن ظهورك الآن وليس هناك".

ابتسم لؤي ببرود وقال: "لأن كل ما أعرفه أنني يجب أن أكون في فنلندا ولكنني لا أعرف المكان بالتحديد".

قال آدم مستفسرًا: "وما حاجتي إلى وجودك معنا في هذه الرحلة؟".

سار لؤي بخطوات هادئة وهو يتأمل مباني هلسنكي الثقيلة والباردة وقال: "هناك أسطورة يونانيّة قالها أفلاطون يومًا، مفادها أن البشر كانوا مخلوقين أصلًا بأربعة أذرع وأربع سيقان ورأس له وجهان، ولكنّ زيوس عندما خاف من قوّتهم فقد فصلهم إلى جزءين منفصلَين، وحكم عليهم بقضاء حيواتهم بالبحث عن أنصافهم الأخرى....". صمت لؤي واقترب يتلمس الجدران الباردة ويغمض عينيه ليشم رائحة القهوة التي تعبق في الأجواء ثم أكمل قائلًا وهو يقترب ثانية من آدم: "لذا ربما كنت أنا النصف الثاني من حقيقتك والتي بات عليك العثور عليها... وحتى أخفف عليك عناء البحث جئت إليك بنفسي!".

"أنا مبرمج يا لؤي وكل هرطقاتك الفلسفية تلك لا تعنيني فأخبرني ماذا لديك؟".

ابتسم لؤي وقال: "لهذا دومًا كنت باردًا كجليد فنلندا في قلب الشتاء لأنك لم تتذوق روح الحياة بفلسفتها".

كان آدم بهدوئه المعتاد لا يزال يدخن سيجارته باستهتار وشعره المربوط إلى الخلف يوحي بأنه لم ينعم بليلة نوم جيدة. "كل منا يتذوق

الحياة بطريقته... وفي الوقت الحالي لا أعتقد أنني مضطر لقبولك ضيفًا ثقيلًا في رحلتي".

ذهب باتجاه نادين ووضع ذراعه فوق كتفيها وقال دون أن ينظر نحو لؤي: "هيا بنا...".

فقال لؤي وهو ينظر نحوهما: "لقد خُلق السمع لدينا بأذنين اثنتين والكلام بلسان واحد فقط لنسمع أكثر من أن نتكلم، ولكن على ما يبدو انك لا تتقن فن الاستماع".

"بل أنت من لا يعرف كيف يحفظ خطوط رجعته يا لؤي!".

مد لؤي كفه المغروس فيها المايكروشيب وقال: "ما دمت مبرمجًا عبقريًا كما سمعت فلا بد لك أن تشعر بهذا". أمسك كف آدم ومرّرها فوق المايكروشيب المغروسة في يده وقال: "أعتقد أنك تدرك الآن أنني أنا من يملك مفاتيح رحلتك!".

تبدلت ملامح وجه آدم فجأة لتدرك نادين أن لؤي بات عنصرًا ضروريًا لاستكمال هذه الرحلة!

الفصل السادس والسبعون

موقع الإحداثيات - فنلندا

لم تعتقد نادين أن رحلة اليوم ونصف اليوم التي قضتها هي وآدم ولؤي ستمضي بكل هذا الهدوء. لقد كانت فنلندا بطقسها البارد الذي بات على وشك توديع شتائه، استقبالًا للصيف، كفيلًا بأن يجمد كل ما يجول في خاطرها أو خاطر أي أحد منهم، فالرحلة التي يمضون فيها باتت أكبر من كل حدود التفكير. كانت السيارة التي يستقلونها تمضي بهم بهدوء في عتمة الليل الحالكة، وحشة المكان وأشجاره المعتمة كانت تبث الخوف في المحيط. المكان ساكن إلى حد تفقد فيه حتى الشعور!

"لقد وصلنا..". قال آدم وهو يركن السيارة جانبًا بين الأشجار.

"هنا؟ هل هذا مكان الإحداثيات؟" قالت نادين بينما كان لؤي يترجل من السيارة.

أغلق آدم السيارة بالمفتاح: "بل سنكمل طريقنا مشيًا على الأقدام فلا طريق للسيارة نحو الداخل". قام آدم بتشغيل جهاز الجي بي أس على هاتفه ليعلو صوته قائلًا: "سر إلى الأمام مئتي متر ثم انعطف يمينًا".

تبع الجميع جهاز الجي بي أس محاولين الوصول إلى نقطة الإحداثيات التي تركها لهم ديفيد. بدأ ثلاثتهم يتوغلون في قلب الغابة الموحشة والخالية من كل شيء عدا خواء الرياح المارة بين سيقان الغابة الباسقة والمعانقة للسماء الملبدة بالغيوم والمغلفة بالضباب.

كـان السير في الغابـة يبـث ذلـك الإحسـاس بالضـيق والوحشـة تمامًـا كالفيديو الخاص بالإحداثيات. عندها اقتربت نادين من آدم قائلة: "إنها نفس الغابة الموجودة في الفيديو يا آدم".

وقـف آدم للحظـات واسـتدار حولـه بهدوئـه المعتـاد، جـال بنظـرات متربصـة في المكـان الـذي كـان قـاحلًا رغـم طبيعتـه المسيطرة عليه ولكـن عتمته جعلته أقرب لروح هائمة بلا قيود، عندها قال لنادين: "ربمـا، ولكـن كل غابات فنلندا تشبه بعضها".

كانت خطواتهم تتبع إرشادات الجي بي أس الـذي عـلا صـوته ثانيـة قائلًا: "انعطف يسارًا"، ومـا أن انعطفـوا يسـارًا حتـى جفـل آدم فجـأة حينمـا ارتطم بشيء أسفل قدميه ليجد ذئبًا ملقـى أمامـه ميتًـا برصاصـة! نظـر إلـى الذئب الذي أمامه ثم أشـار للؤي ونـادين بـالتوقف: "احـذروا... فعلـى مـا يبدو أننا لسنا وحدنا هنا".

سار الجميع بحذر وعيونهم تحاول استكشاف المكان دون أن يفقدوا أثر بعضهم.

كانوا يقتربون أكثر. لقد كان يفصلهم عـن مكـان الإحـداثيات ثمـانون مترًا.

ساروا بخطوات أسرع، اقتربوا أكثر. تبقى سبعون مترًا.

"انعطف يسارًا بعد عشرة أمتار".

انعطفوا يسارًا، تبقى خمسة وخمسون مترًا.

"لقد فقدت الإرسال في هاتفي" قال آدم.

أخرج لؤي ونادين هاتفيهما ثم قال لؤي: "نعم هذا صحيح لقد فقدنا الإرسال".

"وأنا كذلك" قالت نادين.

قال آدم بهدوء: "غير مهم لقد شارفنا على الوصول".

عاد الجميع للسير بخطوات ثابتة، خمسون مترًا، خمسة وأربعون مترًا.. وها هم يخرجون من قلب الغابة ليصلوا إلى منطقة مليئة بالحظائر!

"هل هذا هو المكان؟" تساءلت نادين.

كان آدم يسير بصمت محاولًا تتبع الخريطة. مروا بين حظائر مختلفة، بعضها جديدًا والآخر يبدو أن أصحابها لم يفكروا كثيرًا بصيانتها ولكن لم تكن أي من الحظائر تلك هي موقع الإحداثيات الدقيق.

"بعد عشرين مترًا ستصل إلى وجهتك". تبع آدم ونادين ولؤي إرشادات الجي بي أس ليصلوا إلى حظيرة قابعة في الزاوية البعيدة من الحظائر، تختلف عن كل ما يحيط بها، فلم تكن خشبية ككل الحظائر بل كانت جدرانها إسمنتية اعتلاها بعض الدهان الأبيض القديم الذي اكتساه السواد من مرور الزمن فوقه فأصبح أشبه بخطوط تجاعيد تحوّل الحظيرة إلى عجوز يرقد فوق الأرض بثقله بلا حراك.

في الجانب البعيد من الحظيرة كان هناك شاب صغير يحمل مصباحًا يدويًا يحاول إغلاق باب حظيرته فاقترب منهم بعد أن وجدهم يقفون أمام الحظيرة المهجورة قائلًا بنبرة خوف: "إياكم دخول هذه الحظيرة، فمن يدخلها لا يخرج منها أبدًا".

اقترب آدم محاولًا الاستفسار منه ولكن الفتى غادر مسرعًا دون أن يترك مجالًا للحوار بينه وبين أحد منهم، والخوف يعتلي عينيه اللتين كشفهما المصباح اليدوي بين يديه.

فتح لؤي الباب الضخم والثقيل ببطء، فعلا صرير صداه في المكان. الآن فهموا جميعًا لماذا اعتلى الخوف عيني ذلك الفتى! كانت الحظيرة ساكنة بهدوء مخيف، مهجورة على نحو يثير الدهشة. فأعمدة الخشب المحطمة هنا وهناك والتي وجدت العناكب موطنًا لها فوقها توحي بأنها كانت حظيرة ذات استخدام يوم ما، أما السلم الخشبي المرتمي على الجدار هناك فكان عتيقًا لدرجة تجعلك تيقن تمامًا أن كل العصور ربما مرت من هنا! سار الجميع في قلب الحظيرة ببطء، كان سقفها الجملوني غير المكتمل يُظهر هيكله الخشبي المحطم ولكن لا شيء آخر، لا شيء قد يجعل وانغ لي وديفيد يتركان هذا المكان لهم كدليل تابع لخطة عظيمة كانا على وشك حلها!

"من يدخلها لا يخرج منها أبدًا"، كان آدم يردد ما قاله الشاب ثانية.

قالت نادين: "هل أنت متأكد أن هذا هو مكان الإحداثيات الدقيق".

وضع آدم الخريطة أمامها، إنه هو تمامًا!

في تلك الأثناء كان لؤي يجوب أنحاء الحظيرة ويحاول السير فيها بحذر لعل هناك ما يغيب عنهم في حناياها المشوهة، وفجأة شعر لؤي بصوت أجوف تحت قدميه. نزل أرضًا. اقترب منه آدم ونادين "هل وجدت شيئًا؟"، قالت نادين.

أزاح لؤي الأتربة والقش القديم الذي يغطي المكان ثم رفع بابًا حديديًا صدئًا يشبه ملاجئ الحرب القديمة. "هنا...".

أحضر آدم السلم المرتمي على الجدار البعيد ثم بدأوا بالنزول بحذر وما أن وصلوا حتى وجدوا أنفسهم أمام غرفة خرسانية مصمتة خالية من كل شيء عدا باب حديدي ضخم على جانبه ماسح يحتاج لكود أو مايكروشيب لفتحه!

الفصل السابع والسبعون

موقع الإحداثيات - فنلندا

كان الباب الحديدي يجثم أمام آدم ونادين ولؤي بثقله يثير الحيرة في نفوسهم والشك في ما هم ماضون إليه!

"هل سنفعل ذلك؟"، تساءلت نادين وهي تحدق إلى لؤي الذي كان يقترب من الجهاز الماسح الموجود بجانب الباب فأجابها دون أن يستدير نحوها قائلًا: "أعتقد ذلك فلا خيارات أخرى".

قرب لؤي يده من الجهاز الماسح فأسرعت نادين متجهة نحوه ووضعت يدها فوقه لتمنع الجهاز من قراءة المايكروشيب المغروس في يده وقالت: "انتظر...!".

"لِمَ كل تلك الحيرة يا نادين؟ إنه مجرد باب الأهم منه ما خلفه" قال آدم.

"انتظرا أنتما الاثنين، نحن لا نعرف ما قد نجد خلف هذا الباب، يجب أن نحاول جمع أفكارنا قبل المبادرة بتلك الخطوة". علا السكوت المكان للحظات ثم أكملت نادين: "ماذا سنفعل إن وجدنا خلف هذا الباب مكانًا مأهولًا بالناس؟ ألم يقل الفتى أنهم كانوا يدخلون ولا يخرجون، هذا يعني أن هناك أشخاصًا دخلوا قبلنا إلى هنا ولم يخرجوا حتى الآن!".

ابتعد لؤي عن الجهاز الماسح واقترب من نادين قائلًا: "أنت محقة".

فقال آدم "إذا كان الأمر كذلك فالحل بأن نتفق على قصة واحدة نسردها في أي لحظة اضطرارية حتى وإن لم نتواجد معًا".

قالت نادين وهي توجه كلامها إلى آدم: "وما هي هذه القصة؟".

"لا شيء، مجموعة أرسلها الهاكر ديفيد ولا نعلم أكثر من ذلك. وقد بلغنا أن هناك من سيتواصل معنا عندما نلتقيكم". قال لؤي بهدوء.

قالت نادين بنبرة متعجبة: "ديفيد!".

"نعم، فطرح اسمه لن يسبب أي خطورة بما أنه ميت".

"وإن كان ديفيد نفسه شخصًا غير مرغوب فيه لديهم؟" قال آدم.

"كثيرة هي اللحظات التي يضطر فيها الإنسان للارتجال وستكون هذه إحداها"، أجابه لؤي ثم أكمل: "هذا إن كان فعلًا هناك أحد خلف هذا الباب تحديدًا".

قالت نادين وهي لا تزال تفكر: "حسنًا ربما أنت محق..."، ثم وقفت بجانب الجهاز الماسح وقالت: "لنكمل ما أتينا لأجله".

اقترب لؤي من الجهاز الماسح ومرّر كفه فوقه بهدوء عندها أضاء الماسح فجأة وبدأ بقراءة كف لؤي المزروع فيها المايكروشيب. ظهر على الشاشة التي أمامه عبارة "تم قبول الشيفرة، العبور مسموح".

فتح الباب الحديدي بآلية وبطء لا يمكن لهما أبدًا أن يشبها عتق الحظيرة ووحشيتها المقفرة في الأعلى. وجدوا أنفسهم أمام واجهة قطار مغناطيسي من ذوي السرعة العالية الملقبة بالماجليف! كان القطار المصنوع من الزجاج الأسود الداكن والذي يزين جوانبه حواف معدنية ثقيلة من اللون الأبيض. يرقد أمامهم بشكل انسيابي يجعلك تشعر بأنه ليس مجرد قطار مغناطيسي عادي، كذلك الذي في شنغهاي، بل ربما هو قطار مرتحل من زمن آخر!

كانت المساحة ما بين الباب الحديدي والقطار ضيقة جدًّا لدرجة شعر فيها لؤي بأن وجهه سيرتطم بزجاج القطار الذي أمامه. حاول أن يمر من الجانب الضيق للباب ولكن لم تكن هناك أي مساحة تسمح له بالمرور، لذا لم يكن أمامه هو ونادين وآدم سوى خيارين؛ إما العودة وإما تمرير كفه فوق الماسح الموجود على مقدمة القطار الذي نقش على جانبه بكل وضوح عبارة قطار ماجليف بسرعة 800 كم/ الساعة!

"إنه قطار الماجليف الموجود في الصور المشوشة لفيديو الإحداثيات يا آدم"، قالت نادين بدهشة.

كان آدم صامتًا يحدق بذهول إلى ما يرى، أما لؤي فكان السكون يخيّم في نفسه ليلوح أمامه وجها صديقيه ديفيد ووانغ لي، وكل ما قد مرّا فيه حتى وصلا إلى هنا! وكم جمعا من بعثرة هذه الخطة لتكتمل؟! عندها تذكر كلام صديقه ديفيد في ذلك اليوم وهو يتأبط العشب الأخضر في حدائق خليج سنغافورة *"الخيار مجرد وهم صنعته لنا الوقائع والأحداث من حولنا فما أن تغرق في صلب الموضوع حتى تجد نفسك بلا خيار"*.

كم كنت محقًا يا ديفيد!

قاطعت نادين أفكار لؤي وهي تقول: "قطار ماجليف تحت حظيرة مهجورة! لا يمكن لهذا القطار رغم كل تصميمه الفني الغريب أن يكون جديد المنشأ. لقد تم تصنيعه قبل أعوام مما يعني.."، صمتت نادين واقتربت من القطار وهي تمرر يدها فوق الزجاج الأسود: "يبدو أن هناك عالمًا آخر يتوجه إليه هذا القطار، عالم كامل متكامل بسكانه وأهله وموظفيه وربما قوانينه، فهل علينا ركوبه والمضي إلى حيث لا ندري مع من سنكون؟".

كان السكون ثقيلًا بين الثلاثة فالقرار بات صعبًا جدًّا، ولكن كل ما كان يجول في ذهن لؤي هو: هل حقًا كانوا يملكون يومًا قرارًا؟!

"أنا من سيدخل القطار"، قال لؤي بنبرة واثقة.

"ماذا؟ ولكن.."، قالت نادين بقلق.

"أنا وحدي من يملك المايكروشيب وإن كان هو وسيلة الدخول إليه لن أحتاج إلى تفسير أي شيء. فسأكون مجرد واحد من ركاب القطار".

"ونحن ماذا سنفعل خلال ذلك؟"، قالت نادين.

"إذا شعرت بأن المكان آمن سأدخلكما فورًا".

"أعتقد أنه يجب على أحدنا ألّا يغادر هذا المكان فنحن بحاجة لعين تراقب لنا منطقة الرجوع" نطق آدم هذه الكلمات بعد فترة طويلة من الصمت، وما أن شعرت نادين بأن الكلام موجّه إليها قالت بعبث: "أعتقد أن اختياركم خاطئ فلست أنا الشخص المناسب لهذه المهمة".

سار لؤي باتجاه القطار القابع أمامه. مرر كفه فوق ماسح القطار لتفتح بوابته له برحابة. دخل لؤي القطار بحذر، بينما وقف كل من نادين وآدم بعيدًا عن الباب حتى لا يلمحهما أحد، أختفى لؤي في قلب القطار للحظات مرت طويلة جدًّا فوق قلب نادين القلق، ثم خرج قائلًا: "اصعدا فالقطار فارغ!".

صعد آدم ونادين بدهشة ليجدا نفسيهما في قطار طويل خالٍ من كل شيء حتى المقاعد، كان طويلًا حتى شعر آدم أنه بلا نهاية ورغم عتمته العالية في الخارج بسبب زجاجه الأسود إلا أنه كان منارًا بقوة من الداخل بإضاءة بيضاء نقية وعالية الصفاء لتعكس أن القطار يقع داخل نفق خرساني ضيق أقرب لأنبوب ضخم لا يحتوي على شيء.

علا صوت المضيفة المسجل إلكترونيًا في القطار ليعلن بدء انطلاق الرحلة. أضاءت من تحت أقدامهم خطوط زرقاء تدلك على مسارب المكان ثم بدأت المقاعد بالظهور!

جلست نادين ولؤي فوق المقاعد أما آدم فكان يسير نحو غرفة القيادة بهدوء فتحها ببطء وتسمّر مكانه:

صوت المضيفة الآلي المسجل هو صوت نداء الرحلات المشوش في فيديو اليوتيوب. وكما قالت نادين: الغابة والقطار من الصور المشوشة في الفيديو أيضًا! نعم إننا في الطريق الصحيح... ولكن إلى أين ونحن على متن قطار يسير بسرعة ثمانمئة كم في الساعة وبلا سائق؟!

كان آدم بالرغم من شكوكه تلك متأكدًا بأنهم الآن وفي هذه الدقائق المعدودة التي تحرك فيها القطار قد أصبحوا بعيدين جدًّا عن تلك الحظيرة وربما عن فنلندا كلها!

الفصل الثامن والسبعون

مر الوقت سريعًا على متن قطار الماجليف ولكنه كان بطيئًا فوق نفوس الجميع، فنادين وآدم ولؤي لم ينفكّوا عن التفكير في المجهول الذي يغلف حنايا خطة وانغ لي هذه، فرغم كل صعوباتها التي كانت تزول تدريجيًا كل مرة، يبدو أن ما يخوضونه الآن هو المجهول الأعظم!

توقف القطار معلنًا انتهاء الرحلة لينهض ثلاثتهم استعدادًا لما ينتظرهم. وما أن فتح باب القطار الخالي حتى وجدوا أنفسهم يقفون أمام غرفة تحتوي على شبكة تمديدات بأنابيب معدنية ضخمة، قديمة التصميم حديثة العمل، وصوت ما يمر من خلالها بغض النظر إن كان سائل أم غاز قد طغى على المكان!

دخل الثلاثة إلى الغرفة بهدوء وبخطوات ساكنة، محاولين ألّا يحدثوا ضجيجًا. المكان كان قاتمًا معتمًا باليًا وكأنه من مصانع الثورة الصناعية الأولى التي غزت أوروبا في القرون الوسطى! ساروا في قلب الممر المحاط بتلك الأنابيب التي كانت تغزو المكان فمنها ما هو ضخم امتد على طول الجدران ومنها ما هو نحيل خفيف الثقل علق في أعلى السقف. أما ما كان يحير عقولهم في تلك الأثناء، فهو كيف لقطار تكنولوجي كالذي كانوا فيه منذ لحظات أن تكون إحدى وجهاته مصنع خردة كهذا!

كان المكان ذا إضاءة خافتة تبث القلق في الأرجاء فلا أحد يعلم ما قد تحمل جدران هذا المصنع من خفايا. صوته يدل على أن خط الإنتاج فيه

لا يتوقف وربما على مدار اليوم، ولكنه كان رغم كل تلك الأصوات يوحي بهدوء مخيف! أخرج آدم هاتفه وقال: "نحتاج لبعض الإضاءة هنا".

حاول آدم الضغط على زر ضوء الفلاش في هاتفه، كما فعل لؤي ونادين ذلك، ولكن بدأت شاشة الهواتف الثلاثة بالتشويش. حاول آدم الولوج إلى هاتفه ولكن كان التشويش عاليًا. وفجأة توقفت الهواتف الثلاثة عن العمل! حاولوا تشغيلها ولكنها كانت مغلقة وكأن أصابها ماس كهربائي جعلها معطلة.

شعرت نادين ببعض الخوف وقالت: "المكان ليس قديمًا كما هو في الظاهر".

أكمل الجميع سيرهم نحو الطريق المظلم أمامهم متتبعين الصوت المار في الأنابيب وبعد مرور بعض الوقت وصل الثلاثة إلى غرفة واسعة مضاءة بأضواء قديمة معلقة في السقف وخافتة ليجدوا أنفسهم يقفون بصمت في مصنع خالٍ من الموظفين. فيه خط إنتاج لحقن زجاجية متوسطة الحجم تمر فوق الممرات الآلية بثبات وبشكل دقيق ومرتب، تحتوي على سائل شفاف تملؤه الآلة في الحقنة ثم يتم ضغطها لتصبح جاهزة، ليقف لؤي بدوره متسمرًا بلا حراك مدركًا بأن ثلاثتهم الآن يقفون في ما قد يتصارع العالم حتى الموت لأجله! نعم، إنهم في معمل لقاح فيروس (كوفيد – 19) ضالّة العالم الأولى.

الفصل التاسع والسبعون

كان آدم ونادين يقفان باندهاش جعلهما عاجزين عن الحراك حينما وجدا كل تلك الخطوط الإنتاجية تسير أمامهم بلا توقف. فقالت نادين بنبرة شاردة يعتليها الحيرة والخوف: "نحن في مصنع لقاح؟".

قال لؤي: "نعم، نحن في المكان الذي يحتوي على حل معضلة هذا العالم كله" اقترب لؤي من خط الإنتاج وقال: "نحن أمام لقاح فيروس كوفيد – 19".

"في هذا المصنع البالي؟"، قالت نادين وهي تدور بنظراتها القلقة في المكان.

"بل في هذا المصنع المتطور بحلته البالية"، قال آدم وهو يسير نحو الخطوط التي توزعت أمامهم. تبعه كل من لؤي ونادين وهو يمرر يده فوق خط الإنتاج الذي يسير بكل ثبات ودقة ودون أي خطأ واحد! فأكمل قوله: "مصنع بلا عمال ينتج هذا الكم الهائل من اللقاحات! لا بد وأنه مصنع ذو ذكاء اصطناعي عالٍ".

كانت خطوط الإنتاج تتوزع في أنحاء المصنع وجميعها تعمل على نفس المنتج؛ حقن زجاجية ممتلئة باللقاح تحتوي على إبرة في داخلها. سار آدم محاولًا فهم سير خط الإنتاج في المصنع الذي كان يرص الحقن من ناحية ويملؤها باللقاح في ناحية أخرى وفي النهاية يتم غرز الإبرة في قلب الحقنة الزجاجية. أما الخطوة الرابعة في الإنتاج فلم يستطع آدم فهمها!

حيث كانت الآلة تقوم بالضغط على رأس الإبرة دون أن يحدث لها أي تغيير أو حتى تثبيت فماذا يحصل في هذه المرحلة من تصنيع اللقاح؟!

كان الحذر قد بدأ يزول منهم حينما تأكدوا أن المصنع خالٍ. فكل ما كان يحتويه غرفة مكتب محاطة بالزجاج ومضاءة بضوء معلق قديم، فجأة علا صوت إلكتروني من زاوية ليست بعيدة: "تمت تعبئة اللقاح".

توجهوا مسرعين نحو مصدر الصوت عندها قال لؤي: "هذا الخط بدأ بعملية الإنتاج الآن".

كان فعلًا خط الإنتاج قد أنهى عملية رص الحقن الزجاجية وأنهى عملية تعبئة اللقاح. سار ثلاثتهم بجانب الخط متتبعين خطواته ليحاوِلوا فهم ما الخطوة الرابعة من عملية إنتاج اللقاح.

"تم تركيب الإبرة"، علا الصوت الإلكتروني المسجل.

مر بعض الوقت وهم لا يزالون يتتبعون حركة اللقاحات في مسارها وما أن بدأ خط الإنتاج بالضغط على رأس الإبر الموجودة في اللقاحات حتى علا صوت التسجيل الإلكتروني معلنًا: "تم زرع المايكروشيب".

اختفى الصوت قليلًا ثم علا ثانية: "خمسمائة عبوة من اللقاح جاهزة!".

صمت الصوت الإلكتروني عن الكلام تمامًا لتصمت معه أنفاس الثلاثة وهم يقفون كتماثيل حجرية أمام كل ما سمعوا. نطق آدم بعد لحظات طويلة: "الآن باتت كل الأمور واضحة، الخطوة الرابعة من عملية الإنتاج غير الواضحة كانت زراعة المايكروشيب في حقنة اللقاح بحيث لا ترى بالعين المجردة أثناء عملية التلقيح!".

أكمل آدم مفسرًا: "نعم، كل شيء بات له تفسير، فمخزون شركات الكلاود تمت توسعته بشكل مضاعف وفي وقت واحد فقط من أجل هذا...".

استدار آدم نحو نادين ولؤي اللذين كانا يقفان صامتين أحدهما يعلوه الذهول والآخر يعلوه الصمت الذي يسبق العاصفة، فقال وهو ينظر إليهما: "بهذه الحقن الصغيرة اسمحوا لي أن أعلن لكم بأن البشرية جميعها ستصبح تحت رقابة واحدة!".

"إنها مجرد مايكروشيب كتلك التي في يد لؤي ولكنها بحجم أصغر"، قالت نادين.

قال لؤي موضحًا: "أنا لست مبرمجًا ولكن مايكروشيب لا ترى بالعين المجردة! لا أعتقد وجودها في اللقاح من أجل بضع وظائف اعتيادية كالمرور من مكان عملك أو سحب بعض النقود أو حتى فتح بوابة قطار مغناطيسي سريع!".

"لا بالطبع ليست لهذا كله، بل هي لجمع المعلومات والمراقبة كما قال ديفيد". وضّح آدم وهو يتفحّص الخط السائر أمامه. "إن دخول هذا المايكروشيب إلى جسم الإنسان عبر مجرى الدم واستقراره في جسده تعني أمرًا واحدًا أننا سنصبح جميعًا كنقطة فوق خريطة جي بي أس تتبعها كل وسائل المراقبة أينما ذهبت". صمت قليلًا ثم أكمل "شركات الكلاود ستلتقط أكبر قدر من المعلومات عنا والمايكروشيب سيجعلنا كالرجال الآليين مجرد بشر تحت السيطرة، فكل أفكارنا ومعتقداتنا وحتى أحاسيسنا ستصبح ملكهم وبالتالي هم سيملكون العالم ونحن سنصبح مجرد قطعة مايكروشيب يتصرفون بها كما يشاؤون".

قالت نادين بنبرة فزعة: "من هم؟ من يسعى لكل هذا؟ إلى من كان يريد أن يوصلنا كل من وانغ لي وديفيد؟".

قال آدم بهدوء: "إلى مالكي المكان".

استجمعت نادين قواها وقالت "علينا تصوير كل شيء، على هذه اللعبة أن تنتهي وعلى العالم أن يعلم ما يُحاك تحت قدميه دون علمه!".

قال لؤي بشرود: "وربما بعلمه....".

لم تعرْ نادين انتباهًا لما قاله لؤي، تناولت هاتفها لتبدأ التصوير ولكن كان جهازها مطفأً. "اللعنة لقد نفدت بطارية الهاتف".

اخرج آدم هاتفه وقال: "لا مشكلة في البطارية، لقد تم تعطيل الأجهزة!".

اقترب آدم من خط الإنتاج فلم يعد أمامه سوى أن يحمل عينة معه من اللقاح قبل أن يغادروا، وما أن تناول إحدى الحقن الجاهزة من خط الإنتاج ليضعها في جيبه حتى توقف المصنع كله عن العمل فجأة، وأغلق باب المدخل الحديدي ليصبحوا جميعًا عالقين في هذا المكان دون مخرج!

الفصل الثمانون

توقف المصنع من حولهم وكأنه قد أُصيب بانقطاع كهربائي أعجزه عن الحراك! "ما الذي يحصل؟ هل هناك من أحد في المصنع لم نعلم بوجوده؟"، قالت نادين.

"فقط أعد العينة إلى موقعها الصحيح في خط الإنتاج"، قال لؤي لآدم.

توجه آدم ووضع العينة مكانها وما أن استقرت في فراغها المخصص لها حتى عاد المصنع للدوران وكأن شيئًا لم يكن!

بدأ الجفاف يعلو حلق نادين من حرارة المكان فقالت وهي تسير ببطء: "يبدو أن المكان قد أصبح حارًا بعض الشيء! ألا تشعران بذلك؟".

"نعم".

"من أين يمكن لي أن أحصل على بعض الماء؟".

"ربما في الركن البعيد هناك". أجاب آدم نادين وهو يتوجه معها إلى غرفة مقفلة أشبه بمخزن صغير. أما لؤي فكان لا يزال يقف مكانه شاردًا في خط الإنتاج الذي أمامه.

فعلًا ليس كل ما نراه حقيقة..!

سار لؤي بشرود محاولًا الوصول إلى موقع تصنيع اللقاح ليبحث عن المواد الأولية المصنعة له علّه يدرك كيف استطاعت المنظمة إنتاجه وتصنيعه وتجهيزه دونه بالرغم من مكوث معادلة اللقاح الكيميائية في ذهنه وعدم وجودها على أي ورقة أو جهاز حاسوب أو أي وسيلة أخرى؟!

نعم، تركيب اللقاح لم يكن موجودًا على أرض الواقع أبدًا فهو لا يزال في تلافيف دماغه الحائرة، إذن كيف يمكن لكل لهذا أن يحدث؟! وإن كان رتزل يملك اللقاح على هذا القدر من الجاهزية فلماذا لم يقتله دياسايد في سنغافورة ذلك اليوم؟

هناك حلقة مفقودة في كل هذا!

سار لؤي ببطء محاولًا تتبع بداية أول خط إنتاج، وما أن وصل حتى وجد معملًا صغيرًا بأذرع آلية كتلك التي اعتادوا عليها في المصانع، تسكب المكونات الأولية في الجهاز الرئيسي ضمن معايير معينة لتتحول إلى لقاح يعبأ في كل خطوط الإنتاج تلك. حاول البحث عن عبوات المكونات الأولية للقاح فعليه أن يتأكد منها. بحث من حوله ولكنه لم يجد شيئًا. اللقاح يعبأ جاهزًا بلا عبوات مواد أولية، حاول البحث خلف المعمل، خلف الأذرع الآلية ولكن لا شيء.

غير ممكن، لا بد أن هناك مواد أولية في مكان ما!

سار قليلًا فوجد مكتبًا محاطًا بواجهة زجاجية ذا فرش قديم وإنارة خافتة معلقة في سقفه. يحتوي على أدراج وخزانة حديدية الصنع، في الأعلى على الجدار رف صغير يحمل فوقه جهازًا تلفزيونيًا قديمًا من إنتاج فترة السبعينيات. القنوات فيه تعمل بألوان داكنة نسيتها ذاكرته التي لم تعد تذكر من تلك الحقبات سوى ترتيبها الرقمي في الزمن!

فتح باب غرفة المكتب ودخلها بهدوء. كان المكتب الحديدي الذي قبالته خاليًا هادئًا لا يحتوي على أي شيء فوقه ولا حتى أوراق. مجرد مكتب قديم ككل شيء موجود في هذا المكان. اقترب من الأدراج بحثًا عن المواد المكونة للقاح ولكنه لم يجد شيئًا. فتح الخزانة الحديدية عندها وجد مجموعة

من القوارير التي احتوت على كل ما أراده؛ المواد الأولية لتصنيع اللقاح!

اقترب لؤي من المواد حملها واحدة تلو الأخرى ورصها أمامه على المكتب. جلس على الكرسي الجلدي وأخذ يقرأ المواد وكل ما هو مكتوب عليها من مكونات. فتح أدراج المكتب الحديدي. وجد أوراقًا بيضاء وأقلام. تناول ورقة وبدأ محاولة فهم ما يحدث.

كان لؤي يكتب باندماج تام فوق الورقة مجموعات مختلفة من المعادلات الكيميائية وفقًا لما يتوفر أمامه من مصادر أولية للمواد ولكن بلا فائدة.

لا يمكن لهذا أن يكون منطقيًّا، لا يوجد أي تركيبة من هذه المعادلات تشبه لقاح فيروس (كوفيد - 19).

لم يكن لؤي يعلم كم مضى عليه من الوقت وهو على هذه الحال فنهض إلى ثلاجة صغيرة موجودة على الجدار المقابل للمكتب. بحث عن أي شيء قد يساعده على ترطيب حلقه فوجد قارورة من الماء البارد أخرجها وبحث عن كوب فوجد بعض الأكواب البلاستيكية في الخزانة الحديدية. تناول أحدها. سكب الماء وشربه دفعة واحدة من العطش. سكب كوبًا آخر ثم اقترب من الورق المرتمي أمامه على المكتب. كان يرشف الماء ببطء وهو ينظر في الورقة ومعادلاتها وفجأة وضع الكوب جانبًا. بدأ يكتب معادلة أخرى سريعة وما أن أنهاها حتى علقت رشفة الماء التي كان قد شربها في حلقه بلا حراك، ابتلعها بخوف ثم قال بصوت واضح: "هذا ليس لقاحًا لفيروس كوفيد - 19، إنه لقاح لفيروس آخر قادم لا يعلمه أحد!".

وما أن أكمل جملته حتى كان روبرتو يقف أمامه قائلًا بابتسامة: "لطالما راهن رتزل على ذكائك يا لؤي، وكم كان محقًا!".

الفصل الحادي والثمانون

2020/4/12

كان لؤي لا يزال يحدق إلى الورق حينما رفع رأسه نحو روبرتو الذي كان واقفًا أمامه بابتسامة أبرد من جليد فنلندا وقال: "وأنت كتماثيل الجرغول فوق كاتدرائية نوتردام تقف متربصًا لمنع الشر خارج جدران المكان ولكنك ستشعل النار فيها يومًا إن تم عصيانك ولهذا لا يزال رتزل يحتفظ بك حتى الآن... فهو دوما بحاجة للجرغول خاصته ليدرأ عن نفسه لعنة الشر حتى وإن كان هو الشر نفسه!".

ابتسم روبرتو وهو يتوجه نحو المكتب ويجمع قوارير المواد الأولية قائلًا: "ولكنني لست أي جرغول يا لؤي فأنا لوستريج القابع على قمة الكنيسة هناك، أحمل رأسي بين يدي بثقله لأنه كل ما أملك، أراقب المشهد من بعيد وحينما أقرر بث لعنتي... لا يمكن أن يوقف نيرانها أحد!".

كان روبرتو لا يزال يرص القوارير في الخزانة ثم أقفلها. توجه نحو الجدار بعد أن لاحظ العرق يتصبب فوق جبين لؤي، فاتجه نحو زر الكهرباء وأشعل المروحة القديمة المعلقة في السقف ثم قال وهو ينظر إليه: "المكان حار هنا...".

توجه إلى التلفاز القديم المعلق على الرف. قلّب زرّه الدائري ببطء ليتنقل من قناة إلى أخرى أما صوت طقطقته فقرع في رأس لؤي وكأنه طرق

حجارة متساقطة من على قمة جبل! ابتعد لؤي عن المكتب الحديدي قليلًا وتوجه نحو المساحة الخالية أمامه فالمكان حار فعلًا هنا. يشعر بحاجة لبعض الهواء. في تلك الأثناء توقف روبرتو عن تقليب القنوات وقال: "بما أنك عاشق للموسيقى فسأهديك هذا..." وأشار روبرتو للقناة التي توقف عندها وقال: "العالم كله بانتظار أندريه بوتشيللي اليوم الذي سيغني لإيطاليا المهجورة من فوق ساحة كاتدرائية دومو ميلانو التاريخية والتي رغم كل القرون المارة فوقها لا تزال رابضة بجمالها القوطي الساحر!".

كان لؤي يحدق إلى روبرتو الذي بدأت صورته تتشوش أمامه تدريجيًا تمامًا كشاشة هاتفه حينما دخل هذا المصنع الغريب وعرقه بدأ يزداد انصبابًا!

إنني أختنق! المكان كفوهة بركان، عليّ البحث عن مصدر هواء!

توجه لؤي نحو الباب ليخرج من المكتب فاقترب منه روبرتو وهو يقول: "بهذه السرعة؟ ألا يعجبك بوتشيللي؟ أم أنك فقط من عشاق السيمفونيات؟!".

حاول لؤي الكلام ولكن حلقه الجاف كان أقوى من أن يمنحه فرصة للنطق.

ما الذي يحدث؟ هل هناك تسريب لمادة ما في المصنع؟ عليّ تحذير نادين وآدم.

كان جسده يتحرك بصعوبة، رمقه روبرتو ببرود وأدار جسده المتصلب الذي أصبح لا يقوى على الوقوف نحو شاشة التلفاز، فحفل بوتشيللي قارب على البدء. رفع لؤي وجهه الغارق بالعرق وعينيه المبهمتين نحو الشاشة.

بوتشيللي يغني للأرض!

جلس روبرتو على الكرسي الجلدي الموجود خلف المكتب فاستدار نحوه لؤي ليرى قارورة المياه التي سكب كوب الماء منها بجانبه فأدرك لحظتها أن لعنة روبرتو قد أصابته! كان شغفه وحده هو المسيطر دائمًا، شغفه الذي جعله يحيا بين جدران المختبرات المعزولة لتطوير الفيروسات ولقاحاتها والذي سلبه لحظة حذر لو أعارها انتباهًا لاستطاع أن ينجو بروحه التي اعتاد على منحها الحياة حتى لو اجترها من أرواح الآخرين!

"الماء مسموم أليس كذلك يا روبرتو؟".

كان روبرتو يلف كرسيه باتجاه الشاشة بعد أن جعل صوت التلفاز يعلو إلى أعلى حد ثم رفع قدميه على المكتب مديرًا ظهره للؤي وأشار للؤي بالسكوت! كان صوت بوتشيللي يعلو في رأس لؤي بأغنيته الشهيرة (I found my love in Portofino) والأرض تتمايل حوله برقصة صاخبة بين أحضان نادين وشعرها المشعث!

بدأ لؤي يتهاوى أرضًا وجسده يشتعل احتراقًا من الألم الذي تسرب إلى أوصاله ولكن لا زالت نادين بين ذراعيه.

أحببتك بكل أنانيتي ولم أندم على ذلك يومًا.

سقط لؤي أرضًا فنظر روبرتو نحوه وقال بنبرة حماسية: "انتظر... لم تبدأ الحفلة بعد، سيظهر بوتشيللي بعد لحظات! إياك أن ترحل دون أن تسمعه فهو سيغني من أجل الأمل هذه الليلة".

كان لؤي يهيم فوق الأرضية المتمايلة تحته فصوت بوتشيللي لا زال يصدح بأغنيته ونادين لا تزال بين يديه!

كم هو فظيع أنِ تموت وأنت تشعر بالعطش... نعم أشعر بالعطش يا نادين!

اقترب روبرتو من لؤي الذي بدأت عيناه تزوغان وبريقهما يخبو ووجهه يعلوه الشحوب حتى بات أقرب إلى مومياء آتية من عصر قديم فقال بنبرة حاقدة: "ليس بعد يا لؤي... لن تموت الآن، عليك أن تشعر بكل ما شعرت به مارتينا أثناء موتها وبكل ما لم تشعر لذا لن تموت الآن!".

رغم كل تقلبات جسده الملتوية في داخله وهذيان عقله بين لحظة وعي ولحظة غياب عن الوعي، إلا أن لؤي استطاع أن يبتسم وأنفاسه تتقطع تدريجيًا قائلًا: "لهذا قتلتني بكوب ماء...".

اقترب روبرتو منه وهو يحمله من ياقة قميصه بقوة رغم ثقله المرتمي بين ذراعيه وقال: "أخبرني؟ هل تتألم الآن كما تألمت؟".

كان جسده يشتعل نارًا! نعم! يشعر بالنيران تلهب جسده ولكنه لا يزال يراقص نادين على أصوات بوتشيللي الهائمة في أغنية "وجدت حبي في بورتوفينو" ولكن هذه المرة وهو يرتدي بدلة الفيروسات الواقية المنتفخة والتي تبث الهواء والأوكسجين إلى جسده لتحميه.

كم أنا بحاجة إليها الآن!

مر عمره السريع أمام عينيه تمامًا كالقطار المغناطيسي الذي ركبه منذ ساعات، لم يكن شيئًا! كان كالوهم. مجرد ومضة وها هي تشارف على الانطفاء، كان لؤي لا يزال يصارع الألم الذي يعتلي جسده عندما هزه روبرتو ليصحو بين يديه ثانية وقال: "كم تألمت وهي تموت هناك على متن الطائرة؟ أجبني؟".

كان حلقه جافًا جدًّا، جسده يتلاشى كأنه يذوب في كل المواد الكيميائية التي مرت عليه في مختبراته بعبث! إنه يحترق دون أن يعرف من هو! بل يعرف...

مجرد عالم فيروسات يحترق!

اغمض عينيه فالصورة باتت باهتة ولكنْ كان هناك صوت يعلو.

نيتشه إنه يتكلم!

علا صوت نيتشه في ذهنه المشوش! أما بوتشيللي فبدأ يشدو بصوته الدافئ من قلب كنيسة ميلانو الخالية بمقطوعة "آفا ماريا" على ألحان بيانو الكنيسة الحزين التي تعزفها أصابع إيمانويل فيانيلّي وفي تلك الأثناء صرخ روبرتو بصوت ممزق: "أخبرني؟ هل تشعر بألمها الآن؟".

كان صوت نيتشه أعلى في ذهنه من صوت روبرتو لذا لم يسمعه ولكن نادين لا زالت تراقصه!

أجلْ! إنّي لا أعلمُ مَنْ أنا ومنْ أين نشأتُ

أنا كاللهيب النّهِم، احترق، وآكل نفسي

نورٌ: كُلّ ما أُمسكُهُ

ورَمادٌ: كُلّ ما أتركُه أجلْ! إنّي لهيب حقًّا

نادين تراقصه، نادين تحترق، نادين تحولت إلى رماد، إنه لهيب حقًّا!

صرخ روبرتو ثانية وهو يهزه بقوة أكثر: "هل شعرت بألمها الآن؟ أجبني! هل تألمت؟".

كان لؤي ينازع النفس الأخير في روحه حينما قال بابتسامة واهية: "بل هي تألمت أكثر...".

حدق إليه روبرتو بنظرة مرعبة كتلك التي يحملها تماثيل الجرغول، أخرج مسدسه من جيبه. أطلق رصاصة. رأس لؤي في الأرض مضرّج بالدماء!

أخيرًا انطفأ اللهيب. أخيرًا توقف الألم... ولن تعلم يومًا يا روبرتو بأن مارتينا لم تتألم!

علت روح لؤي تحت الأرض بسريّة كما اعتادت أن تحيا في مختبرات الفيروسات ذات المستوى الرابع بسريّة! ودفنت معها قصة اللقاح المصنّع هنا أيضًا بسريّة! ليبقى لؤي وحده من يعرف أن هذا اللقاح ليس لقاح فيروس كوفيد - 19!

الفصل الثاني والثمانون

رجّ صوت الطلق الناري أرجاء المصنع القديم فذعرت نادين وتشبثت بآدم قائلة بخوف: "هناك أحد في المصنع!".

قال آدم: "ربما، وربما يكون لؤي... ولكن بكل الأحوال لنكن حذرين ولا تفارقيني، لنسرْ معًا في جنبات هذا المصنع".

"حسنًا".

حاول آدم تتبع مصدر الصوت وهو يقول: "أعتقد أن الصوت كان قادمًا من منطقة التصنيع حيث معمل اللقاح".

"نعم أنا أيضًا سمعته قادمًا من تلك الناحية".

"إذن سنتوجه إلى هناك ولكن بهدوء".

تلفتت نادين حولها. كان المكان خاليًا وآدم يسير بحذر، وما أن رأى نادين متأخرة عنه حتى عاد إليها قائلًا: "ألم أقل لكِ لنبقَ سويًا".

"كنت أبحث عن أي شيء قد يساعدنا في الدفاع عن أنفسنا إن اضطررنا".

"لا شيء في هذا المصنع سوى اللقاحات وصوت الطلق الناري ذاك".

سارا بخطوات بطيئة وثقيلة وما أن اقتربا من منطقة المعمل حتى وجدا غرفة المكتب القديمة، وشاهدا روبرتو جالسًا على الكرسي الجلدي. كان يضع قدميه فوق المكتب الحديدي مغمضًا عينيه وهو يهز

رأسه ترنمًا مع شيء ما يُعرض على الشاشة القديمة التي أمامه وجثة لؤي غارقة في الدماء أمام المكتب القديم!

صرخت نادين بصوت مكتوم: "لؤي!".

اقترب منها آدم وقال: "اهدئي... عليه ألّا يلاحظ وجودنا، تمالكي نفسك يا نادين أرجوك".

حدقت إليه نادين بعينين محتبستين بالدموع وقالت وهي تكتم صوتها بكفها المرتعشة: "لؤي مات..".

أمسكها آدم من ذراعها واختبأا خلف المعمل الذي يحضّر اللقاحات. عانقها وقال: "اهدئي...".

كانت ترتعش بين يديه بخوف، لقد مات لؤي! لؤي رحل فعلًا! فهل كانت حقًا تريد للؤي الرحيل؟ لاحت كل ذكرياتها الماضية أمام عينيها بسرعة الحقن الزجاجية التي تسير أمامها بانتظام. فحياتها مع لؤي كانت دومًا مثل تلك الحقن تمامًا، تحمل المصل وتحمل ألم الوخز وخوف المراقبة! ولكنه رحل فلماذا تبكي الآن! مررت أصابعها فوق شفتيها حيث كان آخر ما جمعها بلؤي قبلة خاطفة مؤلمة على متن الطائرة، نعم لؤي مات!

كنت دومًا كعود ثقاب لا تنفجر اشتعالًا إلا بكثير من المقاومة وقسوة الاحتكاك... وأنا كحطب معتق أحببتك بكل لهيبك المتقد يا لؤي! ليتني أخبرتك!

في تلك الأثناء كان روبرتو لا يزال هائمًا في ترانيم بوتشيللي الذي يشدو بصوته المبصر وعينيه الكفيفتين غارقًا هو والعالم وشوارع إيطاليا الحزينة بصوته الممزوج، رغم الخواء، بالأمل! ليعلن من قلب إيطاليا

الذي توقف عن النبض بأن قلب الأرض المجروح سيعانق الحياة من جديد حتى وإن طال الانتظار.

اقترب آدم ونادين من المكتب محاولين استغلال انسجام روبرتو بصوت بوتشيللي الذي بات واضحًا عندما أصبحا أمام المكتب القديم، فقال آدم وهو يوجه كلامه لنادين الشاردة في جثة لؤي المرتمية أمام المكتب: "علينا أن نغادر قبل أن يلحظ وجودنا". كانت نادين صامتة فلؤي بكل قوته وقسوته ملقى أمامها بدمائه بلا حراك.

كم هو موجع طعم الرحيل...

"نادين هل تسمعينني؟"، قال آدم وهو يدير وجهها نحوه.

أجابته بهدوء وهي تحاول استعادة اتزانها: "نعم أسمعك، ولكن علينا الحصول على المايكروشيب فلن نستطيع الرحيل دونه".

"ولكن....".

قاطعته نادين قائلة: "أنا سأدخل المكتب زحفًا وهو شارد الذهن هكذا وسأنتزع المايكروشيب من يد لؤي".

"كيف وأنت لا تملكين أي وسيلة لفتح الجرح؟".

"هل لا يزال مفتاح السيارة معك؟".

"نعم...".

"ذلك كافٍ..".

تأمل آدم نادين التي كانت تتكلم بثقة مطلقة رغم كل الألم الذي علا وجهها. ناولها المفتاح ثم بدأت بالزحف تاركة آدم يراقب المكان. اقتربت نادين من لؤي، أنفاسه متوقفة ولكنها تستطيع أن تشتم رائحته فرائحته لا تشبه رائحة الموت، رائحته تشبهه فقط! اقتربت من كفه الممدودة إلى

جانبه. تناولت المفتاح وقربته من موقع المايكروشيب المغروس في يده لتحفر مكانه محاولة استخراجه.

جيد أنك لن تتألم!

بدأت بحفر مكان المايكروشيب بهدوء وهي مستلقية على الأرض بجانب جثته الباردة محاولة ألّا تلفت نظر روبرتو الذي كان غارقًا بشرود تام مع الموسيقى! بدأ العرق يتصبب من جبينها فالوضعية التي تستلقي بها غير مريحة وعملية حفر كف لؤي بالمفتاح ليست بهذه السهولة ولكن عليها أن تكمل. بدأ الجلد يخدش معها والطبقة الأولى منه تعلق في حافة المفتاح وفجأة سمعت صوت حراك! تجمد الدم في عروقها وتوقفت عن الحفر عندها وجدت روبرتو يحدق إليها من كرسيه الجلدي قائلًا بصوت لامبالٍ: "لماذا تعانين كل هذه المعاناة وأنت تحاولين انتزاع المايكروشيب من يده؟ اجلسي بطريقة مريحة حتى لا تشعري بالإنهاك".

مد روبرتو يده نحو مسدسه فلمح آدم حركة يده عندها دخل المكتب مسرعًا لحماية نادين. أخرج روبرتو مسدسه وقال بصوت بارد "هل أنتما خائفان من هذا؟".

رفع المسدس باستهتار أمامهما ثم أكمل وهو يتجه نحو نادين وآدم قائلًا: "لا تقلقا، وجوده لم يعد مهمًا لكنه سيوفر عليك معاناة شق الكف بالمفتاح التافه الذي بين يديك هذا..". رفع المسدس وصوبه على كف لؤي حيث كانت نادين تحاول شقها. أطلق رصاصة فتحت الكف بجرح عميق ولكن بعيدًا عن مكان المايكروشيب ببضع سنتميترات. عندها ألقى المسدس بجانبهما وعاد إلى كرسيه يستمع لباقي الحفل المبثوث على الهواء مباشرة.

اعتلت الصدمة نادين وآدم للحظات ولكن نادين مررت المفتاح من مكان الجرح وأخرجت المايكروشيب الممزوج بالدماء وقالت "حصلت عليه...". نظرت نحو روبرتو الذي كان غائبًا في الشاشة بصمت وقالت "علينا أن نغادر...".

ألقت نادين نظرة أخيرة على لؤي المسجّى أمامها. أشاحت بوجهها وسارت مع آدم بسرعة نحو المخرج.

كان بوتشيللي يقف أمام ساحة كاتدرائية دومو ميلانو يغني المقطوعة الأخيرة (Amazing Grace) في حفله المباشر وبسكون خالٍ من الموسيقى. كان صوته يصدح وحيدًا ككل مدن الأرض المغلقة، لتحمل على متن تراتيلها رحلة من الأمل رغم كل تلك الشوارع الخاوية التي بدأت تظهر على الشاشة.

فلورنسا... البندقية... كنيسة ميلانو وبوتشيللي وحدهما فوق الساحة... روما ساكنة إلا من بضع حمام يستقر فوق الأرصفة بأمان فالبشر خلف الجدران! ولا زال صوت بوتشيللي يصدح:

How precious did

That grace appear

The hour I first believed

مدن العالم تبحر في سكون عميق فوق شاشة التلفاز! روما توقفت عن الدوران، ومدريد بلا عشاق ولا حتى مباريات. باريس وبرج أيفل بلا أنوار، ولندن يهيم فيها الضباب وحيدًا بحرية للمرة الأولى! وروبرتو لا يزال يحدق إلى بوتشيللي الواقف بصوته الشجي يعلم رغم بصره المفقود أن الأرض لربما تحتضر ولربما تتألم ألم لحظة الميلاد! لذا ما زال يغني!

I shall possess within the veil

A life of joy and peace

When we've been here ten thousand years

انتقلت الشاشة إلى المكسيك الصامتة بلا عراك الكارتل ولا عزف الراقصين في ساحاته ولا حتى يوم الأموات. فهل هناك من سيحيي ذكراهم بعد الآن؟ غاب روبرتو في كل مدن الأرض الخالية التي تبث على الشاشة أمامه بمقلتين مرتعشتين:

الأرض ترحل معك يا مارتينا... يا ليتني لم أفعلها ويا ليت الأرض تعود!

بوتشيللي يغني وكيب تاون ساكنة بلا ثورة... بلا مانديلا! وساوباولو لم يعد مهمًا فيها إن تكون فقيرًا أو غنيًا أو حتى مجرمًا فأرواحها الحية اختفت خلف الجدران بلا سجون. وها هي بيونس أيريس التي لم تعرف السكون يومًا تدندن خفية أغنية إيفيتا بيرون وهي تودع الأرجنتين Don't cry for me Argentina! وروبرتو لا يزال يحدق إلى الشاشة بذهول:

ماذا فعلنا؟

لتظهر لوس أنجلوس على الشاشة ونيويورك سكوير بكل فوضاه لا يمر فوق شوارعه سوى تذكرة سينما تترنح في الهواء بحثًا عن مقعدها في صالات تم إغلاقها حتى إشعار آخر! نعم، الكون يتوقف عن الحراك! وفي النهاية بوتشيللي يئن مع اللحن بقوة لتظهر بكين بؤرة الصناعة وبداية الكارثة تعلن للعالم إنهاكها فتوقف عجلات مصانعها عن الكلام لتتنفس الأرض! نعم لقد حان للأرض أن تحيا بلا نهم سكانها بسلام!

ومن بين جميع تلك اللقطات ظهر شريط إخباري سريع أسفل الشاشة فجأة يعلن:

خبر عاجل: المليونير سابيني مالك خطوط طيران أوبين أير يعلن إفلاسه بسبب جائحة الكورونا!

نظر روبرتو إلى الخبر. صمت للحظات ثم ضحك ضحكة هستيرية. عندها رن هاتفه النقال الذي في جيبه فتناوله ليرى من المتصل وما إن رأى اسم رتزل حتى أكمل ضحكه. كان بوتشيللي ينهي حفله المهدى لكل الأرواح المتألمة والخائفة في أنحاء العالم وحتى لتلك التي رحلت عن الأرض دون وداع، ورتزل لا يزال يرن! وما أن صمت صوت بوتشيللي معلنًا انتهاء حفله حتى ألقى روبرتو هاتفه الذي لا يزال يرن في كوب الماء المسموم الذي تركه لؤي فوق المكتب القديم، لتبدأ الفقاعات تعلو في قلب الكأس للحظات وينطفئ الهاتف!

الفصل الثالث والثمانون

أهتاري - فنلندا

في مدينة أهتاري الصغيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها الستة آلاف شخص، استقر أحد موتيلات فنلندا الخشبي بهدوء بين غاباتها. وقفت نادين أمام مغسلة الحمام في الغرفة التي استأجراها هي وآدم. غسلت يديها بقوة من كل ما علق فيهما من دماء لؤي التي جفت على أصابعها بسبب محاولاتها في انتزاع المايكروشيب. قلبت أصابعها، وحاولت أن تغسل أظافرها. وضعت كفها على وجهها واستنشقت نفسًا عميقًا.

أحتاج إلى حمام ساخن فرائحته لا تزال عالقة هنا!

فتحت دوش الحمام الذي اندفع بقوة ووضعته على الدرجة الساخنة حتى امتلأ المكان بالبخار. أنفاسها كانت تتقطع. لا، لن تستحم فالبخار يكاد يخنقها! أقفلت الماء، وقفت أمام المرآة ثم هامت في وجهها المنهك وشعرها المبعثر. فتحت صنبور المياه البارد وبدأت تغسل وجهها بقوة ثم غسلت شعرها في المغسلة وما إن انتهت حتى نظرت إلى وجهها من جديد.

نعم لقد رحل!

بقيت واقفة للحظات طويلة أمام المرآة ثم تناولت منشفة صغيرة. جففت وجهها وشعرها بها. أخرجت المايكروشيب من جيبها! وضعته في كفها. كان صغيرًا جدًّا بحيث لا يكفي أن يكون هو الذكرى الوحيدة المتبقية من لؤي رغم ألم انتزاعها!

هناك بقع دماء عليه!

تناولت منديلًا ورقيًا ثم قامت بمسح المايكروشيب بهدوء. خلعت سلسال الكارتيير الفضي الذي كانت تضعه في عنقها دائمًا. علّقت المايكروشيب فيه. تأملته في المرآة وهي تضعه في عنقها. مررت أصابعها فوقه بهدوء. أغلقت أزرار قميصها وغادرت الحمام. بحثت نادين عن آدم ولكنها لم تجده. وقفت عند النافذة فوجدته يجلس في الخارج فوق أرضية الغابة بشرود. كان صامتًا بهدوئه المعتاد يضع سيجارة مطفأة بين أصابعه فقالت وهي تناوله فنجان قهوة: "أعددتها لك لتحظى ببعض الدفء هنا".

كان آدم شاردًا عندما تناول منها الكوب الدافئ وقال: "أي نشوة تلك التي قد يشعر بها المرء حينما يسلب روح أحدهم بكل هذا البرود!".

بكل هدوئه المعتاد كانت فوضى أفكار آدم تثير الجلبة في ذهنه الصامت. لم يكن يومًا يشعر بالراحة اتجاه لؤي ولكن لا يدري لماذا شعر أمام جثته بأنه وحده الموت الحقيقة الوحيدة على الأرض لا تحمل تفسيرًا. فسريع هو أحيانًا لدرجة قد لا تلحق غمضة عينك التقاطه، وثقيل هو أحيانًا لدرجة يمتص فيها كل ما حملته من عمرك الماضي وزمنك الحاضر ببطء.

هل رحلت بسلام يا لؤي؟!

جلست نادين بجانبه أرضًا وهي تحمل كوبها بين يديها باحتضان وقالت: "ماذا سنفعل الآن؟".

كان آدم لا يزال شاردًا لا يعلم لماذا يفكر بلؤي؟! أم أن كل ما حملته الأحداث من تفاصيل هي ما يؤرقه؟! ماذا سيفعلان الآن مادام لؤي الشاهد معهما قد رحل أيضا؟ وهل سيكون مصيرهما الرحيل كما كان مصير الجميع؟

لطالما كان لديه دومًا ذلك الشك بأن هناك لحظة في حياة البشر قد تحمل خاتمة، لذا لم يسعَ أبدًا لمعرفة الخواتيم، ولهذا لم ينهِ حل لغز سيكادا أبدًا رغم بساطته! نعم، فهو لا يهوى خواتيم الأمور ولا يؤمن بها! ولكنه لأول مرة يتمنى لو أن لهذا الطريق خاتمة.

استدارت نادين نحوه وأشارت بيدها لينتبه لها وقالت: "ما بك؟ ألا تسمعني؟ ماذا علينا أن نفعل بعد كل ما رأيناه؟".

"ماذا نملك لنفعل؟".

"نملك أوراق البنتاغون، خطة الكلاود التي أخبرنا بها ديفيد، موقع الإحداثيات ومصنع..".

قاطعها آدم ببرود وهو لا يزال يقلب سيجارته مطفأة: "ماذا نملك منا نحن بعد كل هذا؟".

غابت نادين في سؤاله، لا تعرف هل ما زالت تملك شيئًا من نفسها بعد كل هذا؟ لاحت صورة لؤي أمامها لوهلة ولكنها طردتها سريعًا.

أجابت بسرعة: "أملك حقيقة علي نشرها".

فقال آدم بهدوء: "أتؤمنين بالنهايات يا نادين؟".

"بالطبع... فلكل بداية في هذا الكون نهاية".

بدأت أضواء ظاهرة الشفق القطبي أو المسماة بالأرورا تظهر فوقهما كستارة بألوانها المتمازجة بين الأخضر والأصفر والأزرق، تهيمن على سماء فنلندا المعتمة بانسيابية لتنيرها بشكل مفاجئ يثير الدهشة، فتعلم حينها أن للكون ظواهر تلامس نفسك من بعيد رغم علمية تفسيرها!

حدق آدم إلى أمواج الضوء المنسابة من فوقه وقال: "أنا لا أؤمن بالنهايات..." صمت للحظات ثم أكمل: "نحن مجرد حلقة متكررة. ألم

تلحظي ذلك؟ أنت مثلًا ترحلين من أتلانتا إلى بكين بحثًا عن كل شيء، معتقدة بأن الأمور ستتبدل هناك، تشعرين بالأمان لبعض الوقت وتظنين أنها النهاية...".

وضع سيجارته بين شفتيه وأشعلها ببطء. "وفجأة تلتقين لؤي صدفة لتلمع عيناك بحب مشروخ فتدركين حينها أن الأمور لم تتبدل، وتعودين لنفس الحلقة بحثًا عن النهاية!".

كانت الأنوار تتمايل ببطء راقص يبث الحياة في المكان رغم وحشته. عندها نفث آدم نفسًا عميقًا من سيجارته وقال: "يموت لؤي! فتعتقدين أنها النهاية، ولكنك تمضين ساعتين في الحمام تحاولين غسل بقايا دمه الجاف من فوق كفيك حتى تخدشا... ولكن لا بأس ببعض الألم... فهي النهاية!".

نظرت نادين في كفيها المخدوشين من كثرة الدعك ومحاولة إزالة الدماء فوضعت الكوب جانبًا وأخفتهما ببطانيتها الملتفة حولها ليكمل آدم وهو يتأمل الأرورروا: "ثم تدوري في الحلقة من جديد، تعلّقين المايكروشيب خاصته في عنقك... وما أن وضعته وتأكدت من وجوده، تعلنين لنفسك أنها النهاية!".

هامت نادين في كلمات آدم الذي أكمل بهدوء: "وها أنت تجلسين هنا بين سيقان غابات فنلندا بعينين باحثتين عن وجهه، عله يلوح ولو من بعيد". تمازجت الألوان بين بعضها بصخب أقرب لصخب الدنيا ليكمل: "فتعودين لتمتطي حلقة جديدة تدورين فيها وأنت تعلمين جيدًا أنها ستكون بلا نهاية! فهل حقًا ما زلت تؤمنين بالنهاية؟".

صمت آدم قليلًا، بينما دوّرت نادين كوب القهوة الدافئ بين كفيها، وهامت في غابات فنلندا الشاحبة رغم أنوار الأرورروا الراقصة!

كيف عرفت أنني أبحث عن شبح وجهه في سيقانها يا آدم؟

رشفت نادين قهوتها واعترفت بشرود: "نعم، لم أعرف يومًا نهاية! ورغم كل إخفاقاتي ما زلت أحمل على عاتقي مسؤولية كل ما حدث لعلّي أجد النهاية!". صمتت نادين وتنهدت قائلة: "لا أدري إن كنت حقًا أدور في حلقات الماضي أو الحاضر، ولا أدري إن كانت مهمة بالنسبة إليّ ولكن..."، رفعت رأسها إلى الأعلى لتغرق نظراتها المتعبة في حنايا الأروروا الراقصة وقالت "لا يهمني الزمن بكل تفاصيله ولكنني أعلم أنها الدقيقة التالية هي وحدها التي تهمني، ففي غرفة الجراحة، دقيقة واحدة تلك التي تفصل مشرطك عن الحياة والموت!... دقيقة واحدة يا آدم هي كل ما قد نحتاجه لنصنع النهاية".

فتح آدم عينيه المغمضتين ونظر نحوها بابتسامة دافئة: "أهذا كل ما تحتاجينه؟ دقيقة واحدة!".

"ربما هي دقيقة واحدة لنرسم وجه الحقيقة من جديد". صمتت نادين وأكملت: "من السهل أن نكذب ومن السهل أن ننسج للناس سطورًا ليؤمنوا بها ولكن من الصعب دومًا نقل الحقيقة".

نفث آدم دخانه وهو ينظر إليها: "لننقل الحقيقة معًا يا نادين".

ابتسمت نادين وقالت: "نعم، لعلك حينها تؤمن بوجود النهايات!".

ضحك آدم ضحكة خفيفة وقال: "لنقول الحقيقة نحتاج إلى توثيق كل ما رأيناه فالوثائق التي نملكها لا تكفي...".

"ولكن كيف سنفعل ذلك؟ إن الحصول على عينة من اللقاح هي أمر مستحيل، فكما رأينا محاولة أخذ عبوة واحدة ستعمل على إغلاق المصنع وتوقف القطار عن الحراك، كما أن كل الأجهزة تتعطل بمجرد دخولنا إلى

هناك، فكيف لنا أن نوثق ما رأينا؟".

"الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها توثيق الأمور دون قلق... هي أن نقوم بتصوير كل شيء بواسطة كاميرا يدوية قديمة فلا يمكن لأي جهاز تعطيل الكاميرات القديمة".

"ومن أين سنحصل على شيء كهذا...".

"لا تقلقي لقد أوصيت على واحدة عبر موقع أمازون ومن المفترض أن تصلنا غدًا".

قالت نادين بتهكم: "إذن، تؤمن بالنهايات؟".

"بل أؤمن بحدسي".

كانت الأورروا لا تزال تموج فوقهما. تذيب كل الأمواج المنيرة في حناياها كما ذابت أفكارهما الهائمة فوق أرض فنلندا الباردة بصمت!

الفصل الرابع والثمانون

موقع الإحداثيات - فنلندا

كانت الحظيرة القديمة حيث اجتمع آدم ونادين مع لؤي آخر مرة لا تزال قائمة بوحشيتها وعتقها وأخشابها البالية وقشها القديم وحتى السلم العتيق عاد يستند إلى حائط الحظيرة المشقّق. سار آدم ببطء محاولًا الوقوف على الفتحة الحديدية التي كانت تتوسط الحظيرة ذلك اليوم. نزل أرضا ثم أزاح القش الجاف من فوقها ليفتح بابها الثقيل ولكن... لم تكن هناك أي فتحة في أرض الحظيرة! لا شيء سوى التراب!

قالت نادين منذهلة: "هذا مستحيل! أين المدخل المؤدي إلى القطار؟!".

نهض آدم حائرًا وقال: "أنا متأكد أنها كانت هنا، أليس كذلك؟".

"نعم بكل تأكيد".

"لنبحث جيدًا، ربما أخطأنا في تقدير المكان فلؤي هو من وجد الفتحة في المرة الأخيرة".

سار الاثنان في قلب الحظيرة ولكن لا شيء. كل الأرضية مصمتة بلا صوت تجويف.

هذا غير ممكن، الفتحة كانت هنا!

استدار آدم حوله وجد رفشًا قديمًا مرميًا بين الأعمدة المكسورة تناوله وعاد حيث وقف أول مرة وبدأ بالحفر. اقتربت منه نادين قائلة: "غير

معقول! في المرة الأولى كل ما احتجنا إليه إزالة القش والتراب ليس إلا".

"سنرى الآن..." مضى الكثير من الوقت وآدم يحاول جرف التراب والقش في المكان بينما قامت نادين بتناول فأس ملقاة على أرض الحظيرة وقامت بحفر المكان ولكن بلا فائدة... الحظيرة لا تحتوي على شيء! مجرد حظيرة قديمة مهجورة يعلوها التراب وبعض البقايا القديمة لقصة وهمية لا يزال يتداولها سكان المكان بأنها ملعونة. فمن يدخلها لا يخرج منها أبدًا! وها هم دخلوها وخرجوا منها وعادوا إليها ليجدوها تحمل حكاية جديدة؛ أرضية ترابية بلا أي معالم أخرى! وأما السؤال الذي يطرق رأسي نادين وآدم وبشدة الآن هو؛ من ذلك الذي يملك القدرة على محو نقطة انطلاق لقطار مغناطيسي بسرعة 800 كم / الساعة خلال أيام؟!

الفصل الخامس والثمانون

أهتاري - فنلندا

جلست نادين على حافة الأريكة الموجودة في كوخ الموتيل الخشبي، تنظر إلى الأرض المصنوعة من ألواح خشب متراصة بأطوال مختلفة. كانت تضرب قدميها فوق الأرضية الخاصة بالكوخ تستمع للصوت فكان صوت الخشب وحده يعود إليها بصمت! اقترب منها آدم وهو يحمل كأس ماء ساخن ليناولها إياه: "لن تنتقل الحفرة إلى أرضية الموتيل، فتوقفي عن ضرب قدمك بها".

شربت الماء الساخن برشفة واحدة! لم تشعر بسخونته فبرودة الأحداث من حولها جمدت حلقها.

"الحفرة كانت في الحظيرة...!"، قالت نادين بنبرة مشككة، ثم أكملت ضاحكة: "لن يخاف أهل القرية ثانية فلن يعود هناك من يدخل الحظيرة ولا يخرج منها أبدًا! لقد أتلفنا أسطورتهم التي كانوا يخيفون أطفالهم بها حتى لا يسترقوا لحظات الليل خلسة دون علمهم".

جثا الصمت بينهما ثقيلًا وآدم لا يزال يحدق إلى النافذة الباردة والتي تكثفت أنفاسه فوقها لتشوش الصورة المعكوسة من خلف الزجاج، ثم قال بصوت شارد: "إنها دقيقة واحدة... دقيقة واحدة تلك التي نحتاجها لنغير وجه الحقيقة... أليس هذا ما كنت تقولين؟".

تناول آدم اللاب توب الموجود على الطاولة الصغيرة أمامه وجلس

بجانبها وهو يفتح شاشته: "دقيقة واحدة ننشر فيها كل ما نملك من وثائق... وننهي المسألة".

ابتسمت نادين قائلة: "كيف؟".

"سنترك الوثائق تجوب حنايا شبكة الإنترنت، تغوص فيها، تمضي في عقول المارين على صفحاتها ومنصاتها الاجتماعية.. سنترك الأمر للناس يا نادين، فليصنعوا مصيرهم ولنكف نحن عن الدوران في حلقتنا المفرغة!".

ضغط آدم على زر الشاشة وبدأ يعمل بكد وتركيز عالٍ! أخذت الملفات المخزنة في ذاكرة الجهاز تنتقل بسرعة بين المصادر الإخبارية والمواقع تحت مسمى مصدر مجهول، كان يرسلها بطرقه الخاصة بحيث لا يمكن لأي أحد تعقبها أو معرفة مكان مرسلها ولا حتى هويته!

أما نادين فكانت تذرع الغرفة جيئة وذهابًا وهي ترسل رسائل صوتية معدلة الصوت ومجهولة المصدر تحمل وصفًا دقيقًا للحقائق التي رأوها تحت الأرض لكل الأطباء والعلماء الذين تعرفهم.

استغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة لنشر كل ما توصلا إليه عبر رحلتهما الشاقة تلك! أنهى آدم تسريب كل المعلومات وأرسلت نادين كل الرسائل. جلست بهدوء إلى جانب آدم الذي أقفل شاشة لاب توبه وأزال السماعات عن أذنيه ووضعها بلا اكتراث على الطاولة. كان الصمت يفصل بينهما بلا مفاهيم أو حتى شروحات، كان الصمت وحده فقط. تنهيدة عميقة خرجت من صدر نادين المثقل. ألقت برأسها على ظهر الأريكة بتعب. أغمضت عينيها، لا تشعر بشيء ولكن نبضاتها المتوترة لا تزال تنبض هناك في قلبها المنهك! نعم، هناك مصنع بالٍ تسير في حناياه لقاحات ذات مايكروشيب غير مرئية ولكنهم لم يصوروه... فهل حقًا سيصدق العالم بأنه يخضع للخديعة تحت مسمى الكورونا!

الفصل السادس والثمانون

أهتاري - فنلندا

كان ديفيد آيك يظهر بوجهه المعتاد والمثير للجدل فوق صفحات الإنترنت المختلفة يناقش محاوره بكل هدوء محاولًا شرح ما يمتلك من معلومات بينما جلس آدم يستمع لما يقوله عبر جهازه اللاب توب بتركيز:

"ثم يأتي السؤال.. ماذا يوجد في هذا اللقاح اللعين؟ وكما تعلم منذ بداية مقابلاتنا قلت أن اللقاح موجود فعلًا! إنهم لا يبحثون عن اللقاح فمحتوياته موجودة فعلًا ولكنهم يحتاجون بعض الوقت للحصول على المصداقية قبل أن يقدّموا للناس ما كانوا يملكون من البداية ويقولوا: اكتشفنا لقاحًا جديدًا.. وسأخبرك بشيء صادم، سيحتوي اللقاح على تكنولوجيا النانو والتي هي مايكروشيب صغير الحجم سيتم تصميمه لتغيير طبيعة جسم الإنسان ومراقبته......".

انقطع صوت ديفيد آيك من أمام آدم بعد أن نقل على صفحة إنترنت أخرى لمشاهدة موجة المظاهرات التي اجتاحت شوارع أوروبا وبالتحديد ألمانيا حيث تجمهر ما يقارب خمسة آلاف شخص في مدينة شتوتغارت يندّدون بنظرية المؤامرة والتي تنبع من خلال فرض لقاح إلزامي على السكان تحت حجة وباء كورونا!

أما الشرطة والإجراءات الأمنية فكانت على أشدّها، فمعظم الدول ترضخ لحالة الطوارئ بسبب الجائحة مما عرّض بعض الصحفيين الذين

يشاركون في الحدث للهجوم من قبل رجال الأمن.

وعلى سطور صفحة أخرى تداولت الأخبار تحذيرات الدكتور أنتوني فوتشي كبير خبراء الأمراض المعدية في أمريكا من أن اللقاح ليس علاجًا للجميع قائلًا: "نحن لا نعرف حتى الآن ما هي الفاعلية للقاح ولا نعرف ماذا ستكون؟". بينما في نفس الخبر كانت شركات الأدوية قد بدأت تتصارع على طرح أبحاثها المختلفة في تطوير اللقاح، فشركة فايزر حصلت على 1.95 مليار دولار لتطوير اللقاح بينما حصلت شركة أسترازنكا على 1.2 مليار دولار لنفس السبب. أما شركة موديرنا فدخلت في المرحلة الثالثة من التجارب السريرية التي يتم تطبيقها على ثلاثين ألف متطوع!

نعم، كانت دقيقة واحدة كل ما احتجناه لفضح المؤامرة.

أقفل آدم اللاب توب وتوجه نحو غرفة نادين وهو ينادي عليها ولكنه لم يجدها. خرج من الكوخ بحثًا عنها فلربما كانت جالسة على التراس الخشبي المطل على الغابة المقابلة لهم، ولكنها لم تكن موجودة. سار في قلب الغابة فالمكان لا يسمح لها بالابتعاد كثيرًا.

لتنعم ببعض الخلوة مع نفسها.

دخل آدم الكوخ ثم عاد ليفتح اللاب توب الخاص به ولكنه شعر بأنه اكتفى بكل ما سمع من أخبار بين موافق لنظرية المؤامرة ورافض وبين من يدّعي بأننا شعوب اعتدنا على الاضطهاد فأصبحنا لا نتقبل أي حقائق طبية أو أمراض، وبتنا ندرج كل ما نسمع تحت بند المؤامرة!

توجه إلى غرفته بحثًا عن علبة سجائره. بحث في أدراجه وعلى الرف. فتح الدرج الخشبي الكبير الموجود تحت المرآة ولكنه لم يجدها. توقف للحظات أمام الدرج الذي كان خاليًا من كل شيء حتى الكاميرا اليدوية التي طلبها من أمازون لتصوير المصنع!

الفصل السابع والثمانون

موقع الإحداثيات - فنلندا

استقل آدم سيارة أجرة ثم وصل إلى الحظيرة البالية العتيقة التي احتوت على محطة القطار ذات يوم. فتح بابها ودخلها بسرعة. وجد نادين تقف في وسط الحظيرة تحفر مكان الحفرة التي كان تحتها القطار بجنون. كانت تحفر بنهم متعطش مزق كل شيء فيها. كان شعرها مشعثًا ومملوءًا بالتراب ووجهها مغبرًا وثيابها ممزقة. كانت تحفر بلا وعي فالدماء التي انسابت فوق ذراعيها جعلت آدم يدرك أن نادين لا تحفر بل نادين تحاول اجترار الحقيقة من باطن الأرض ولو رغمًا عنها!

اقترب آدم منها محاولًا إيقافها فرفعت الفأس عاليًا دون أن تدرك أنه أمامها وما كادت الفأس أن تسقط بينهما حتى توقفت حينما أمسك آدم بقوة مقبض الفأس الخشبي وقال بعد أن تنفس بعمق: "كدت أن تقتليني".

أمسك الفأس التي كانت يداها تقبضان عليها بقوة وقال: "أعطني الفأس".

حاولت نادين رفع الفأس وهي تقول: "لا... عليّ أن أكمل الحفر، لقد اقتربت".

"أعطني الفأس يا نادين".

"لا... لقد شارفت على النهاية".

نزعت الفأس من يده وعادت تحفر. عندها أمسك آدم يديها بقوة

وقال بعصبية: "قلت لكي توقفي.. لن تجدي شيئًا".

حدقت نادين بوجهها المعفّر إلى آدم الذي كان ينظر إليها بصمت يشوبه الخوف. رمت الفأس جانبًا وسقطت أرضًا وهي تقول: "غير ممكن...". بدأت دموع نادين تتساقط فوق أرضية الحظيرة المكسوة بالقش وامتزجت بالتراب الذي يعتلي وجهها ليرسم خطوط ألم اعترت نفسها دون أن تلحظها فقالت: "غير ممكن أن تغيب حقيقة بكل هذا الحجم تحت التراب، فقط لأن الهواتف التي كنا نحملها قد تعطلت بمجرد دخولنا إلى المصنع هناك".

جلس آدم قبالتها قائلًا: "ولكن بعض الحقائق وصلت إلى العالم، فالكثيرون باتوا يتحدثون عن لقاح الكورونا وخاصية المايكروشيب الموجودة فيه".

رفعت نادين وجهها الممزوج بالدموع والتراب وقالت بنبرة متهكمة: "وهل أنت مقتنع بما فعلنا؟". ضحكت ثم أكملت: "إن ما فعلناه هو مجرد حياكة قصة خيالية جديدة كقصة سانتا كلوز وزيارته المنازل ليلًا حاملًا هداياه، فهل عمرك رأيته أو رأيت غزلانه؟ لقد أصبح كل ما أعلناه مجرد حكاية من حكايا أجدادنا التي كانوا يسردونها لنا قبل النوم!".

صمتت قليلًا ثم أكملت: "هل أنت راضٍ حقًا أن نكون مجرد حكاية يتداولها الناس في أحاديث أمسياتهم؟".

أجابها آدم: "لكن هناك بعض المؤمنين بالحقيقة".

اقتربت منه نادين بإنهاك بات واضحًا على جسدها الذي يسير بخطوات متهالكة نحوه: "أي حقيقة تلك! فأنت مبرمج وأنا طبيبة وكلانا نعلم أن لا حقيقة بلا أدلة، فكل ما بثثناه على صفحات الإنترنت مجرد

نظرية واهمة إن لم ندعمها بما رأينا. في الأمس قرأت مقالًا مفاده أن نظرية المؤامرة لفيروس كورونا مبنية على إلغاء العملة الورقية وتحويلها إلى عملة إلكترونية. تخيل! كل ذلك المصنع بما فيه تحول إلى نظرية عملة ورقية؟! وقبل أسبوع قرأت خبرًا آخر لأحدهم يدّعي أن فيروس كورونا ما هو إلا مؤامرة لتحقيق نظرية المليار الذهبي وقتل كل من في الأرض لإبقاء المليار النخبة القادرين على خوض الحياة بنشاط من جديد! أتتخيل هذا؟".

نزلت نادين إلى الأرض وأخذت تضرب الأرض بيديها المجروحتين وقالت: "تحت هذا التراب قطار يحملك إلى مصنع لقاحات بلمح البصر. تحمل كل حقنة فيه مايكروشيب سيحمل مصيرك الأبدي على هذه الأرض. كانت خطوط إنتاجه تسير أمامنا بكل بساطة حاملة كل تلك الأدلة والمعلومات لتصبح...". حملت حفنة من تراب بين يديها وقالت: "لتصبح حفنة تراب... أي جنون هذا الذي نحياه؟ هل خضنا كل هذا ليصبح ما عرفناه مجرد طرفة سمجة لا تستسيغها نفسي أبدًا؟!".

جلس آدم القرفصاء أمامها ورفع رأسها المشعث. "هل أنتِ حقًا غاضبة لأننا لم نثبت الحقائق بأدلتها القطعية؟ أم لأن كل ما حدث لا يمكن أن يُنسب إلينا فنكون ذلكما البطلين اللذين أنقذا العالم؟".

حدق إلى نادين بعد أن خيّم الصمت بينهما قليلًا وقال: "هل تبحثين عن الحقيقة؟ أم عن المجد الضائع يا نادين؟".

فأجابته نادين بمرارة "عن الاثنين يا آدم... فنحن لم نحمل أعمارنا على هاوية الموت بين ووهان وسنغافورة وفنلندا من أجل ألّا يعرف أحد أننا من حمل الحقيقة للعالم!... ولم ننحر أدمغتنا تفكيرًا لفك كل تلك

الألغاز بين لغة إنكا دفنتها القرون القديمة، ولغز سيكادا ابتكرته العصور الحديثة، حتى يخرج أحدهم ليقول أن هناك مايكروشيب سيكون في اللقاح ويصبح الشخصية الأكثر جدلًا في عصر الكورونا الزائف! ولم نفقد من أحببنا لنصبح مجرد أسطورة واهية كأسطورة هذه الحظيرة التي ترهب قلب السكان ليلًا فيطفئون فوانيسهم مدّعين النوم لطرد شبح المكان! فأنا وأنت وعلومنا وما رأينا تحت هذه الأرض... لا نؤمن بالأشباح".

صمتت نادين بغصة وقالت: "نعم، أريد أن يعرف العالم من أنا!".

تمعّن آدم في نادين التي جلست على الأرض منهكة، وجلس إلى جانبها بصمت. مرت الدقائق ثقيلة بينهما حينما قالت نادين بصوت متعب: "لا يمكن لقطار بضخامة وتطور القطار الذي ركبناه أن تكون محطته الوحيدة هي هذه الحظيرة! ألا تعتقد أنه علينا الحفر في الحظائر الأخرى أو حتى خارج الحظيرة؟".

كان آدم يتفحص نادين بنظرات كلها دقة كمن يعمل على لوحة جهاز إلكتروني ثم قال وهو يحدق إلى سلسال الكارتيير المعلق في عنقها: "نعم غير ممكن!.. غير ممكن أن يكون للقطار وجهة واحدة أبدًا. فباب الغرفة الخرسانية الحديدي فتحه المايكروشيب، ورحلة القطار السريع انطلقت بواسطة المايكروشيب... لذا لا بد أن هناك خريطة كاملة لكل منافذ القطار ومحطاته في قلب المايكروشيب المعلقة في عنقك الآن".

نزعت نادين السلسال بقوة ووضعته بكفها وتأملت فيه بصمت مطبق. هل يعقل أنها كانت تحمل مفتاح المحطة التالية فوق عنقها طيلة تلك المدة وهي لا تعلم؟!

الفصل الثامن والثمانون

أهتاري - فنلندا

أخذت نادين حمامًا ساخنًا وأزالت كل ما علق فيها من تراب وإنهاك وتعب، كان عليها أن تكون حاضرة الذهن عندما يقومون بفتح المايكروشيب الذي تركه لؤي، نظرت في المرآة قبل أن تغادر الحمام. ارتسمت على ملامحها ابتسامة رضا لأنها لم تتخلص من المايكروشيب ذلك اليوم.

أما آدم فكان يجلس على الطاولة وقد قام بفكفكة اللاب توب وحاول أن يرفع لوحة المفاتيح عنه ليصبح مكشوفًا بالكامل أمامه، فقالت نادين مندهشة: "ماذا تفعل؟".

أمسك آدم بلوحة المفاتيح بين يديه بهدوء وأخذ نفسًا عميقًا وقال: "عندما أعمل على أمر بغاية الدقة كهذه ليتك تخفضين صوتك عند السؤال، كدت أسقط اللوحة من يدي".

"ألن يتلف الجهاز؟".

لم يجبها عن سؤالها ثم وضع اللوحة جانبًا ليصبح اللاب توب عاريًا أمامه بلوحاته وقطعه وكل ما يحتوي في داخله. كان آدم قد أخرج قطعة المايكروشيب الصغيرة من الأنبوب الزجاجي ذي الربع إنش طولًا وقال "المايكروشيب الموجود داخل الأنبوب أصغر من ربع إنش.. لذا عليّ تركيبه على جهاز اللاب توب مباشرة حتى يتم قراءته". صمت قليلًا

وهو يحمل قطعة المايكروشيب الصغيرة جدًّا بملقط معدني محاولًا أن يحملها بكل حذر حتى لا يفقدها أو تسقط من يده.

كان آدم يعمل بدقة وتركيز عاليين ما جعل العرق يظهر على جبينه رغم برودة المكان. بدأ يقرب المايكروشيب إلى قطعة قارئ الذاكرة الموجودة في اللاب توب بالتدريج. أنزلها ببطء. وضع مسننات المايكروشيب النحاسية الصغيرة في فراغات قارئ الذاكرة الصحيحة. ثبّت المايكروشيب في قطعة القارئ ثم حمل لوحة المفاتيح وأخذ يعيدها ببطء إلى مكانها بحذر. اللوحة أصبحت ثابتة تمامًا.

كان الجهاز يعمل على فك تشفير المعلومات التي في المايكروشيب. شعرت نادين بنبضات قلبها في جوفها، هل حقًّا سيحمل هذا المايكروشيب ما لم يستطيعوا توثيقه أم أنه وهم جديد يتعلقان به هي وآدم؟!

قالت نادين بنبرة شاردة وهي تنتظر تحميل الملفات: "هل فكرت يومًا ماذا سيكون حال العالم بعد هذه الجائحة؟".

قال آدم وهو ينظر إلى الجهاز: "كل ما أعرفه أنه لن يعود كما كان..".

"آدم..". تلفت آدم نحوها حينما شعر بنبرة صوتها القلقة: "هل ستقبل بالحقن باللقاح إن تم فرضه على العالم؟".

"لا..".

"وماذا إن أصبح وجوده عبارة عن ختم وإن لم يكن جواز سفرك أو هويتك مختومًا به فلن تحيا حياتك على طبيعتها؟".

"لن أحقن نفسي باللقاح..." أجابها آدم الذي صمت حينما بدأت الملفات تظهر أمامه واحدًا تلو الآخر ولكن عينيه هو ونادين لم تعلقا إلا بملف واحد (الحالة صفر كورونا)!

أيعقل أن يكون هذا الملف يحمل في حناياه تفاصيل الحالة صفر التي نقلت وباء الكورونا للعالم فعلًا؟! أم أنه مجرد عنوان لملف يحتوي على أمور أخرى تتعلق بفيروس (كوفيد – 19) الغامض؟ نظرت نادين إلى آدم بذعر، كانت تتلفح بوشاح صوفي عدّلته فوق أكتافها ثم سحبت كرسيًا خشبيًا وجلست بجانبه وهو يضع أصابعه فوق الجهاز ليوجه مؤشر اللاب توب على الملف ليفتحه فأمسكت كفه فجأة وقالت: "انتظر....".

"ما بك؟".

"لا أدري ولكنني..."، كانت أنفاس نادين تتسارع وهي تقول "أشعر بالخوف؟".

نظر آدم إليها. وضع كفها جانبًا وضغط على الملف. فُتح الملف ليظهر داخله مقطع لفيديو بلا عنوان فقط الرقم صفر. ضغط عليه ليعمل وفجأة سقط الوشاح عن كتفي نادين التي تشنجت أوصالها أمام الشاشة أما آدم فلم يكن يصدق ما يرى... إنه فيديو الحالة صفر لوباء الكورونا فعلًا!

كان الفيديو لا يتجاوز الدقيقة، حيث تظهر فيه سيدة صينية مغشىً عليها يتم جرّها من قبل خمسة أشخاص معالم وجوههم اختفت خلف الغطاء الواقي لبدلات مختبرات المستوى الرابع للفيروسات! المكان حولهم بارد محاط بالثلج فقط! والطائرة الهيلكوبتر تكاد تثير عاصفة ثلجية من حركة مراوحها! حاول أربعة رجال سند السيدة بينما قام الخامس باستخراج حقنة عادية لا تحتوي على أي شيء مميز. رفع كم ثيابها وقام بحقنها ببطء. ألبس السيدة كمامة واقية ووضعها في الطائرة. كان قائد الطائرة يرتدي بدلة واقية مثلهم تمامًا! كانت السيدة غائبة عن الوعي. مستلقية في الكرسي الخلفي للطائرة. لا تدري ماذا حصل لها؟ ولكنها بكل

تأكيد كانت هي الحالة صفر على هذه الكرة الأرضية لوباء الكورونا! نعم، فيروس (كوفيد – 19) لم يكن مجرد وباء عادي صنعته الأرض لتدافع عن رمقها الأخير... بل كان إعلانًا لحرب جديدة. لعالم جديد. لحقبة جديدة ستسمى حقبة ما بعد الكورونا! وإن كانت بؤرة الكورونا الأولى هي ووهان فمن أين ظهرت هذه السيدة؟! الثلج المحيط بها لا يوحي أبدًا إنها في ووهان! فهل هي هنا في فنلندا؟ أم في ألاسكا؟ أم النرويج؟ أم في منطقة ما بعيدة في حنايا إحدى الدول القابعة على هذه الأرض!

الفصل التاسع والثمانون

لندن - بريطانيا

كان رتزل يجلس على كرسيه الوثير المخملي يحتسي كوبًا من الشراب وهو يستمع لموسيقى باخ (إف ماينر لارجو) وشاشة التلفاز الـ LD التي أمامه تعرض مدن العالم كلها وهي في حالة حجر كلي شامل بسبب الوباء. كان صوت المقطوعة يتناغم مع اللقطات المتناقلة من مدينة لأخرى والأرض تحمل على متنها كل شيء عدا البشر!

كانت المقطوعة جميلة لذا لم تغب عن باله منذ أن شغّلها لؤي تلك الليلة حينما كلّمه من سنغافورة.

عليك أن تشكرني يا لؤي حتى وأنت في السماء... لأنني منحتك الحرية المطلقة من عبودية الأرض.

دخل خوليو فجأة فقال رتزل: "ألم تسمع بما يُسمى طرق الباب أولًا يا خوليو؟".

"الأمر طارئ يا سيدي".

أمسك رتزل جهاز التحكم بالموسيقى وخفض الصوت قائلًا: "ماذا هناك؟".

قال خوليو بنبرة يشوبها القلق: "المايكروشيب يا سيدي...".

"أي مايكروشيب؟".

"المايكروشيب الذي كان مزروعًا في كف البرفسور لؤي... لقد تم فتحه منذ لحظات".

وضع رتزل كوب الشراب جانبًا بعصبية ليعلم حينها أن شبح لؤي بموسيقاه لا يزال يطارده حتى بعد موته فملف الحالة صفر أصبح بيد من فتح المايكروشيب وبات عليه البدء من جديد!

الفصل التسعون

أهتاري - فنلندا

أعاد آدم مقطع الفيديو الذي رآه عدة مرات. لم يتذكر كم مرة أعاد مشاهدة المقطع ولكنه بكل تأكيد تجاوز السبع مرات وربما العشر، فالوقت لم تكن دقائقه معدودة والزمن في تلك اللحظات كان بلا قيمة، بل شعر لوهلة أن كل شيء بات بلا قيمة!

كسر آدم حاجز الصمت وهو يتناول سيجارة بشرود مطلق ويشعلها بلا تركيز. عيناه غائرتان أمام شاشة اللاب توب لا تريان شيئًا أبدًا ولا حتى فيديو الحالة صفر من الكورونا!

"هذا يعني أن الوباء لم يبدأ من ووهان بل لم يبدأ من الصين كلها!" قال آدم بنبرة غير واعية.

"هذا يعني أن فيروس (كوفيد - 19) من صنع البشر بل جائحة الكورونا هذه كلها هي مجرد متاهة زائفة من صنع أحدهم! ولكن..". صمتت نادين وهي تحدق إلى آدم الشارد بغموض مطلق أمام الشاشة "من المستفيد الأول من وراء كل ما يحدث؟ من له المصلحة العليا من كل هذا؟".

قال آدم وهو ينفث الدخان بخواء: "كثر... ولكن السؤال الأكثر دقة من سيمتلك الجرأة ليعلن أنه المسؤول الأول عن كل هذا؟". صمت آدم للحظات ثم استدار نحو نادين وقال "أتعتقدين أن هناك أي دولة في العالم قد تعلن مسؤوليتها عن هذا الأمر لو تم كشفه؟! وإن تم فعلًا كشف ما

حدث بالكامل وأعلنت أي دولة مسؤوليتها عن هذه الكارثة، هل تعلمين حجم الدمار الذي ستقبل عليه الأرض؟ فما حدث هنا في هذا المقطع ما هو إلا حرب من نوع متطور!".

وقفت نادين قبالة آدم فقد شعرت بأن عظامها تصلبت من شدة تشنجها وتوتر أعصابها مما شاهدت وتساءلت بنبرة حائرة: "أتعتقد أنه علينا تسريب الفيديو كما فعلنا بباقي الوثائق؟".

صمت آدم طويلًا قبل أن يجيب "لا، فالفيديو لا يعتبر دليلًا لأي شيء".

"إنه الحالة صفر للكورونا فما هو الدليل الأكبر من هذا؟".

"غير كافٍ، إنه مجرد مقطع من فيديو لامرأة مخدرة يتم حقنها ورميها داخل طائرة! أتعتقدين لو تم بث الفيديو سيصدق أحد أن هذا حقيقي؟ إذا كان هناك وثائق مثبتة تم تسريبها وأصبحنا مجرد حكاية مسائية كما قلت! ففيديو كهذا ماذا سيفعل؟ سيحولنا إلى منتجين رائعين في عالم السينما ذات الخيال العلمي! سيعتقد الجميع أنه مجرد مقطع من فيلم سينمائي لا أكثر، فالفيديو لا يحتوي على أي دليل واحد أو علامة أو حتى إشارة توحي بأنه حقيقي".

صمت آدم قليلًا ثم قال مفسرًا: "حتى أنا وأنت ما يجعلنا نصدق أنه حقيقي وثوقنا التام بأن لؤي لم يزرع هذا المايكروشيب في باطن يده واحتفظ بهذا الفيديو فيها عبثًا..." نفث دخانه في الهواء وقال: "هل كنت ستصدقين لو عرضته عليكِ فجأة؟".

هزت نادين رأسها بالنفي ثم قالت: "أنت محق بكل ما قلته لذا أعتقد أن علينا التريث والتفكير جيدًا بالخطوة القادمة". صمتت نادين ثم اقتربت

من شاشة اللاب توب قائلة: "لؤي لم يكن يحمل هذه المايكروشيب فقط لأنه يحمل هذا الملف الصادم، بل هو كان يحمل كل شيء، لذا لا بد أن بين كل تلك الملفات التي حُمّلت على الجهاز ما يمكن أن يقودنا للخطوة التالية".

أطفأ آدم سيجارته وأزاح كرسيه مقربًا إياه باتجاه الشاشة. بدأ بمحاولة فك ملفات المايكروشيب. كان آدم يعمل بسرعة لم تعهدها نادين أبدًا. فشغف آدم وجنونه وعبقريته ظهرت من بين أصابعه التي كانت تتحرك بسرعة فوق لوحة مفاتيح اللاب توب، تنتقل من أمر لآخر لتفتح ملفًا تلو الآخر. شعرت نادين بأن الوقت مضى سريعًا جدًّا وآدم يعمل على الملفات، ولكنها لم تكن تعلم أنه مرت ساعات، فأصابع آدم المهووسة سرقت الوقت وهي تحاول فك كل ما وقع تحت يدها من ملفات.

كان آدم لا يزال ينظر إلى الشاشة ويعمل بنفس السرعة حينما قال: "كل الملفات الموجودة هي ملفات نظام ذات برمجة خاصة لمفاتيح رقمية... أي كود رقمي لا يعمل ولا يمكن حتى قراءته إلا إذا مر فوق الماسح الخاص به كذاك الموجود عند البوابة الحديدية تحت الحظيرة".

"إذن لا فائدة من كل هذه الملفات إذا لم تحتوِ على خريطة القطار؟ أيعقل أن يكون لؤي زرع هذا المايكروشيب في يده فقط من أجل بضع أرقام وفيديو الحالة صفر؟!".

نظر آدم إلى الشاشة بينما وتيرة حركة أصابعه السريعة بدأت تقل حينما قال بفضول: "هناك ملف واحد غريب مختلف عن كل الملفات.. مشفر بدقة عالية بحيث لا يمكن الولوج إليه بسهولة".

"وهل ستستطيع فك التشفير؟"، تساءلت نادين بنبرة حذرة.

ابتسم آدم وقال بنبرة مستهجنة: "أستطيع! لقد فككته".

اقتربت نادين منه بسرعة وقالت: "ماذا يحمل؟ هل يحمل الخريطة لحركة القطار المغناطيسي؟".

استدار آدم نحوها وقال: "ليس هناك أي خريطة لحركة القطار يا نادين! إنه مجرد ملف يحمل عنوان..." نظر نحو الشاشة وأكمل قائلًا: "مذكرات الأدميرال ريتشارد بيرد".

قالت نادين بنبرة متعجبة "ماذا؟!".

اقتربت نادين من الشاشة وقالت: "أحقًا هذا هو الملف المشفر؟!".

"نعم..." أشار آدم لها على الشاشة وقال: "ها هو... مذكرات الأدميرال ريتشارد بيرد ومكون من ملفين: مذكرات ريتشارد بيرد الجزء الأول، مذكرات ريتشارد بيرد الجزء الثاني".

"وما أهمية مذكرات الأدميرال ريتشارد بيرد لتُحاط بكل هذه السرية؟".

"ما هي هذه المذكرات أصلًا؟".

"إنها مجرد مذكرات قديمة لعميد بحري أمريكي كان له عدة رحلات مختلفة للقطبين الشمالي والجنوبي ليس إلا... ثم إن هذه المذكرات تملأ صفحات الإنترنت ويسهل الوصول إليها في كل مكان حتى باتت بالية فلِمَ كل هذه السرية؟!".

"لا أدري... ولكن على ما يبدو أنها كانت تعني للؤي وديفيد الكثير!".

حدقت نادين إلى الملف والحيرة تغلف كل عقلها فما الذي يجعل مذكرات عتيقة كُتبت في أربعينيات القرن الماضي مهمة لدرجة أن يحتفظ لؤي بها في مايكروشيب تحت جلده!

الفصل الحادي والتسعون

أهتاري - فنلندا

ما الهدف من وجود مذكرات ريتشار بيرد في كف لؤي؟ وما علاقتها بكل ما يحدث؟ فوجودها بالمايكروشيب يعني أن لها علاقة جدية بكل ما مروا به، فلؤي الذي تعرفه نادين لا يمكن له أن يحمل ملفًا عبثيًا بلا هدف.. فما هو الهدف إذًا؟

قال آدم وهو يفتح الملف الذي أمامه: "ماذا تعرفين عن هذه المذكرات؟".

"لا أدري ولكنها مذكرات عادية، فريتشارد بيرد هو عميد بحري أمريكي ذاع صيته في العشرينيات وذلك بسبب رحلاته الاستكشافية المهمة للقطبين الشمالي والجنوبي. توفي في الخمسينيات ولكن شهرته الواسعة هذه لم ينلها إلا بعد أن نشرت ابنته مذكراته السرية على الإنترنت بعد وفاته".

حمل آدم كرسيه الخشبي وجلس قبالتها وهو يمسك بظهر الكرسي قائلًا: "وما السر الذي تحمله هذه المذكرات حتى تُزرع في كف لؤي؟".

لم تكن مذكرات ريتشارد بيرد نالت شهرتها تلك لأنها مجرد رحلات استكشاف عادية كما يعتقد آدم. فالمذكرات السرية كانت تحمل حقائق قد تغير مفهوم الأرض بكل تفاصيلها، لذا قامت جمعية Hollow Earth الواقعة في أنتاريو في كندا بطباعتها ونشرها توضيحًا للحقيقة المخفية بين سطورها والتي تتحدث عن تجربة الأدميرال ريتشارد بيرد غير الاعتيادية في القطب

الجنوبي عام 1956. حينما حلق بطائرته ودخل من فتحة في القطب الجنوبي ليجد نفسه يطير في جوف الأرض على ارتفاع شاهق وتحته مدن وقرى يوجد بها حيوانات وأشجار وبشر وحضارة أخرى مختلفة تمامًا عما فوق سطح الأرض تدعى أجارثا (Agartha)!

فتحت نادين الملف الموجود في اللاب توب لتتأكد هل حقًّا يحتوي على مذكرات الأدميرال أم أنه يحتوي على بعض المعلومات فقط؟ وما أن فتحته حتى ظهرت أمامها بضع سطور مختصرة من المذكرات! هي لا تذكر تفاصيل المذكرات ولكن تعلم جيدًا أن مجلدًا كبيرًا كمذكرات الأدميرال ريتشارد بيرد لا يمكن اختصاره ببضع سطور! قام آدم بإشعال سيجارة، غير مقتنع أبدًا بما يقرأ ولكن لم يعلم لماذا يقرأ!

الساعة 9:55 نحن على ارتفاع 2950 قدمًا والاضطرابات قويه جدًّا في طائرتنا.

الساعة 10:00 غريب! إننا نرى غابات هنا! ينبغي أن توجد الجبال المتجمدة والثلوج فقط.. إني لا أصدق؟

الساعة 10:05 إن ارتفاعنا الآن 1400 قدم، النور يبدو مختلفًا وغريبًا هنا، ونحن لا نرى شمسًا! أرى فيلًا... لا إنه حيوان يشبه الفيل.. نعم، إنه يشبه الفيل!

الساعة 10:30 درجة الحرارة الخارجية 74 فهرنهايت!

الساعة 11:30 نحن نرى شيئًا.. إنه ميناء مدينة.. نعم إنها مدينة، هذا مستحيل؟

ابتسم آدم وقال وهو ينفث دخان سيجارته: "كم هو درامي في سرد الأحداث؟!".

كانت نادين تقلب الملف محاولة فهم ما قرأته وما هو تحديدًا، ولكنها لم تستطع ربط أي شيء مما قرأته بكل ما مروا فيه.

لماذا كنت تحتفظ بهذا الملف العادي في باطن كفك يا لؤي؟! ولماذا هذه السطور من المذكرات تحديدًا؟!

شردت نادين قائلة كمن يكلم نفسه: "هناك حلقة مفقودة في كل هذا!".

قال آدم "لا أعتقد أن للأمر علاقة بما نحن فيه، ربما كان له علاقة بأمر يخص لؤي تحديدًا ولكن لا يمكن أن يكون له علاقة بفيروس (كوفيد – 19)".

فتحت نادين الملف الآخر لمذكرات الأدميرال ريتشارد بيرد، لتجد فيه فقرة أخرى من مذكراته والتي كتبها الأدميرال سردًا بلا توقيت قائلًا:

رأيت رجلًا، علامات طول السنين محفورة على وجهه جالسًا إلى طاوله طويلة، رحب بي ترحيبًا حارًّا وقال: لقد بدأ اهتمامنا بكم بعد انفجار أول قنبلة نووية فوق اليابان في هيروشيما ونغازاكي وهذا في أبان الحرب العالمية الثانية! ولتعلم أن ثمة عاصفة سوداء هوجاء تتجمع فوق العالم الذي تعيشون فيه، وهي آتيه إليكم ولن تذهب لسنوات طويلة. لن يكون حلّها في الأسلحة! كما لن تكون علومكم الخاصة بكم في أيديكم حينها! فالحروب ستدوس على كل ما تحملون من ثقافة وعلوم. أما هذه الحروب الأخيرة التي حدثت في عالمكم فليست سوى البداية لما هو لم يأتِ بعد! فالأرض ستصبح في فوضى عارمة، وسيهلك الكثير من بني جنسكم! وعندما يأتي ذلك الزمان ستعلمون أنه لا جدوى للحروب! وسنعود لكم بعلومنا لمساعدتكم!".

ازدادت حيرة نادين وهي تقرأ هذه الفقرة من مذكرات الأدميرال، وقالت لآدم بنبرة متشككة: "غير ممكن! هذه الفقرات المقتصة من المذكرات غريبة وكأنها رسالة سرية غير مفهومة المعالم! هل أنت متأكد أنه لا ملفات أخرى؟".

توجه آدم نحو الشاشة والسيجارة لا تزال عالقة في فمه. عاد يعمل على برمجة باقي الملفات لعله يجد شيئًا ما يساعدهما على ربط كل ما قرءا من معلومات. كان يعمل سريعًا رغم الدخان المتصاعد أمام عينيه ليحجب الرؤية من أمامه وفجأة قال: "هناك ملف آخر بلا عنوان... ولكن بنفس طريقة التشفير التي كانت تحمي ملفات المذكرات تلك".

اقتربت نادين وقالت: "هل من الممكن أن تكون خريطة القطار التي نبحث عنها؟".

"ربما...".

فتح آدم الملف باحثًا عن خريطة القطار أو حتى نقاط توقفه فقط. ولكن بدلًا من ذلك وجدوا فقرة جديدة غير تابعة للمذكرات كُتب فيها:

وقع حدث غير عادي في عام 1999، ولكن الأخصائيين فقط هم من أعطوه الاهتمام الكافي. لقد أظهرت بحوث الرحلة الاستكشافية لقارة أنتاركتيكا اكتشاف فيروس هناك، وهذا الفيروس لا أحد يمتلك حصانة له، لا الحيوانات ولا البشر! ولكن أنتاركتيكا بعيدة جدًّا لذا لن يكون الفيروس بتلك الخطورة.

توم ستارميروي من جامعة نيويورك يعتقد بأن البشرية لا تعرف ما قد تواجهه في القطب الجنوبي بسبب الاحتباس الحراري، فربما تندلع كارثة على الأرض لا يمكن تصديقها! فالفيروسات هناك محمية بغطاء من

البروتين يعمل على إبقائها على قيد الحياة حتى في الأرض دائمة التجمد، لذا ما إن تبدأ درجة الحرارة بالارتفاع ويصبح المكان أكثر دفئًا حتى يبدأ الفيروس بالتكاثر فورًا.

قلبت نادين الملفات، وقرأت كل ما فيها عدة مرات. كانت تدون كل ما تجده مهمًا أو يساعدها على ربط الأحداث. أدركت أنه لا وجود أبدا لأي خريطة لذلك القطار المجنون الذي ركبوه سوية تلك الليلة، لذا كان عليها البحث مجددًا في ما يحمله المايكروشيب من فقرات مفككة كلوحة تركيب تنقصها القطعة الأخيرة. كان آدم يجلس بجانبها قائلًا وهو يحاول ترتيب كل ما أمامه من معلومات: "مذكرات عن القطب الجنوبي وسكان تحت الأرض، نبوءة أولئك السكان للفوضى التي نحيا بها الآن، وفيروس مميت في....".

صمت آدم قليلًا ثم قال لنادين: "افتحي فيديو الحالة صفر".

"لماذا...؟".

مد آدم يده نحو الجهاز الذي كانت نادين تتأبطه منذ أن جلست لتقرأ المذكرات وكل ما ورد فيها. فتح فيديو الحالة صفر. حدق إليه ثم أعاده ثانية. توقف للحظة عند الثانية الأولى؛ مكان خالٍ من كل شيء عدا الثلج المتراكم بشدة في الأرجاء حتى ضاعت تفاصيله. شغّل الفيديو ثانية. توقف عند الثانية الخامسة؛ السيدة الصينية تجر بثقل بين الرجال الخمسة المغلفين بثيابهم الواقية!

كيف ظهروا وسط هذا الثلج؟

شغل آدم الفيديو مرة أخرى ثم توقف عند الثانية السادسة والثلاثين؛ الرجال تغرق أقدامهم في الثلج الذي يقفون عليه حتى بات الثلج قريبًا من ركبهم!

إنهم يغوصون في الثلج... الثلج ذو سماكة عالية!

أنهى آدم الفيديو وحدق إلى نادين بنظرة مذهولة لم ترها أبدًا فقالت: "ما بك؟".

قال آدم بنبرة مصدومة: "الحالة صفر تم حقنها بالفيروس في القطب الجنوبي يا نادين... لهذا ترك لنا لؤي مذكرات الأدميرال!".

لم يكمل آدم جملته حتى سقط هو ونادين مغشيًا عليهما فوق الأرض، دون أن يعلما أن هناك غازًا كان يتسرب ببطء من بين شقوق الغرفة الخشبية التي يقطنانها وهما يتوصلان لحل القطعة الأخيرة من الأحجية!



الفصل الثاني والتسعون

القطب الجنوبي (أنتاركتيكا)

استيقظت نادين على صفعة من هواء كاد يمزق وجهها من شدة برودته. أما آدم فكان يفتح عينيه ببطء محاولًا استجماع الصورة التي أمامه. كان الصوت حوله عاليًا جدًّا لدرجة لا يكاد يسمع فيها نداءه لنادين التي نادى عليها بكل قوة ولكنها لم تتلفت نحوه، فهل كانت تسمعه أم أنه لا يتكلم؟! كان الاثنان يحاولان استجماع قواهما والطائرة الهليكوبتر ذات طراز لوكهيد المطورة تحاول الهبوط بهما في مكان واسع لا يشعران به سوى بالبرد القارس. فهما لم يعلما كم مضى عليهما من أيام وهما فاقدا الوعي.

بدأت نادين تسمع صوت آدم الضعيف وهو يناديها قائلًا: "هل أنت بخير؟".

هزت رأسها بنعم وقالت بصوت منهك: "ماذا حدث؟".

"لا أعرف... ولكنها على ما يبدو مروحية تهبط بنا في مكان ما".

وما أن أكمل جملته حتى كانت المروحية ترتطم بالأرض معلنة وصولها. حاول كل من آدم ونادين الوقوف بتوازن في الطائرة ليخرجا منها بخطوات ثابتة، ولكن ذلك الدوار اللعين الذي يغلف رأسيهما يمنعهما من الوقوف. جسداهما يترنحان بصمت ولا تزال الصورة أمامهما غير واضحة. اقترب قائد الطائرة من آدم ومساعده من نادين. رفع مساعد

الطائرة كم الجاكيت الثقيل الذي تلبسه نادين وأخرج حقنة من جيبه. صرخ آدم المشوش الذهن بصوت ضعيف "إياك أن تقترب منها...".

ولكن تهديد آدم الواهن لم يعر المساعد أي اهتمام فقد كان باردًا وجامدًا في تصرفاته كبرودة المكان المحيط بهم. رفع ذراع نادين التي لا تزال هائمة بين الوعي واللاوعي محاولة فهم ما يحدث. حاولت المقاومة ولكن جسدها كان أضعف من أن تقاوم. غرس المساعد الحقنة في يدها وفي تلك الأثناء لم يشعر آدم القِلق بالحقنة التي غرست في ذراعه هو أيضًا! كان قائد الطائرة ومساعده يقفان بهدوء خارجًا تاركين نادين وآدم يجلسان بثقل فوق مقعدي الطائرة الخلفيين.

بعد مرور بعض الوقت اقتربا من نادين وآدم وحاولا إخراجهما من الطائرة. شعر آدم ونادين بتدفق الدماء في عروقهما من جديد فعلى ما يبدو أن ما حقنوا به قد مد جسديهما بالطاقة حتى باتا يقويان على حمل أنفسهما. الصورة أمامهما خلت من أي غمامة تُضعف الرؤية. لقد باتت واضحة تمامًا! أما عقلاهما فقد انتقلا إلى مرحلة وعي تام، وعي جعلهما يتأكدان أنهما قد شاهدا هذا المشهد مسبقًا! نعم لقد شاهداه جيدًا حتى بات محفورًا في ذاكرتهما وخصوصًا آدم. هذا صحيح.. إنهما يقفان بجانب المروحية ذاتها، وفي نفس المنطقة حيث كانت تلك السيدة الصينية تُجر بثقل بين الرجال الخمسة! إنهما في القطب الجنوبي!

كانت الأرض باردة شاسعة يكسوها الثلج على امتداد البصر حتى غابت معالم الحياة فيها تحت لونه الأبيض الناصع الذي يبعث على الخوف بدلًا من الطمأنينة.

لم أشعر بأن الثلج مخيف يومًا كما أراه الآن!

سار آدم بجانب نادين خلف قائد الطائرة ومساعده اللذين كانا يتقدمانهما بخطوات ثابتة رغم كثافة الثلج العالية التي جعلت نادين تفقد توازن خطواتها فوقه. فالثلج كان عاليًا لدرجة شعرت نادين أنها تغوص فيه. شمس القطب كانت رغم سطوعها وأشعتها المنبعثة توحي بالبرود. شمس باردة خالية المعالم مخيفة إلى درجة تبث القشعريرة في النفس. شمس لا تمنحك نهارًا جديدًا بل خوف مطلق! فكم مرعب هو شعور الفراغ!

أمسك آدم بذراع نادين ليسندها وهي تسير بخطواتها المتعثرة وقال بصوت مرتجف من البرودة الشديدة للمكان: "لا يبدو القطب أبدًا كما وصفه الأدميرال!".

سارت نادين وهي صامتة بجانبه وفجأة توقف الجميع أمام بوابة خرسانية موحشة في خلاء القطب الأبيض لونها الرمادي الأجرد يمحو كل صفاء الثلج المحيط. كانت مجرد بوابة مخفية بكوم من الثلوج فوقها قد تختفي لو اشتد هطول الثلوج يومًا فتصبح كالقطار مجرد رحلة واهية تحت أرض حظيرة!

وقف آدم ونادين أمام البوابة بمزيج من المشاعر المتناقضة فالبوابة ضخمة لدرجة جعلت آدم ونادين يبدوان كحجري نرد على لوح ألعاب! لم يستطيعا تفسير مشاعرهما المتلاطمة في تلك اللحظات بين خوف ودهشة وربما بعض الراحة رغم المصير المجهول! فهل حقًا باتا على مشارف النهاية؟ اقترب قائد الطائرة من الباب، مرر وجهه أمام ماسح معلق على البوابة الخرسانية العالية. فتحت البوابة للأعلى تدريجيًا ثم دخل الجميع. كان خلف البوابة أنبوب خرساني ضخم عميق ذو قطر دائري كبير

تمتد الأضواء فيه بلونها الأزرق فقالت نادين بنبرة مندهشة لآدم وهي تسير خلف قائد الطائرة ومساعده اللذين لم ينطقا بكلمة واحدة منذ وصولهما: "إنه يشبه محطة القطار المغناطيسي تمامًا ولكن بلا سكة".

"نعم..." أجابها آدم وهو يجول بنظراته في المكان بصمت. سارا طويلًا ولم يعلما كم طول المسافة التي قطعاها ليصلا فجأة إلى مجموعة من الأدراج الإلكترونية التي تلتف حول بهو عميق تشعر بأنه لا نهاية له، وكأنك إن تبعت سلالمه الإلكترونية تلك لا بد وأن يوصلك إلى نهاية الأرض، فهو حقًا مظلم وعميق جدًّا!

نزل الجميع على السلالم التي كانت تسير بهم وحدها بتلقائية. لم يكن حولهم سوى السلالم وصوتها الآلي الهادئ، على ما يبدو أن ريتشارد بيرد لم يكن يحلم، فها هي درجة حرارة المكان تعلو ولربما هي الآن 74 درجة فهرنهايت كما شعر! نادين بدأت تشعر بالحر وخلعت معطفها الثقيل لتضعه فوق ذراعها! كانت السلالم تنزل بهم إلى اللانهاية، كحلقة مفرغة تدور بهم. وما أن توقف قائد الطائرة ومساعده حتى استدارا نحو مصعد زجاجي دخلاه وأشارا لنادين وآدم أن يتبعاهما.

كانت سرعة نزول المصعد توحي بأن المسافة التي قطعاها في هذه الثواني ليست بالقريبة أبدًا! فأين هما الآن؟!

أما زلنا في القطب؟!

التصقت نادين بآدم نوعًا ما مبتعدة عن الرجلين غريبي الأطوار القابعين معهما في المصعد وقالت بنبرة خافتة: "لماذا نتبعهما؟".

قال آدم مستنكرا: "وهل نملك خيارًا آخر... اهدئي الآن فلا وقت للتفكير بهوامش الأمور".

شعرت نادين بأن سؤالها كان أحمق. ولكنه القلق على ما يبدو الممزوج بالأدرينالين هو ما جعلها تنحيّ عقلها جانبًا وتتبع حاسّتها الممزوجة بالخوف. انفتح المصعد لتجد نفسها هي وآدم أمام عالم كامل متكامل تحت الأرض! قاعدة كبيرة جدًّا تعمل كخلية نحل لا تتوقف عن الدوران كما هو حال الأرض فوق الآن!

قالت نادين بنبرة مندهشة: "ما هذا المكان؟!".

استدارت نحو آدم الذي كان يقف صامتًا بنظرة عميقة يتابع المكان وتفاصيله، فوجدت قائد الطائرة ومساعده يتقدمان من رجل شاب مقبل نحوهما بابتسامة هادئة وقال مرحِّبًا: "سيد آدم، دكتورة نادين اسمحا لي أن أرحب بكما... أنا خوليو".

كان خوليو ذراع رتزل الأيمن هو من كان في استقبالهما في هذا المكان الغريب. سار أمامهما وقال "اسمحا لي بأن آخذكما في جولة كاملة داخل القاعدة".

سار آدم ونادين خلف خوليو والصمت والذهول يعتري كل خلية في جسديهما، في أي مرحلة من التطور التكنولوجي هم! لا يوجد أي مكان على الأرض يشبه غرفة واحدة من هذا المكان الواسع الذي يشبه قاعة كبيرة لا يفصلها عن بعضها سوى بعض الحواجز الزجاجية التي تتيح لكل مختبر العمل على حدة! فالمختبر الذي على اليمين هنا مختبر فيروسات ذو مستوى رابع، كل من فيه يرتدون بدلات واقية كتلك التي كان يرتديها لؤي دائمًا.

أكنت تعلم بكل هذا يا لؤي؟

أكملا سيرهما ببطء خلف خوليو، أما آدم الذي شاهد الحيوانات المختلفة التي تخضع للحقن والتجربة في الجانب الأيسر منه، فعلم جيدًا

أن الأدميرال بيرد لم يكن يبالغ بسرد الأحداث. فعلًا هناك فيل في المختبر!

كان الصمت أبلغ من كل الكلام في تلك اللحظات، فالمصنع البالي الذي اكتشفوه تحت الحظيرة تلك الليلة لم يكن سوى خردة قديمة تنتج بضع عبوات عابرة من اللقاحات مقابل ما يمر أمام أعينهم الآن! كم أثار ذلك المصنع البالي غضبهما باختفائه وكم انطفأ كل ذلك الغضب في نفسيهما مع برودة القطب وما يحتويه جوفه اللاهب.

نعم هناك جوف للقطب أيها الأدميرال!

جالت عينا آدم المكان بهدوء مريب، فآدم الوحيد القادر على فهم خطورة المكان الذي يجوبانه. الغرفة التي دخلاها الآن ما هي إلا مجموعة من السيرفرات الضخمة التي تعمل على تخزين كل المعلومات القادمة إليها من أنحاء الأرض بسكانها وقاطنيها مهما كانت بساطة اهتماماتهم. كانت السيرفرات أقرب إلى صناديق ضخمة شفافة مضاءة باللون الأزرق تغطيها شاشات هولوغرامية تعمل باللمس، تستطيع رصد كل ما تفعل حتى وأنت نائم، فيكفيها أن يكون هاتفك الخلوي مضاء بجانبك لا أكثر! كانت الغرفة شاسعة تشعر بأنها تمتد إلى اللانهاية.

هل يمكن لهذا أن يكون هنا في قلب القطب؟!

سار آدم بخطوات هادئة على عكس نادين التي بدأ الخوف يعتلي صدرها فالمكان يثير الحيرة ولكنها تعلم أنها في قلب خلية إلكترونية حية لا تتوقف عن العمل. فاقتربت من آدم قائلة وهي تشير بيدها: "انظر إلى هذه الشاشات هناك، إنها تسجل في كل جزء من الثانية معلومات".

بقي آدم صامتًا يدور بعينيه محاولًا تفحص ما يحيط به جيدًا. فالمكان من حوله محاط بشاشات بانورامية ضخمة غطت الجدران كاملة.

كان يعلم بأن ما على هذه الشاشات ما هو إلا مجموعة من البرامج والتطبيقات التي تندرج تحت الذكاء الاصطناعي الخارق والتي تقوم بتوثيق ومراقبة كل نقر ينقره الشخص في حنايا الإنترنت كما تقوم برصد الوقت الذي يمضيه بين المواقع المختلفة ثم تظهر مجموعة من الأرقام والنسب والرسومات البيانية التي على ما يبدو تجمع كل هذه المعلومات وتحللها ليبقى جميع مستخدمي الإنترنت في العالم تحت التفحص والمراقبة والتحليل.

أما مجموعة العاملين الجالسين أمام الشاشات فكانوا منهمكين لدرجة لم يتلفتوا نحوهما أو نحو خوليو فالثانية هنا إن غابت عنك غابت معها أحاسيس شخص ما وأفكاره، لذا عليهم أن يراقبوا كل ما يقع تحت أيديهم من معلومات دون كلل.

نعم نحن في قلب أكبر قاعدة لجمع المعلومات الخاصة بالبشر.

قال آدم متمتمًا لنادين: "علينا الهروب من هذا المكان وفي الحال، أمسكي بيدي". وما أن أمسك بيدها حتى أقفلت كل الأبواب فجأة ليجدوا نفسيهما عالقين في قبضة المكان وخوليو فقط!

استدار خوليو نحوهما مبتسمًا: "إنها فعّالة أليس كذلك؟" اقترب من الجدار وأشار بيده نحو الأعلى قائلًا: "كل كاميرات المراقبة المزروعة في أنحاء هذا المكان ما هي إلا كاميرات ذكاء اصطناعي خارق تستطيع رصد أي حركة أو ردود أفعال ساكنة تعلو جسديكما ووجهيكما ثم تقوم بتحليلها لتتوقع رد الفعل التالي وهذا ما حصل الآن، فالكاميرات توقعت بأنكما تستعدان للهروب. لذا أنصحكما بألّا تعيدا الكرة فأنتما في جوف القطب لا فوق الأرض".

سار خوليو أمامهما بلا اكتراث وتمتم قائلًا: "نعم، أنا سعيد أن الكاميرات أثبتت فاعليتها عليكما وأنتما غريبان عن هذا المكان، ذلك مؤشر جيد... والآن لنكمل سيرنا فالسيد بانتظاركما".

وصل آدم ونادين أمام باب كان هو الوحيد معدنيًا غير شفاف في كل تلك القاعدة الغريبة! فتح خوليو الباب ودخل. تبعه آدم ونادين إلى غرفة واسعة خالية من كل شيء عدا شاشات معلقة تملأ المكان ومكتب زجاجي يتكئ على قاعدة معدنية يجلس خلفه رجل حفرت علامات السنين وجهه بوضوح فقال بصوت مرحّب: "آدم ونادين..."، صمت قليلًا ثم أكمل "كم أتعبتماني حتى وصلتما إلى هنا! فذكاؤكما فاق توقعاتي لذا لم أستطع قراءة خطواتكما جيدًا". نهض من فوق كرسيه الجلدي وقال وهو يفتح ذراعيه: "لكنكما هنا الآن فأهلًا بكما في عالمي... أنا رتزل روكفشتاين".

الفصل الثالث والتسعون

القطب الجنوبي (أنتاركتيكا)

تقدم رتزل نحو آدم ونادين وأشار لهما بالجلوس على الأريكة وقال وهو ينظر إليهما مباشرة: "أترغبان بشرب شيء ما؟".

فقال آدم ببرود: "هل فتح المايكروشيب أثار قلقك إلى الحد الذي جعلك تأتي بنا إلى هنا؟".

كان رتزل يبتسم وهو يشير بيده نحو آدم قائلًا: "ذكي جدًّا أنت يا آدم، ولا أدري كيف فوّتنا في المنظمة ذكاء كهذا من بين أيدينا؟... ربما لو لم نفوّتك لما كنت أنت ونادين هنا الآن!".

فقال آدم وهو يجوب بنظراته في المكتب الخاوي بهدوء: "ولكننا بتنا هنا، لذا أعتقد أنك مدين لنا بتفسير، لماذا نحن هنا؟".

ابتسم رتزل وجلس مقابل آدم ونادين وقال: "ربما أنت محق... لماذا أنتما هنا! هل هناك أي فكرة لديكما عن السبب؟".

قالت نادين بنبرة مُستفَزة: "لا يهمني السبب! بالنسبة إليّ يكفيني ما أمتلك من أسباب لوأد كل ما تبني على هذه الأرض!".

كان رتزل لا يزال يبتسم نفس الابتسامة ببرود لتظهر خطوط الزمن التي حفرت تفاصيل وجهه المغتر: "أتعلمين لِمَ أنا ما زلت أحيا بقوة على هذه الأرض رغم سنوات عمري التي تجاوزت التسعين؟". صمت رتزل وهو يقول بهدوء: "بسبب هذا..." أضاءت جميع الشاشات الموجودة

حول المكتب والمحيطة بهم لتظهر آدم ونادين الجالسين على الأريكة بكل وضوح. وكاميرات المراقبة المحيطة بهم ترصد كل حركاتهما وردود أفعالهما ليتم تحليلها تمامًا كما فعلت في الخارج.

أكمل رتزل كلامه وهو يشير إلى وجهها الذي يعلو الشاشة قائلًا: "ما زلت أحيا بكل قوتي تلك بسبب هذا الخوف الذي يحاول التستر خلف حدقة عينك الساطعة... ورغم ذلك أراه، وما أن ألمحه حتى أبثه أكثر في نفسك من خلال مختبراتي أو فيروساتي أو حتى لقاحاتي... فأنت تخافين علمك الذي تلقيته في كلية الطب أيتها الطبيبة، وأنا أغذي خوفك هذا كله بما تشاهدين الآن لأنك تعلمين بكل ثقافتك أنك أمام ابتكار عظيم كل علومك عجزت أمامه".

توتر وجه نادين فوق الشاشة لتبدأ عضلات وجهها بالتحرك لاإراديًا وليظهر أمامها تحليل مفصل لكل مشاعرها وأفكارها التي تعتلي ذهنها وحتى ما ستفكر في فعله بعد لحظات. أكمل رتزل قوله: "الخوف هو ما يجعلك تتملكين العالم وأنت خلف كرسي جلدي بسيط كهذا...". ثم أشار إلى مكتبه وهو يقول: "وحده الخوف يسيطر عليك ويمنح من مثلي قوى السيطرة في هذه الأرض، الخوف دومًا كان ولا يزال هو نزاع البشر مع الدنيا؛ خوف من فقر، من حرب، من مرض ومن موت رغم حتميته!".

صمت رتزل وهو يراقب وجه آدم البارد الذي لم يكن ينم عن أي ردود فعل كنادين، فأكمل وهو ينظر نحو نادين ثانية: "خوف من كل شيء، من العلم ومن التفكير وحتى التساؤلات. لقد زرع الإنسان الخوف في نفسه حتى بات يشعر أن التساؤل عما يحدث من حوله هو نوع من الكفر بالحقيقة. فلِمَ يتساءل إن كان التساؤل سيدخله في الشك وهو لا يعلم

فحوى الأمور! ولكنه لم يكن يدرك أن التساؤل قد يوصله إلى الحقيقة... كما فعلتما أنتما اليوم".

سار رتزل نحو كرسيه الجلدي وقال وهو يجلس عليه: "أعذراني فظهري لا يحتمل الجلوس طويلًا على هذه الأريكة...".

قالت نادين وهي تنظر إلى رتزل المتوجّه نحو مكتبه: "لهذا جعلتنا نجوب في أرجاء المكان قبل الوصول إلى هنا؟ هل كنت تعتقد أن رؤيتي له ستبث الخوف في نفسي؟!".

"لا أعتقد بل متأكد...".

كانت نادين تعلم بأن رتزل محق ولكنها حاولت أن تبقى متماسكة طاردة كل علامة توحي بالخوف في وجهها المبثوث على الشاشة. فالبشر على مر التاريخ لم يدركوا يومًا أن خوفهم هو مفتاح الراغبين بالسلطة وأصحاب النفوذ! لهذا وفي كل العصور كان أي قائد جديد يرغب بالاستمرارية لا بد وأن يبدأ مشواره بحصد الأرواح علنًا ليرضخ له الباقون وليصنف ديكتاتورًا! بينما كل ما في الأمر أنه مجرد رجل أدرك أن الخوف مفتاح البشر!

كان صوت رتزل يعلو في المكان قاطعًا أفكارها بنبرته المتغطرسة: "إن خوف الإنسان من استخدام قدراته وتوظيفها حوّله إلى فأر هامستر خاضع دومًا للتجربة! يدور في حلقة مفرغة. يُوهَم بأنه سيصل إلى القمة فيستمر بالدوران ولا يدرك بأنه ما دامت العجلة تدور سيبقى دومًا هو المستهلك ونحن المنتجون! هو التجربة ونحن الواقع! وفي النهاية سيُنهك من كثرة الدوران خلف العجلة ولكن الخوف المتأصل في نفسه سيجعله يستمر... فهذه العجلة هي قوت يومه لذا يجب أن تدور! تتوقف أنفاسه عن اللهاث،

ولكن ستبقى عجلته تدور وعندها سيمتطيها فأر هامستر جديد!".

لم يبث كلام رتزل المتعجرف الخوف في نفس آدم البارد وهذا ما لم يستسغه رتزل، فمنذ أن دخل هذا الشاب مكتبه لم يستطع قراءة الخوف في ملامحه.

ما هو المنفذ إلى خوفك يا آدم؟

قال آدم بنبرة باردة كالثلج وهو ينظر إلى رتزل: "وعلى ما يبدو أن ذات الخوف الذي تحدّثت عنه هو الذي جعلك تحضرنا إلى هنا بهذه الطريقة... فنحن وبالصدفة لم نكن فأري هامستر يحرّكان العجلة! على ما يبدو أننا أفسدنا نظريتك الثورية لمفهوم القوى على هذه الأرض يا سيد رتزل...". صمت آدم وقال: "فهل من المعقول أن يتلف مبرمج شاب وطبيبة شابة مخطط منظمتكم الأعظم للأرض؟".

ابتسم رتزل وقال وهو يهز رأسه راضيًا: "كم أنت ثاقب الرؤيا أيها المبرمج الشاب... ولكن لتشاهد هذا".

اختفى وجها آدم ونادين عن الشاشات المحيطة بهما، لتظهر أمامهما فجأة صور متعددة لأشخاص ذوي نفوذ وسلطة توزعت بين سياسيين مشهورين وأصحاب شركات كبرى وإعلاميين وحتى فنانين متنوعين بين الموسيقى والتمثيل ليدركا أن المنظمة لم تكن مجرد مركز عابر في منطقة ما، بل كانت شبكة واسعة تمتد أذرعها فوق كل حنايا الأرض لتبث ما تشاء في قلبها بصمت.

إذا كان كل هؤلاء أعضاء المنظمة فمن نحن على هذه الأرض؟

اختفت الصور عن الشاشة لتظهر بعدها لقطات من المصنع القديم بخطوط إنتاجه الخاصة باللقاح. وعلى الجانب الآخر من الشاشات وثائق

البنتاغون وكل ما نشروه على شبكة الإنترنت. فيديو ديفيد آيك وحديثه عن نظرية لقاح النانوشيب ثم تبعه مجموعات فيديوهات أخرى لعلماء وأطباء يناقشون بحماس على منصات تواصل الاجتماعي باختلاف أصنافها نظرية المؤامرة التي صنعها وباء الكورونا. نعم كانت الشاشة تحتوي على كل شيء عرفوه وحتى لم يعرفوه عندها قال آدم وهو يحدق إلى كل ما يبث أمامه: "إذًا أنت أردت لكل هذا أن يحدث؟".

حاول رتزل قراءة وجه آدم البارد ولكنه كان خالي المعالم فقال مبتسمًا "ألم أقل لك أنني معجب بذكائك... في الواقع أنتما الاثنان لم تكونا أبدًا ضمن مخططاتنا ولكنكما بذكائكما وسعيكما النهم خلف الحقيقة لم تتلفا مخططنا الأكبر للأرض كما تسميه بل قدمتما لنا خدمة مجانية لم نفكر بها يوما".

لم يعلم آدم ونادين أنهما بتسريب كل تلك المعلومات والوثائق التي امتلكاها قد حققا لرتزل ما يريد وبقوة! لقد زرعا الخوف في قلوب البشرية جمعاء من وباء الكورونا وكل ما يحمله من تداعيات خلفه ولكن ما لم يدركاه حتى هذه اللحظة أن الكورونا المستجد لم يكن يومًا هو المقصود! فلؤي وحده من دُفنت معه الحقيقة.

اختفى كل شيء في الشاشات وبقيت فقط صورة المصنع البالي وهو ينتج اللقاحات التي رأوها هناك. كم تمنت نادين لو أنها تحمل الكاميرا اليدوية تلك لتوثق كل ما تراه الآن! ولكنها وصلت هي وآدم إلى هنا لا يحملان أي شيء ولا حتى هاتفيهما القابلين للعطل!

تأملت نادين الحقن الزجاجية التي كانت تسير بنفس انتظامها الذي شاهدته في المصنع وقالت: "لقاح الكورونا....".

"هذا هو الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه يا دكتورة. فالحماس دومًا يغيّب الحقيقة وحماسك لم يجعلك تقرأين فحوى الموضوع، أما لؤي فوحده اكتشف الخطأ، وما أن اكتشفه... مات!" صمت رتزل قليلًا ثم أكمل: "إن المصنع القديم هذا لم يكن يومًا خط إنتاج للقاح الكورونا، ولن يكون! فلقاح الكورونا لن يحمل أبدًا أي مايكروشيب في داخله".

اقترب خوليو من نادين وآدم ووضع أمامهما عبوتين زجاجيتين كأي عبوة لقاح عادية وقال رتزل "هذا هو لقاح الكورونا".

أمسك آدم باللقاح وأخذ يدقق فيه. كان مجرد سائل شفاف لا يحتوي على أي شيء. مجرد لقاح كأي لقاح آخر!

نهضت نادين من مكانها واتجهت نحو الشاشات التي أمامها. حدقت في الحقن الزجاجية التي كانت بالمصنع القديم. اقتربت من الشاشة أكثر، وضعت أصابعها فوق الشاشة وقامت بتكبير حجم صورة الحقنة الزجاجية بأصابعها حتى بدأت تظهر أمامها بوضوح. عندها تساءلت بنبرة مصدومة: "هل هذا اللقاح لفيروس آخر لا علاقة له بأي فيروس عرفناه مسبقًا؟".

ابتسم رتزل وقال: "لقد بدأت تدركين الأمر الآن! إن مخطط الكورونا بكل ما حمله من تفاصيل انتشار، وحجر كلي، وسقوط اقتصادات ما هو إلا مقدمة تمهيدية لتسهيل ما هو قادم!".

كانت عينا آدم فقط تجولان المكان وفوق الباب المغلق. أما رتزل فنهض من كرسيه ووقف بجانب نادين ليصبح قريبا من الشاشة وقال وهو يشرح لنادين ما يريد: "إن الفيروس القادم هو ما يهمني، الخوف الذي انتشر بين الناس بسبب لقاح الكورونا الحامل للمايكروشيب كان أفضل لتقبّل ما هو قادم، فحالة الرعب التي اعتلتهم جميعًا بمختلف أجناسهم

وأطيافهم بسبب نظرية لقاح الكورونا ستجعل موافقتهم على اللقاح القادم أسهل وأسرع!".

تساءلت نادين وهي لا تكاد تصدق ما تسمع: "كيف ذلك؟".

"بمجرد أن تتأكد الناس أن لقاح الكورونا لقاح عادي خالٍ من أي مؤامرة، سيصبح أي لقاح قادم في المستقبل هو أيضًا لقاح عادي ليس إلا! فهل هناك مؤامرة خضعت لها البشرية في الألفية الجديدة أكبر من مؤامرة وباء الكورونا؟! لا.. ورغم كل عظمتها كانت مجرد كذبة! لذا وبعد مرور السنين سيتقبل كل سكان العالم اللقاح القادم بلا نقاش فعصر المؤامرات سيكون قد دُفن في عقول البشر بموت فيروس (كوفيد - 19)!".

قال آدم بهدوء: "وبهذا يصبح البشر مجرد رجال آليين تابعين لكم عبر شركات الكلاود".

"نعم، ولكن وباء الكورونا استطاع التمهيد للقادم الأعظم، فظروف الجائحة التي أجبرت العالم على استخدام وسائل التكنولوجيا والتعامل مع المؤسسات المهمة عن بعد، كالتعليم والدوائر الحكومية وحتى لقاءات الرؤساء! ستدخلنا في حقبة زمنية جديدة، حقبة تكنولوجية جديدة لا يفهمها إلا من هو قادر على استيعابها. حقبة ستجعل الاعتماد على الذكاء الاصطناعي الخارق... أسهل".

بدأ خوليو يشرح بتفصيل أوضح: "هنا في القطب سنمتلك أكبر قاعدة بيانات في العالم وسنطوّر برامج وتطبيقات تتوقع تصرفات البشر كافة كل على حدة. وبالتالي إن توقعنا تصرفاتك ستصبح قراراتك كلها ملكنا ولن تمتلك الخيارات بعد ذلك، تمامًا كما حصل معك هناك حينما حاولت الهروب والتقطت كاميراتنا الذكية رد فعلك قبل أن تهمّ به".

وما أن أكمل كلامه حتى انطفئ المكان كاملًا وفُتح باب المكتب الحديدي المغلق على مصراعيه فجأة! أخذ آدم يبحث عن نادين في قلب العتمة الحالكة أما نادين فلم تر مما يحيطها شيئًا ولكن كان صوت آدم الهامس قريبًا منها وواضحًا حينما قال ممسكًا بذراعها: "لا تفارقيني".

تشبثت بذراعه وحاولا السير بحذر وخطى بطيئة وفجأة امتدت ذراع باتجاه آدم تحاول سحبه هو ونادين بقوة من قلب المكتب قائلة بصوت خافت "اتبعاني بسرعة... فلا نملك سوى دقائق معدودة".

كان آدم قد تسمّر مكانه عاجزًا عن الحراك فالدم تجمد في عروقه عندما سمع الصوت الذي سحبه من غرفة المكتب بقوة وقال بنبرة مذعورة: "وانغ لي.... أنت حي؟!".

الفصل الرابع والتسعون

القطب الجنوبي (أنتاركتيكا)

خرج آدم ونادين ووانغ لي بسرعة من باب المكتب الحديدي الذي لا يزال غارقًا في ظلمة جعلت رتزل يتوجه نحو خوليو وهو يقول: "اتبعهم يا خوليو...".

وقف وانغ لي أمام الباب الحديدي الخاص بمكتب رتزل. قام بإعادة برمجة التشفير الرقمي للباب ليغلقه واستدار نحو نادين وآدم اللذين كانت الصدمة تعتليهما حتى باتا عاجزين عن النطق. ناولهما معطفين بلاستيكيين أبيضي اللون ككل العاملين في المكان وقال بنبرة سريعة: "ارتديا هذا الآن وبسرعة، كل ما نملكه ثلاث دقائق فقط لمغادرة المكان... فبعد الدقائق الثلاثة سيُفتح الباب وستعمل الكاميرات من جديد".

ارتديا آدم ونادين المعطفين وسارا خلف وانغ لي الذي كان يسير بخطىً سريعة يجوب المكان بدقة. فهو على ما يبدو يعرف كل تفاصيله وممراته ومنافذه ومخارجه. تبعاه بصمت لا تفسير له وفجأة توقف أحد العاملين في المكان وقال: "دكتور وانغ لي... هل تسلمت تقرير اليوم؟ لقد أرسلته لك منذ ساعة" كان وانغ لي ينظر إلى الرجل بهدوء ولكن نبضات قلبه لا تتوقف عن القرع في أذنه فالوقت يمر. أجاب بنبرة سريعة: "نعم... استلمته وعليّ أن أجهزه بسرعة للسيد رتزل".

"جيد.. أتمنى لك يومًا سعيدًا".

"أشكرك".

هزّ آدم ونادين رأسيهما للرجل الذي غادرهما دون أن يتساءل حتى عن وجودهما! سار الثلاثة بخطى سريعة مرة أخرى ووانغ لي ينظر إلى الساعة التي في يده قائلًا: "أمامنا دقيقتان وعشرون ثانية لنسرع".

دخلا ممرًا جانبيًا كان فيه عدد كبير من العاملين الذين يجوبون المكان ذهابًا وإيابًا. خفف وانغ لي من خطواته وسار بشكل مريح وهادئ وكذلك نادين وآدم. كان معظم العاملين يتبادلون الحديث ومنهم من وجّه السلام لوانغ لي من بعيد، فالثانية في هذا المكان قيمتها عالية، لذا لا وقت لخوض الأحاديث.

وصل وانغ لي مع آدم ونادين إلى السلالم الإلكترونية التي نقلتهم إلى أسفل المكان ولكنها تحملهم إلى الأعلى الآن. لم تكن حلقة السلالم طويلة فعلى ما يبدو أن وانغ لي قد أخذهم عبر طريق سلالم مختصر. وصلوا جميعًا نهاية السلالم ليجدوا أنفسهم ثانية في قلب الأنبوب الخرساني العميق. ساروا فيه بخطوات سريعة. البوابة تلوح من بعيد. زادوا خطواتهم سرعة. الوقت يمضي. تبقى دقيقة وعشر ثوانٍ!

"الأنبوب الخرساني طويل.."، قالت نادين.

"لقد اقتربنا... لنسرع"، قال وانغ لي.

خطواتهم السريعة لا تكفي، عليهم أن يسرعوا، بل عليهم أن يركضوا! ركض الثلاثة في قلب الأنبوب الخرساني ولم يعرفوا كم ركضوا، ولكن كانت أنفاسهم غير قادرة على ملاحقة الشهيق والزفير المتسارعين في داخل رئاتهم. ما زالوا يركضون!

هل انتهت الدقيقة والعشر ثوانٍ؟ لا وقت لمعرفة ذلك علينا أن نركض.

في تلك اللحظات فهمت نادين لماذا تصنع الثانية المعجزات في عالم الرياضة، فها هي تنقذهم من الموت في عالم تحت الأرض!

وصل الثلاثة إلى البوابة. مرر وانغ لي وجهه أمام الماسح فبدأت البوابة تفتح تدريجيًا للأعلى ولكن فجأة بدأ الماسح بالتشتت ووجه وانغ لي بدأ يتكسر فوق شاشته.

قال وانغ لي: "انتهى الوقت. رتزل يتبعنا.. لنخرج بسرعة من هنا".

بدأت البوابة تنغلق تدريجيًا. انزلق وانغ لي من تحتها محاولا الخروج تبعته نادين. فتحة البوابة أصبحت ضيقة. خرجت نادين ووانغ لي. البوابة ستغلق. آدم لا يزال في المكان. انحنى آدم أرضا. مرر جسده النحيل الطويل من الفتحة. شعر بأن حافتها ستطحنه. أمسك وانغ لي ونادين بذراعيه. سحباه إلى الخارج.

"علينا الصعود إلى الطائرة بسرعة..." كان وانغ لي يصرخ من بين الثلوج المتراكمة وهو يحاول أن يجعل خطواته الثقيلة فوق الثلج سريعة.

تبعه آدم ونادين التي باتت منهكة ولكنها تحاول المقاومة فلا وقت للتعب. وصلوا إلى المروحية التي أقلتهما إلى هنا. ركبوها بسرعة. جلس وانغ لي خلف المقود وبجانبه آدم وفي الخلف جلست نادين. شغّل وانغ لي محرك الطائرة استعدادًا للإقلاع ولكن انفتحت أرضية المهبط التي تقف الطائرة فوقها بهدوء.

الطائرة ستسقط! عليهم التحليق.

الطائرة لا تزال على وضعية الاستعداد والأرضية من تحتهم تزداد اتساعًا، الطائرة تتأرجح!

صرخت نادين مذعورة: "افعل شيئًا يا وانغ لي...".

فجأة ظهر وجه رتزل أمامهم بخاصية الهولوغرام وقال: "إن الخروج من أنتاركتيكا لم يكن سهلًا يومًا كالدخول إليها... ليس كل من دخل هنا ريتشارد بيرد! وليس كل من في جوف الأرض يشبه أبي العجوز الذي قابله حينها!" وفجأة علا صوت رتزل وهو يوجه الأمر لخوليو: "اتبعوهم وأحضروهم إلى هنا...".

أرضية المهبط فتحت بالكامل. الطائرة سقطت في قلب القاعدة!

نزل وانغ لي مسرعًا من الطائرة وقال: "إن لم أعد خلال دقيقتين غادرا ولا تنتظراني... الطائرة ستصبح جاهزة للتحليق بعد ثوانٍ".

جلس آدم خلف المقود لا يدري ماذا يفعل؟ فخبرته في القيادة لا تتجاوز قيادة السيارات!

نظر وانغ لي في وجه آدم نظرة مطمئنة وقال وهو يشير إلى الزر الذي بجانبه "هذا زر الطيار الآلي فلا تقلق" صمت وانغ لي للحظة ثم أخرج كرت ذاكرة صغير الحجم من جيبه. ناوله لآدم وهو ينظر إليه نظرة مشوبة بالخوف: "هذا الكرت يحمل معادلة لقاح فيروس الكورونا إن لم أعد سلماه إلى معهد ووهان وبكين للمنتجات البيولوجية".

أخذ آدم الكرت من وانغ لي الذي ركض مسرعًا باتجاه النفق القابع أمامه. دخل فيه. لا يزال يركض وفجأة اختفى في قلب النفق.

في تلك الأثناء كانت القاعدة تضج بالفوضى؛ فحالة الطوارئ أعلنت فيها. العاملون يحاولون الاستعداد للحاق بالمطلوبين. تم إغلاق المختبر.

خطوط إنتاج اللقاحات توقفت. أما الحيوانات الخاضعة للتجارب فكانت في أقفاصها الزجاجية بلا حراك. ولكن غرفة السيرفرات ما زالت تعمل. كان وانغ لي لا يزال في قلب النفق. لم تمض الدقيقتان بعد. وقف أمام جهاز يحتوي على أزرار معدنية محفور فوقها أرقام. بدأ وانغ لي العمل بسرعة وقام بإدخال كامل الشيفرة التي يحتاجها.

أوشكت على الانتهاء... ولكن هناك أصوات تقترب!

كان آدم ونادين يراقبان الوقت. الدقيقتان تمضيان. لم يتبقَّ سوى عشرين ثانية! وانغ لي لا يزال مختفيًا في قلب النفق الخرساني.

سبع عشرة ثانية.

خمس عشرة.

اثنتا عشرة.

"وانغ لي لم يظهر بعد" قالت نادين بتوتر.

أمسك آدم بالمقبض وقال وهو يعدّل جلسته: "كم تبقى من الوقت؟".

"عشر ثوانٍ" أجابت نادين بنبرة يائسة.

"استعدي...".

خمسة... أربعة... ثلاثة... وانغ لي لم يحضر بعد!

اثنان... واحد...

"انتهت الدقيقتان"، قالت نادين.

وضع آدم يده على المقبض واليد الأخرى على زر القيادة الآلية التي أخبره عنها وانغ لي، كانت يده تقترب من الزر ببطء صرخت نادين فجأة "انتظر، وانغ لي هنا...".

ركض وانغ لي باتجاه الطائرة مسرعًا وفجأة كان عدد من العاملين في القاعدة يخرجون من قلب النفق وعلى مقدمتهم خوليو. خوليو ورفاقه يقتربون. وانغ لي يقترب من الطائرة، وفجأة اهتز المكان بقوة. صوت خطوات ثقيلة تركض في الأرجاء. استدار خوليو للخلف نحو مصدر الصوت. إنها الأفيال تهاجم المكان! نعم كل الأفيال المخبأة في الأقفاص كانت تركض خارجة من قلب النفق بصوت نهيمها المرتفع!

"لقد نجحت" صرخ وانغ لي ثم تعلّق بالطائرة ودخلها بسرعة قائلًا لآدم: "حلّق بسرعة....".

ضغط آدم على زر الطيار الآلي بقوة. الطائرة تحلق. خوليو ورفاقه يصارعون الأفيال التي كانت تتذوق طعم الحرية للمرة الأولى فهاجت في أرجاء المكان.

الفصل الخامس والتسعون

أوشوايا - الأرجنتين

كان آدم ونادين ووانغ لي يحاولون الترجّل من الطائرة بعد رحلة عناء طويلة وأحداث لم يكونوا سيصدقونها إن لم يعيشوها بأنفسهم في القطب، مزيج من المشاعر المتناقضة تملكت نادين. وما أن اقترب منها وانغ لي مادًا ذراعيه نحوها بالسلام حتى صفعته على وجهه بقوة قائلة: "أي لعبة قذرة تلك التي أدخلتنا بها يا وانغ لي؟".

اقترب آدم منها محاولًا إحاطتها بذراعه لتهدئتها ولكنه كان يعلم بأن الغضب الذي يعتليها لا يفرق أبدًا عن ذلك الشعور المرير بالخيانة الذي اعتراه عند سماع صوت وانغ لي في العتمة الحالكة هناك!

وقف وانغ لي متسمّرًا أمام نادين التي كانت تقف متشنجة وهي تصرخ: "كيف استطعت أن تغدر بكل أصدقائك من أجل مخطط سخيف رسمته بألغاز محاكة بغباء وأنت تعلم أن كل ما نفعله سيمضي بنا إلى الموت! كيف تجرأت على ذلك؟".

كانت نادين تدفع بوانغ لي إلى الخلف وهو لا يزال يقف أمامها بلا حراك عندما صرخت بصوت متألم وقالت: "لقد مات ديفيد ومات لؤي وكدنا أن نموت أنا وآدم ونحن جميعًا نشعر بأن علينا حمل المهمة وسرّها الدفين الذي تركه لنا وانغ لي قبل وفاته. ثم نجدك حيًّا تعمل مع من حاول قتلنا؟!".

أمسك وانغ لي بكفي نادين وقال: "اهدئي يا صديقتي... فأنا لم أخنكم يومًا".

"كاذب..."، صرخت نادين في وجهه وهي تحاول فك كفيها فاقترب آدم منه قائلًا بنبرة قاسية: "اتركها الآن...".

فك وانغ لي يديها واقترب من آدم شارحًا: "لقد..."، لم يكمل وانغ لي كلمته حتى سقطت لكمة آدم القوية فوق أنفه ليختل توازنه ويسقط وأنفه ينزف دمًا. اقتربت منه نادين ناولته منديلًا وهي تنظر إلى مكان الإصابة. "لا شيء مجرد كسر في الأنف".

صمتت قليلًا ثم جلست فوق الأرض الشاسعة التي هبطوا فوقها وقالت وهي تنظر في وجه وانغ لي: "فقط ابق المنديل مكانه حتى يتوقف النزيف".

"لم أكن أعلم أي شيء مما حصل.."، قال وانغ لي وهو يجلس قبالة نادين. أما آدم فكان مستعدًا لتدخين عروق الأشجار الجافة المرتمية على الأرض لو حملت في قلبها نيكوتين في هذه اللحظات!

"لقد مت أمام عيني..."، قال آدم ببرود.

"وأنا ظننت نفسي ميتًا حينما تركت لك تلك الرسالة، كنت أريد منكما الوصول لديفيد بعد موتي، هذا كل ما أردت فحينما علمت بأن الفيروس قد تم تسريبه بعد أن أصاب والدي ومات به... عرفت أن المنظمة بدأت بتطبيق مخططها الذي اكتشفناه أنا وديفيد!".

قال آدم بنبرة عصبية: "وأنت؟... وموتك؟".

"عندما ودّعتك في المستشفى ذلك اليوم كنت أفارق الحياة فعلًا يا آدم ولكن ما حصل، أنني سقطت وما أن صحوت حتى وجدت نفسي

بين يدي رتزل في قلب القطب! لا أعرف كيف، ولا أستطيع الوصول إلى أحد! فالمنظمة عرفت بأنني وديفيد على علم بمخططهم فبتنا نشكل خطرًا عليهم لذا كان يجب التخلص منا".

"ولماذا بقيت حيًّا ومات هو؟" تساءلت نادين غير مقتنعة.

"لم يعد وجود ديفيد مهمًا منذ أن غادر المنظمة هاربًا فما كان يعرفه أكبر من حجم حياته في نظر رتزل والأعضاء، لذا تمت تصفيته".

"ولؤي؟" قالت نادين.

"لؤي كان كالموت لا يفارق رتزل أبدًا حتى وهو يتنفس! وهذا ما لم يعرفه رتزل يومًا... الشعور بالخوف! فلؤي هو مطوّر فيروس (كوفيد - 19)".

صمت وانغ لي محدّقًا إلى الفراغ الذي أمامه وأخذ نفسًا عميقًا. شعر من خلاله آدم ونادين أن ما مر به وانغ لي كان أعظم مما عاشاه. ثم قال: "وبما أن لؤي هو خوف رتزل الوحيد كان عليه أن ينتهي. أما أنا فلأنني كنت شريك لؤي في محاولات تصنيع اللقاح قبل تسريب الفيروس أصبحت الخيار الوحيد أمام رتزل للحصول على اللقاح والتخلص من لؤي. فبقيت أنا ومات لؤي".

اقترب آدم من صديقه وانغ لي وناوله كرت الذاكرة: "ما دمت هنا، أعتقد أن عليك استعادة هذا".

وضع وانغ لي كرت الذاكرة في كفه وهو يحدق إليه مطولًا عندما قاطعته نادين قائلة: "وماذا بعد يا وانغ لي؟".

رفع وانغ لي نظراته نحوها وقال بنبرة ممزوجة بالألم: "البشرية كلها ظمأى للحصول على هذا يا نادين. شرخ ما صنعناه بات يصدع في كل مكان فجفت الأرواح قبل الأرض وأصبح الموت يعربد فوق النفوس حتى

وهي حية، زرعنا الخوف دون علم منا بذلك وها نحن نحصد ما فعلنا. لذا على هذا الكرت أن يصل لمستحقيه... على هذا الكرت أن يصل لكل الشركات القادرة على تصنيع اللقاح يا صديقتي".

كانت نادين تجول في صفحة وجه وانغ لي المنهكة حينما قال وهو ينظر نحوها هي وآدم: "ولتعلما إن كان هناك من يستحق الشكر والتقدير في كل هذا فهما أنتما الاثنان فلولا إصراركما للسعي وراء الحقيقة لبقي هذا الكرت بكل ما فيه أسيرًا في قلب القطب".

خيم الصمت بين الثلاثة للحظات طويلة ثم ابتسم وانغ لي وهو ينظر إلى آدم ونادين قائلًا بنبرة شاردة: "لا أدري كم من مرة كان الموت قريبًا مني؟ ربما كل يوم... لقد ظننت أنني سأموت باردًا كشمس القطب الجنوبي التي تحمل الحياة في قلبها كل يوم ولكن ثلجه الثقيل المتراكم يدفن حرارتها في جوفه فتفقد دفئها هناك".

التفت وانغ لي نحوهما واستنشق نفسًا عميقًا، فكم كان يشتاق للأوكسجين! ثم قال: "شكرًا لأنكما منحتماني دفء الشمس من جديد".

* * *



بعد مرور ثلاثة أشهر

ووهان – الصين

2020/8/28

كانت نادين تقف بجانب آدم على حافة نهر اليانغتسي الضخم الذي استعاد حياته بعد ركود طويل، غابت نظراتها في صفحته المتكسرة بسبب عبور السفن والبواخر فيه، تنهدت قليلًا وقالت: "كان العم تشن يهوى التنقل بالبواخر، وحينما تساءلت يومًا عن السبب أخبرني أنه لا شيء يضاهي هواءً نقيًا يعانق الروح بحرية وهي تبحر فوق الزمن". صمتت نادين وأخذت ترقب الرجل المثير للشك ذاك حيث اتكأ على الجسر منذ مدة ليراقبهما من بعيد ثم أكملت قائلة: "الآن فقط عرفت ما كان يقصده العم تشن حينها".

نفث آدم دخان سيجارته بصمت أما نادين فكانت تجوب في حنايا النهر الضخم هائمة حيث رقدت أمامها مدينة ووهان غارقة في فوضى اشتاقت المدينة لها بعد غياب طويل، فشوارعها وأزقتها وأحياؤها كانت تنبض بالحياة مجددًا حاملة في طياتها أساطير أخرى ستحكيها النساء لأحفادها يومًا عن مدينة البرج الكركي الأصفر ذات التاريخ العريق والقلب الحديدي الصلب، تلك المدينة التي واجهت أكبر جائحة مرض في الألفية الجديدة وتغلبت عليها في مدة قصيرة لتصبح الآن هي المدينة الوحيدة الآمنة على الأرض بعد أن كانت بؤرة الانتشار الأولى للوباء! فكل مدن العالم تجتاحها موجة ثانية وثالثة من الكورونا وتتساقط تحت وطأته من جديد كحجارة الدومينو عدا الصين... بل بالأحرى عدا ووهان بالتحديد!

استعادت ووهان حياتها ولكن نادين كانت تعلم جيدًا بأنها لم تستطع استعادة نفسها حتى هذه اللحظة، فمنذ تلك الرحلة الشائكة التي غاصت في

أعماقها وهي تشعر بالخواء في روحها المنهكة. تحيا في حالة من الحيرة والشك لا تفهمها أبدًا، فتارة تشعر بجنون يمنحها رغبة متعطشة للحياة فتجول وتركض وتضحك لتشعر بالمتعة كطفلة لم تمتص الحياة من رحيق نفسها شيئًا وما زالت تتعلم خطوات سيرها الأولى، وتارة تجلس فوق حافة النهر الثقيلة مغلفة بإحباط لا تستطيع تفسيره، إحباط لا يحمل في باطنه سوى الخوف؛ الخوف من كل شيء ومن لا شيء، خوف تدق له نبضات قلبها المتعب كلما لمحت ظلال أحدهم تقترب منها حتى وإن كانت عابرة. وكم سقطت صريعة للخوف منذ أن عرفت لؤي وحتى هذه اللحظة، فهل حقًا ستمضي حياتها كلها أسيرة للخوف والترقب؟

وحده الخوف يجعلك المسيطر... كم هذا صحيح يا رتزل!

أما آدم فبرغم بروده الذي يحيطه كعادته وحلقات دخانه التي تجوب حوله حيث يكون، بات يؤمن بالأدميرال ومذكراته رغم غرابتها وتنافيها مع كل ما يؤمن. نعم فالقطب كان يحمل في حناياه أكثر مما اعتقد وأكثر مما قرأ أو عرف، لقد حمل القطب في جوفه كل مخاوفه التي غادرها يومًا دون رجوع، وها هي الآن تعود لتنهض أمامه مستترة تحت ثلج متراكم كوحش الجليد الذي كانوا يسردونه له في حكايا المساء، ولكن جوف القطب لم يكن حكاية ولا حتى قصة عابرة، بل كان حقيقة مخيفة تحمل في خفاياها أذرعًا خفية ستمتد في حنايا البشر بلا استئذان سارقة منهم العمر دون وعي، والحب دون وعي، والحياة دون وعي وتسلب منهم في النهاية حتى حق القرار. ما حمله جوف القطب لم يكن مجرد قاعدة معلومات فقط بل كان وجهًا جديدًا لهذا العالم، وجهًا لم يرغب آدم أن يلمحه يومًا ولو حتى من بعيد ولكنه بات يحياه. كانت نادين ترمق الرجل الذي يراقبهما بنظرة

سريعة حينما لفت ذراعها حول ذراع آدم بصمت.

أما آدم فكان ينفث دخان سيجارته المتطاير فوق أمواج النهر الثقيلة حينما شعر بذراعها الملتفة حينما قال بشرود: "أتشعرين بالخوف؟".

"ألا تعتقد أنه عليّ الشعور بالخوف ونحن تحت المراقبة؟".

نظر آدم نحوها مبتسمًا: "أي مراقبة؟" صمت قليلًا ثم توجه بنظراته نحو الرجل وأكمل: "أتقصدين الرجل الواقف هناك؟".

هزت رأسها بنعم وأخذت تسترق النظر نحو الرجل الواقف من بعيد فضحك آدم قائلًا: "نحن نحيا على كوكب يخضع كله للمراقبة فهل حقًا سيثير رجل غريب الأطوار خوفك؟... هدئي من روعك يا عزيزتي".

حدقت نادين إلى آدم حينما شعرت بالغصة التي اعتلت كلامه المتهكم. نعم فآدم بكل هدوئه لم يعد من القطب حاملًا معه برودته، بل عاد بقلب لم تستطع تفسيره، قلب محمل بحرية مطلقة بلا قيود. لف آدم ذراعه فوق أكتافها حينما شعر بالخوف الذي يعتليها وقال بنبرته الهادئة: "أتعتقدين حقًا أن حياة كهذه تستحق منا كل هذا الخوف؟".

خيم الصمت طويلًا بينهما ونادين لا تزال هائمة في سؤال آدم لتجيب شاردة بعد أن أطلقت العنان لشعرها المشعث معانقًا الهواء بحرية وأجابت بعد أن أخذت نفسًا عميقًا: "لا... فنحن لن نحيا هذه الحياة مرتين يا آدم".

مرر آدم أصابعه بين خصلات شعرها الغجري الأحمر وهو ينظر إلى عينيها اللامعتين تحت ضوء الشمس وقال "إذًا لأقرأ لكِ هذا الخبر أيتها الصهباء:

" شريحة إيلون ماسك.. تطوير العقل البشري إلى خارق لمواجهة الذكاء الاصطناعي!".

حدقت نادين إلى آدم مصدومة فهز رأسه وقال: "نعم! أعلن إيلون ماسك المدير التنفيذي لمصانع تسلا الشهيرة للمرة الأولى عن مايكروشيب سيزرع في دماغ الإنسان ويربطه بالكومبيوتر فيمنحه قدرات إضافية خارقة على الرؤية والسمع، وحتى التحكم بالمشاعر وتخزين الأحلام والأفكار!".

ضحكت نادين ضحكة صغيرة، ففعلًا مؤتمر إيلون ماسك هذا يعلن بداية الثورة الصناعية الرابعة كما قال ديفيد يومًا، ووباء الكورونا ما هو إلا مرحلة تمهيدية للاعتماد على الذكاء الاصطناعي الخارق كما قال رتزل. ولكن ما أثبته إعلان ماسك أنه وحده الصراع الدائم بين القبول والرفض، سيبقى أزليًا فهناك من يصنع فكرة وهناك من يفنّدها بفكرة أخرى، فكما قال إيلون ماسك يومًا:

"إذا لم تستطع التغلب عليهم، فانضم إليهم" .

وهذه هي الحرب الجديدة التي تنتظر الجيل القادم بين ذكاء اصطناعي خارق وإنسان ذي قدرات خارقة؛ فمن المنتصر؟! لا يهمها ولن يهمها بعد الآن! لذا غابت نادين وهي لا تزال تضحك في تفاصيل وجه آدم الذي كان رفيقها ضمن رحلة منهكة جابا فيها معظم دول العالم محاولين نقل الحقيقة لبشرية لا تعلم أنها تحيا ضمن مخطط أعظم مما يرون! فكم بكت في قلب الحظيرة هناك متمنية الحصول على الكاميرا اليدوية لتوثيق الحقائق ولكنها بعد الآن لن تحمل كاميراتها سوى لتوثيق اللحظات لا أكثر! لن تسقط أسيرة خوف أو قلق أو حتى مراقبة بعد اليوم، هي لن تمضي حياتها فارّة من خوف وعائدة إلى خوف آخر.

نعم نحن لا نحيا الحياة مرتين لذا سأستنشق الهواء النقي فوق النهر... فلا شيء يضاهي هواءً نقيًا يعانق الروح بحرية وهي تبحر فوق

الزمن.. وأنا سأمضي بحرية تعانق الزمن يا عم تشن.

وقفت نادين فوق نهر اليانغتسي تبحر في حنايا آدم بصمت. أمسكت هاتف آدم وقرأت الخبر ثانية هزت رأسها ثم عادت لتضحك. كان صوت ضحكتها يجوب المكان حتى علا صداه فوق أمواج النهر الصامتة وكل من مرّ بجانبها كان يضحك لجمال رنين ضحكتها المغمورة بالألم! ضحكت بنهم حتى شعر آدم أنها الآن فقط تأكدت بأنها لن تحيا الحياة مرتين. توقفت عن الضحك وهامت في عيني آدم للحظات. ابتسمت. أحاطته بذراعيها ثم عانقته وعندها اقتربت منه هامسة "نعم، كنت دومًا محقًّا يا عزيزي... فلا وجود للنهايات!".

مرّرت يدها فوق وجهه الممزوج بلون الشمس. استرقت النظر نحو الذي يراقبهما بصمت سريع. ابتسمت له ببرود ثم غابت في أحضان آدم الذي خلع سماعاته وألقاها في البحر ليغرق معها في قبلة طويلة أمام نهر اليانغتسي معلنًا أنه لن يسمح للخوف أن يحيا في قلبها من جديد.

في تلك الأثناء كان وانغ لي يسير بخطوات متعثرة فوق الثلج المتراكم يحاول الوصول بهدوء تام يشبه هدوء وبرودة القطب من حوله، وما أن وقف أمام البوابة الخرسانية الضخمة من جديد حتى رفع رأسه نحوها ليشعر بشيء يمر من فوق قدميه ببطء، انحنى وانغ لي إلى الأسفل ليجد فأر هامستر صغيرًا يرتعد خوفًا ويعتلي قدميه محاولًا التشبث به حتى لا يسقط. ضم وانغ لي الفأر بين يديه بدفء لتعلن له شمس القطب الباردة بأنه فعلًا... لا وجود للنهايات.